نظرات قرآنية

للشيخ أ.د. حاكم المطيري

جمع وإعداد

حساب سوانح الفكر (تويتر)

بسم الله الرحمن الرحيم

(نظرات قرآنية)

هي ســــوانح تعرض أثنــاء تــدبر القرآن والتفكر فيه، للوقوف على هداياتــه وأحكــامــه وحكمــه ودلائـل إعجـازه على اختلاف وجوههـا ظاهريا وإشاريا. [1]

أ.د. حاكم المطيري

(١) من تغريدات الدكتور.

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا الهادي الأمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

منّ الرحمن علينا بنعمة عظيمة ومعجزة كبرى، أن أنزل إلينا كتابا منه، نستهدي به السبيل القويم، بتدبره واستفهام معانيه ودلالاته والاستضاءة بهداياته.

وهذه تأملات إيمانية ووقفات تدبرية في عدد من سور القرآن الكريم للشيخ أ.د. حاكم المطيري - حفظه الله -، كانت كالدر المبثوث في موقعه الالكتروني و في حسابه على موقع التواصل الاجتماعي (التويتر).

تم جمعها وترتيبها في هذا الكتاب؛ لتسهل الاستفادة من هذه النظرات القرآنية التي سيجد فيها القارئ الكريم أفقا جديدا وفريدا للتدبر والربط بين السور وبعضها وتنزيلها على واقعنا والتفكر في مفرداتها والوقوف على هداياتها وأحكامها والدلائل الإعجازية فيها، بأسلوب سلس، لطيف، ميسر، بعيد عن التكلف والإطالة.

- يبدأ ترتيب نظرات السور في الكتاب

بنظرات سورة الفاتحة ثم نظرات السور القصيرة (الكافرون فالماعون فالعصر فالبلد)

وبعدها نظرات السور الأطول على الترتيب الذي غرد به الشيخ - حفظه الله -:

نظرات سورة الروم.

نظرات سورة الشورى.

نظرات سورة الأحزاب.

نظرات سورة الكهف.

نظرات سورة الحجر.

- كل النظرات كانت تغريدات ماعدا نظرات سورة (الكافرون) كانت منشورة في موقع الشيخ في مقال باسم: (الإيجاز في بيان أوجه الإعجاز في سورة [الكافرون]).

- تمت الإشارة برمز قبل التغريدات إلا في حال الترقيم.

- بعض التغريدات التي تكون مكملة لبعضها تم دمجها معا.

- نُقِلت معظم الآيات كما غرد بها الدكتور - بدون إكمالها -؛ إذ أن المقصد من ذلك إبراز الشاهد أو معنى معين.

هذا ونسـأل الله أن ينفع بهذا الكتاب، وأن يجزي شـيخنا الكريم خيرا، وأن يفتح عليه، وعلى القراء الكرام. آمين.

حساب سوانح الفكر

من هدايات ســـورة الفـــاتـــحـــة

- من عرف أسرار الدعاء (اهدنا الصراط المستقيم) أدرك أن الهداية اصطفاء تستفتح بالحمد والثناء (الحمد لله رب العالمين) وتستتبع بالرجاء (آمين).

- فليس أمر الهداية راجعا إلى فطنة إنســانية وذكاء بل إلى نعمة ربانية وزكاء فقد يوفق الله لها الضعفاء والبسطاء فضلا ويصرفها عن الأذكياء عدلا.(١)

- ولهذا امتن الله على المؤمنين بالهداية فقال (قل بفضل الله وبرحمته فليفرحوا)(٢) ففضل الله ورحمته التي يختص بهما من يشاء هما سبب الهداية والاصطفاء.

- وإذا كانت العقول الذكية تدل على الله ووجوب الإيمان به وطاعته فإن القلوب الزكية هي التي تحبه وتخشاه وترجو رضاه وتشتاق إليه وتتوكل عليه.

- ولهذا ورد (إن الله لا ينظر إلى صـــوركم بل ينظر إلى قلوبكم)(٣) وورد (ألا إن في الجســد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد إلا وهي القلب)(٤).

- نكمل النظرات في ســـورة الحمد وهي الباب وفاتحة الكتاب وفيها من الهدايات الربانية ما استحقت به التقديم والاستفتاح بها في التلاوات والصلوات.

- من أسرار الفاتحة أنها المثاني السبع التي تعادل القرآن بفضلها (آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم)(٥) والمثاني ليست خطابا للعباد كباقي السور.

- فهي مثاني من الثناء والتمجيد بين يدي الله جل جلاله عند الوقوف في الصلوات واستفتاح العبادة وعند استفتاح القراءة التي هي مصدر العلم والهداية.
- فالفاتحة تمجيد وثناء ودعاء من خطاب الرب على لسان العبد يستفتح به العبد السير إليه والاستهداء منه والتوسل إليه لاستقبال هدايات القرآن العظيم.

---

(١) سؤال ورد للدكتور ردا على التغريدة: ما الفرق بين الفضل والعدل؟ كيف يكون ذلك؟.
الجواب: هذا سر من أسرار القضاء والقدر، فالله يهدي من يشاء للحق والخير رحمة منه وفضلا ويضل من يشاء حكمة وعدلا (ولا يظلم ربك أحدا).
(٢) يونس : ٥٨
(٣) رواه مسلم.
(٤) متفق عليه.
(٥) الحجر : ٨٧

❁ وهي كالمحامد - كما في الصحيح - التي يلهمها الله رسوله المصطفى يوم القيامة حين يسجد ليشفع في الخلق والفصل بينهم فيثني على الله بها تمجيدا وحمدا.

❁ وفي ذلك إشارة إلى كمال ربوبية الله جل جلاله وحاجة الخلق إلى رحمته وهدايته وشدة افتقار الخلق وحاجتهم لرحمة ربهم وهدايته التي تستنزل بالحمد.

❁ وفي الصحيح (ليس أحد أحب إليه المدحة من الله ولهذا مدح نفسه)[١] فهو المستحق وحده للحمد أهل الثناء والمجد فبالحمد لله تتنزل الرحمة وتستحق الهداية.

❁ في قوله تعالى (الحمد لله) هدايات منها:

١- أن الحمد المطلق لله وحده بكل معانيه وصوره بما تفيده أل بدخولها على اسم معنى من شمول واستغراق وإطلاق.

٢- أن الحمد المطلق ثابت مستقر وحق لله وحده كما تفيده الجملة الاسمية التي تفيد الثبوت والاستقرار سواء شكره العبد أو كفره فهو الحميد أزلا وأبدا.

٣- وأن الحمد وهو شكر النعمة والاعتراف لمن صدرت منه بالفضل والجميل هو لله وحده فكل حمد حمده شاكر لنعمة وردت عليه إنما مستحقه على الحقيقة الله.

٤- وفيه إقرار بتوحيد الله وإفراده بالحمد كله وهو أول مقامات العبودية إذ فيه براءة العبد من الحول والقوة في جلب نعمة أو دفع نقمة لنفسه أو لغيره.

٥- وفيه تذكير العبد بجميل الرب وفضله عليه وتودده إليه لتكون العبودية لله قائمة ابتداء على الحمد والشكر وما يقتضيه من المحبة للمنعم والمودة له.

❁ من هدايات الفاتحة في (الحمد لله رب العالمين):

---

(١) رواه مسلم.

١- توحيد الله وإفراده بالربوبية للخلق جميعا وهو سبب استحقاقه للحمد كله إذ لا رب لهم يُحمد غيره.

٢- والرب في لغة العرب تطلق على الملك وعلى المالك لحق التصرف في الشيء وعلى السيد الذي له حق الطاعة فاستغرقت (رب العالمين) كل معاني الربوبية.

٣- وفيها نفي الربوبية عمن سوى الله فلا رب يملك الخلق معه ولا رب يتصرف فيهم سواه ولا رب له حق السيادة عليهم والطاعة غير الله وحده لا شريك له.

٤- فأبطلت ربوبية وسيادة فرعون (أنا ربكم الأعلى)(١) وطاعة العلماء وغيرهم (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله)(٢) (ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا)(٣).

٥- وليس الله رب العالمين ورب السموات والأرض فقط بل هو (رب الناس)(٤) وسيدهم الذي له وحده الطاعة والبشر بعد ذلك سواء لا طاعة ولا سيادة لأحد على أحد.

٦- وفي (رب العالمين) تودد وتحنن إذ الله جل جلاله رب الإنسان الذي يربيه ويعطف عليه والديه ويسوق رزقه إليه ويكلأ الخلق جميعا برحمته وفضله ومنه.

۞ من هدايات قوله تعالى (الرحمن الرحيم):

١- اتصاف الله بصفات الكمال المطلق للرحمة بشمولها الأكمل (الرحمن) وبلوغها الغاية الأجمل (الرحيم).

٢- وأن استحقاق الله للحمد المطلق هو لكونه جل جلاله مصدر الرحمة المطلقة الذي وسعت رحمته كل شيء وكل رحمة يتراحم بها الخلق فيما بينهم فمن رحمته.

٣- وفيه تعظيم لصفة الرحمة وأنها من أجلّ صفات الرب (رب العالمين . الرحمن الرحيم) كما فيه هداية العبد للتوسل إليه بهذا الاسم وبهذه الصفة الكريمة.

---

(١) النازعات : ٢٤
(٢) التوبة : ٣١
(٣) آل عمران : ٦٤
(٤) الناس : ١

٤- وفيه تودد من الله تعالى إلى خلقه وتعريف لهم بأسـمائه وصـفات الجلال والجمال والكمال الحسنى وبدأ بالرب الرحيم تذكيرا بنعمه عليهم ورحمته بهم.

٥- كما فيه إشـــارة بفاتحة الكتاب إلى أن هذا القرآن وهداياته وأخباره وأحكامه من رحمة الله فهو كما وصفه الله (هدى ورحمة)[١] فيستقبل بالحمد والشكر.

٦- وفي (الرحمن) معنى الشمول بالرحمة للخلق كافة فيما يشتركون جميعا به من النعمة وفي (الرحيم) معنى الاختصاص بالرحمة لمن اختصهم الله بمزيد لطفه.

٧- وفيه إشارة إلى أن خلق الرحمة قطب رحى رسالة القرآن السماوية وغايتها كما قال تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)[٢] فالراحمون يرحمهم الرحمن.

۞ من هدايات الفاتحة في آية (مالك يوم الدين):

١- إثبات المعاد الأخروي والجزاء على الأعمال يوم القيامة فقدم ذكر الرحمة ترغيبا ثم الجزاء ترهيبا.

٢- وأثبت أن الملك والسيادة لله وحده ابتداء (رب العالمين) وانتهاء (مالك يوم الدين) ليستقبل العبد هداياته بين الرجاء والخوف والحب والخشية.

٣- ثم أتبع ذلك بما يقتضـيه كونه رب العالمين بحق عباده (إياك نعبد) وما يقتضـيه كونه مالك يوم الدين (وإياك نستعين) على الطاعة التي تحقق النجاة.

٤- وقدم إياك وهو المفعول على الفعل نعبد ونســتعين لتحقيق التوحيد لأن تقديم المعمول يفيد الحصر والقصر أي لا نعبد إلا أنت ولا نستعين إلا بك وحدك.

٥- فاشـــتملت مطالع الفاتحة على بيان حقيقة الوجود وواحدية الخالق واتصـــافه بالربوبية والملك والرحمة وبداية الخلق ونهايته يوم القيامة والغاية منه.

۞ من هدايات سورة الفاتحة (اهدنا الصراط المستقيم):

---

(١) لقمان : ٣
(٢) الأنبياء : ١٠٧

١- وفيها بيان حاجة الخلق جميعا إلى هدايات الله من خلال رسـله وكتبه التي جاءت بالحق والعدل والرحمة .

٢- والهداية للحق والخير توفيق من الله واصـطفاء لا يرجع إلى فطنة العقول وذكائها بل إلى تقوى النفوس وزكائها وفي الحديث (كلكم ضال إلا من هديته)[١].

٣- والصـراط المسـتقيم هو طريق الله الموصـل إليه وإلى رضـوانه وجنته في الدنيا والآخرة (والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم)[٢].

٤- والصراط المستقيم معرف بالأل لوضوحه واشتهاره وعدم خفائه وموصوف بالاستقامة تمييزا له عما سواه من الطرق إلى الله والأديان التي اعتراها انحراف.

٥- وهذا الصراط المستقيم هو طريق جميع الأنبياء (صراط الذين أنعمت عليهم) وهو نعمة من الله على عباده ورحمة منه عليهم أن بين سبيل السعادة والحق لهم.

- ثم نفى الله عن هذا الصـراط المسـتقيم الذي هو طريق أنبيائه ونعمته على أوليائه أن يكون هو طريق المغضوب عليهم من الأشقياء والضالين من الأدعياء.

- وفي هذا إشـارة إلى أن الحق والطريق المستقيم وسط بين طريق المغضوب عليهم الذين عرفوا الحق وأعرضوا عنه وكتموه وطريق من أرادوه فضلوا عنه وجهلوه.

- ولعظمة الحمد وتضـمنها لهذه المقدمات كانت الباب وفاتحة الكتاب والسـبع المثاني التي تقرأ في كل ركعة استفتاحا واستهداء وكان القرآن كله بيانا لها.



(١) رواه مسلم.
(٢) يونس : ٢٥

الإيجاز في بيان أوجه الإعجاز

في سورة (الكافرون)

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على النبي الأمين، وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد سألني أحد الأخوة النجباء، والأدباء الأذكياء، عن وجه الإعجاز في سورة (الكافرون) والتي لا يظهر فيها عنده وجه الإعجاز؟!

وقد أجبته إجابة مختصرة مضمونها أن عدم الإتيان بمثلها كاف في إثبات إعجازها مع ما يتراءى لنا من سهولة النظم على مثالها، ثم لما تدبرت فيها من الغد إتباعا لقول الله تعالى (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها)[1] ظهر لي من أوجه الإعجاز البياني ما لم يخطر لي من قبل فشرعت أكتب تلك الخواطر من بعد صلاة الفجر إلى صلاة العصر حتى جاءت هذه الرسالة اللطيفة، وفي الآية أوجه أخرى لمن أنعم فيها النظر، وأجال فيها الفكر، وهذه بعض أوجه الإعجاز فيها:

الوجه الأول: أن التحدي والإعجاز تحققا عند عدم الإتيان بسورة على نحو هذه السورة، بقطع النظر عن البحث في وجه الإعجاز فيها، إذ عدم الإتيان هو الإعجاز ذاته، وقد كان باستطاعة المشركين أن يبطلوا دعوى النبي من أساسها بالإتيان بسورة من مثله، دون أن يسفكوا دماءهم، ويبذلوا أموالهم، وكان الإتيان بسورة واحدة كاف في إبطال الدعوى مع ظهور التحدي أولا بالإتيان بمثل القرآن ثم بعشر سور مثله مفتريات ثم بسورة واحدة كما في قوله تعالى: (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القران لا يأتون بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا)[2] (قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات)[3]، (قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين)[4] (فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا...)[5].

فلما لم يأتوا بشيء من ذلك، مع كون العرب أئمة البيان، وأهل اللسان، وأصحاب اللغة وأربابها، وآل الفصاحة وأصحابها، حتى نظموا من الشعر وقرضوا منه ما لم تقرضه أمة من الأمم كما

---

(١) محمد : ٢٤
(٢) الإسراء : ٨٨
(٣) هود : ١٣
(٤) يونس : ٣٨
(٥) البقرة : ٢٣ - ٢٤

نص على ذلك المؤرخ الفرنسي (جوستاف لويون) في كتابه (حضارة العرب)، وبلغ عنايتهم بعلوم اللسان، وفنون البيان، من شعر ونثر أن عقدوا لها الأسواق ليتباروا فيها أيهم أفصح لسانا، وأبلغ بيانا، حتى عبروا عما يعنيهم من أمورهم، وما تختلج من المعاني في صدورهم، وصوروها شعرا ونظما، كأنما يراها السامع رأي العين شكلا ورسما، وأخرجوها بأشعارهم من حيز المعنويات، إلى حيز الماديات، والمصورات المشاهدات، مما يقطع معه أن التحدي وقع لهم فيما يحسنونه وينظمونه، وكان أسهل عليهم أن يأتوا بسورة من مثله من تعرضهم للقتل والحرب، مع طول المدة والمهلة.

الوجه الثاني: إن الإعجاز هو في صرفهم عن الإتيان بمثل هذا القرآن، أو بعشر سور مثله، أو بسورة واحدة، فصارت كل سورة من سوره - مهما كانت قصيرة يتراءى للنفس إمكان الإتيان بمثلها - معجزة بذاتها لا يستطيع الخلق أن يأتوا بمثلها إلى قيام الساعة (فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا)[1] مع عدم وجود ما يحول دون الإتيان بمثلها حسًا وطبعًا، ومع استمرار وجود أعداء الرسالة، وقيام التحدي لهم في كل عصر، ومع استهزائهم بالقرآن وسوره، وادعائهم أنه مفترى، وأنهم يستطيعون الإتيان بمثله، وأنه أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وعشيا، ومع ذلك كله لم يأت أحد منهم بسورة واحدة يبطل بها التحدي، فكان صرف الخلق عن ذلك هو المعجز، وهو الإعجاز الدال على صدق الرسول، وصدق الرسالة، وأنها حق من عند الله، فاستوى بذلك القرآن كله، والسورة القصيرة منه.

إذ التحدي وقع في هذا وهذا، ولم يأت أحد بمثل ذاك و لا ذا، وهو أمر خارج عن العادة الإنسانية، ومصادم للسنن الاجتماعية، في اجتهاد الخصم والعدو في إبطال دعوى خصمه ونقضها بكل وسيلة يقدر عليها، ولما جبل عليه الإنسان بطبيعته من حب الظهور والظفر فيما هو أدنى من ذلك، فكيف بمثل هذا الأمر العظيم الذي تبطل به الأديان التي هي أحب عند أتباعها من النفوس والأموال؟!

وإذا كان (الحدوث دليل الإمكان) وكان القرآن والسورة الواحدة منه من جنس كلام العرب، وكان من جاء به واحداً منهم، وبشرًا مثلهم، فقد أصبح في حيز الإمكان أن يأتوا هم بمثله عادة، وخرج بذلك عن أن يكون مستحيلا عادة وعقلا الإتيان بمثله أو بسورة واحدة منه، وإذا لم يكن مستحيلا فقد وقع إذن التحدي فيما هو ممكن، إذ نظم ست عبارات مثل آيات (الكافرون) لا يستحيل عادة ولا عقلا، إذ هو كلام عربي مبين، واضح المعاني، سهل المباني، فكان عدم الإتيان بمثل هذه السورة وغيرها من سور القرآن القصار، هو المعجزة الظاهرة التي لا إعجاز أوضح منها ولا

---

(١) البقرة : ٢٤

أظهر، سواء أقيل الله هو الذي يحول بينهم وبين الإتيان بمثلها ويصرفهم عن ذلك، أم قيل إن الله خلى بينهم وبين ذلك فلم يستطيعوا، إذ الإعجاز تحقق بعدم الإتيان في حد ذاته بقطع النظر عن أسبابه.

الوجه الثالث: أن القرآن والسورة الواحدة منه كله كلام الله، وهذا أصل الدعوى وأساسها (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ)[١] (إنا علينا جمعه وقرآنه . فإذا قرأناه فاتبع قرآنه)[٢] (فأجره حتى يسمع كلام الله)[٣] وإذا كان العقل يقطع بأن ذات الخالق لاتشابه ذوات المخلوقين، فصفاته قطعاً لا تشابه صفاتهم، وكلامه لا يشبه كلامهم، وهذا بدلالة العقل الذي يقطع بأن لا موجود بلا موجد، ولا حادث بلا محدث، ولا مخلوق بلا خالق يتصف بصفات الكمال المطلق.

فإذا ثبت ذلك بدلالة العقل، وثبت أن إرسال الرسل وإنزال الكتب معهم لهداية الخلق إلى خالقهم هو من الممكنات العقلية، وأن خطاب الخالق إلى المخلوق في حيز الإمكان العقلي، وإذا ثبت لدى أهل الأديان قاطبة على اختلاف مللهم ونحلهم السماوية والأرضية أن الله أرسل كثيرًا من الرسل لهداية الخلق، وأنزل على بعضهم كتبا، وأوحى إليهم، وكلمهم، وكان حدوث ذلك كله دليل إمكانه، وكان آخرهم وهو محمد ﷺ قد أخبر بأن ما جاء به من قرآن هو من عند الله ومن كلامه ووحيه، والدليل عليه هو أن الخلق كلهم لو اجتمعوا ما استطاعوا أن يأتوا بمثله ولا بسورة واحدة، لأنه كلام الله، ثم لم يأتوا فعلا بمثله، كان ذلك أوضح حجة على أن هذا القرآن كلام الله حقا، يستوي بذلك القرآن كله، والعشر سور منه، والسورة الواحدة القصيرة ، إذ كلام الله ليس ككلام خلقه، كما أن ذاته ليست كذواتهم (ليس كمثله شيء)[٤] فالسبب في عدم قدرة العرب والخلق كافة على الإتيان بسورة واحدة قصيرة كمثل (الكافرون) هو كونها من كلام الله وكفى، والبرهان على ذلك هو عجز الخلق قاطبة عن الإتيان بمثلها، ولا تفسير لذلك بداهة إلا كونها من كلام الله، والإتيان بمثل كلام الله خارج عن حيز الإمكان العقلي، إذ يستحيل عقلا مماثلة المخلوق للخالق في ذاته أو صفاته، فصار القرآن من حيث هو كلام الله يستحيل أصلا الإتيان بمثله عقلاً، وخارجا عن حيز الممكنات، ومن حيث هو كلام عربي مبين، يتلوه رجل عربي أمي، بألفاظ وحروف من جنس ما يستخدمه العرب في كلامهم، في حيز الإمكان وفي نطاق قدرتهم، فكان التحدي بذلك أظهر.

الوجه الرابع: إن أسلوب القرآن ونمطه لا عهد للعرب به، فلا هو بالشعر، ولا هو بالنثر ،بل هو قرآن لا يشابه كلامهم مع كونه من جنس كلامهم، ومن مفردات لغتهم، بل إنه لا يشابه كلام النبي، فالفرق بين القرآن والحديث النبوي فرق ظاهر جلي مع كونهما وحي من الله (وما ينطق

---

(١) فصلت : ٦

(٢) القيامة : ١٧ - ١٨

(٣) التوبة : ٦

(٤) الشورى : ١١

عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى)[١] إلا أن القرآن كلام الله وخطابه، والحديث النبوي كلام الرسول وبيانه عن الله تعالى.

وكذلك الفرق بين كلام النبي ﷺ وكلام أصحابه واضح جلي، لا يكاد يخفى على من يعرف كلامه وأسلوبه ونمطه، وكذا الفرق بين كلام أصحابه وكلام أتباعه، ولهذا يسهل على أهل العلم المتخصصين أن يميزوا بين كلام النبي وكلام من سواه بالنظر للفظ والأسلوب، كما يستطيع أهل الشعر أن يميزوا بين قصائد الشعراء لمعرفتهم بأسلوب كل شاعر ونمطه، بل ربما استخرجوا من القصيدة الواحدة ما زيد فيها من أبيات ليس منها لكونها ليست من نمطها، ولا يكاد يختلط على أهل الشعر والأدب والنقد شعر أبي الطيب بشعر أبي العتاهية، ولا شعر أبي تمام بشعر البحتري، فضلا عن أن يختلط عليهم شعر أهل الجاهلية بشعر من بعدهم، وشعر العصر الأموي بالعصر العباسي الثاني.

وكذا يستطيع أهل التخصص من الأدباء والفصحاء معرفة أسلوب الرافعي وتمييزه عن أسلوب المنفلوطي، وأسلوب العقاد من أسلوب طه حسين، فلكل كاتب وشاعر أسلوبه ونمطه وطريقته التي هي كالبصمة لا يستطيع التخلص منها ولا انتحالها إلا على وجه من التكلف الذي يكشف حقيقة التقليد، وإذا كان الأمر كذلك كان محاكاة كلام الله أمرا ظاهرا لا يخفى، والتحدي إنما هو في المثلية (بسورة من مثله)[٢] والمثلية تقتضي المطابقة والمماثلة على وجه لا يمكن معه التمييز بينهما.

ونحن نرى الفرق ظاهرًا جليًا بين القرآن والحديث النبوي بحيث لا يخفى الفرق بينهما على من له أدنى معرفة في القرآن والسنة، ولو كان في مقدور أحد من البشر أو العرب أن يتأثر خطا القرآن ويتأثر أسلوبه ونمطه لكان ذلك في مقدور النبي ﷺ ، فقد كان أفصح العرب قاطبة، وكان يتلو القرآن بكرة وعشيا مدة ثلاث وعشرين سنة، ومع ذلك كله لم يقع في كلامه ﷺ ـ مع كثرة ما تواتر عنه وما حفظ من كلامه ـ ما يشابه القرآن ولو في عبارة واحدة مع أنه أوتي جوامع الكلم؟!

وهذا ما يجده المسلمون في أنفسهم، فإنهم يحفظون القرآن عن ظهر قلب، ويتلونه ليل نهار، ويخرج منهم الشعراء، والخطباء، والكتاب، وأئمة اللغة، وأرباب البيان، ثم لا يكاد أحدهم يواطئ أسلوبه أسلوب القرآن، ولا نمطه، ولو مصادفة بلا قصد؟! مع أن من يحفظ ديوان شاعر، ويعتني بشعره، ويكثر من ترديده، يستطيع محاكاته وتقليده، بل يتأثر أسلوبه ونمطه من حيث لا يشعر.

---

(١) النجم : ٣ ـ ٤
(٢) البقرة : ٢٣

ولا تفسير لهذه الظاهرة اللغوية في القرآن وأسلوبه ونمطه إلا كونه كلام الله تعالى، فظهر بذلك أن أسلوب السورة القرآنية القصيرة كسورة (الكافرون)، ونمطها، ونظمها، معجز في حد ذاته، لا يستطيع أحد الإتيان بمثله، إذ السور القصيرة كالسورة الطويلة، وكالعشر سور، وكالقرآن كله، على نمط واحد، وأسلوب واحد، وهذا ما يدركه كل عربي بداهة بسليقته، فمهما اختلفت السور في مضامينها، ومعانيها، وقضاياها التي اشتملت عليها، إلا إن أسلوبها ونمطها واحد، لا هو بالشعر ولا بالنثر، بل نمط آخر هو القرآن.

الوجه الخامس: أن الله وصف قرآنه بأنه هدى ونور وفرقان وبرهان وبيان وموعظة وحكمة... الخ وهذه الأوصاف تصدق على القرآن ككل، وما من سورة إلا ولها من هذه الأوصاف حظ ونصيب، فمن آيات البرهان والفرقان التي تخاطب العقول (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون . أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون)[١] وقوله: (قل هو الله أحد. الله الصمد...)[٢] وقوله: (قل لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا)[٣] ومثلها كثير.

فهذه الآيات ونحوها دلائل برهانية على إثبات وحدانية الله، فانتظام حركة الوجود، وصلاحه وعدم اضطرابه، دليل على خالقه الذي يصرفه، فهذا برهان عقلي يقوم على مقدمات منطقية هي:

المقدمة الأولى: لو تعددت الأرباب لفسدت السموات والأرض، و لاضطرب الوجود بسبب حدث التنازع واختلاف الإرادات بينهم.

المقدمة الثانية: وبما أنه لاضطراب ولا اختلاف في حركة الوجود بل صلاح وانتظام.

النتيجة: ثبوت وحدانية الرب وانفراده بالخلق والتصريف، واتصافه بكمال القدرة والعلم...الخ.

وباختصار فالتعدد يقتضي الفساد، وبما أنه لا فساد، فلا تعدد، بل وحدانية وانفراد مطلق.

ومن أمثلة الآيات الوعظية التي تخاطب القلوب قوله تعالى: (نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم)[٤]، (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقطنوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم . وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له...)[٥]

ومن أمثلة آيات الحكمة (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا...)[٦]، (ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا)[٧].

---

(١) الطور : ٣٥ - ٣٦
(٢) الإخلاص : ١ - ٢
(٣) الأنبياء : ٢٢
(٤) الحجر : ٤٩
(٥) الزمر : ٥٣ - ٥٤
(٦) الفرقان : ٦٣
(٧) الإسراء : ٣٨

ولهذا لم يقع التحدي بآية واحدة، إذ في القرآن آيات هي عبارة عن كلمة واحدة، أو حرف، ولا يظهر في مثل ذلك شيء من ذلك، كما لا يظهر فيه أسلوب ونمط يصلح به التحدي، وإنما يظهر ذلك ويتجلى بالكلام المركب، وذلك ظاهر في كل سورة مهما كانت قصيرة بخلاف الآية التي قد تكون حرفا واحدا مثل (ن . والقلم وما يسطرون)[1]

وسورة (الكافرون) لها نصيب من الوصف المذكور للقرآن على سبيل الإجمال، وهو كونه بيانا وهدى وفرقانا بين الحق والباطل.

وهذا يتجلى في هذه السورة في أوضح صورة فقوله: (قل يأيها الكافرون) خطاب ونداء موجه إلى الكافرين جميعا، فدخول (أل) على اسم الفاعل (كافر)، المشتق من (كفر)، المجموع جمعا سالما، هو من أبلغ صور العموم في لغة العرب، فقد أفاد الشمول والاستغراق لكل كافر من مشركي العرب ومن غيرهم، من كان موجودا آنذاك ومن يأتي من بعدهم، فعمهم النداء، وشملهم الخطاب، فلم يستثن منهم أحدا.

ثم قال (لا أعبد ما تعبدون) فجاء بالفعل المضارع (أعبد) الذي يفيد الاستمرار وتجدد الحدث، ثم سلط عليه أداة النفي (لا) ليفيد نفي عموم الفعل وتجدده، وجاء بـ (ما) وهي اسم موصول - مفعول به - وهي من أسماء العموم تفيد الاستغراق والشمول بمعنى (الذي)، وجاء بصلته (تعبدون) وهو فعل مضارع من الأفعال الخمسة، والواو واو الجماعة، فأفادت (ما تعبدون) عموم معبوداتهم، وعموم عباداتهم على اختلاف أنواعها وأجناسها، لكثرة معبوداتهم وأصنامهم، وأفرد معبوده بقوله (ما أعبد).

ثم قال (ولا أنتم عابدون ما أعبد) فجاء بالجملة الاسمية التي تفيد الثبات بعد الجملة الفعلية التي تفيد التجدد والحدوث، ونفى هذه كما نفى تلك، وجاء بالوصف المشتق وهو اسم الفاعل (عابدون) الذي يفيد أيضا معنى الاستقبال.

ثم قال (ولا أنا عابد ما عبدتم) فجاء هنا أيضا بالجملة الاسمية (أنا عابد)

التي تفيد الثبوت، كما جاء من قبل بالجملة الفعلية (لا أعبد) التي تفيد الحدوث والتجدد، ونفى هذه وتلك.

فلا ما يصدر عنهم من فعل العبادة كمثل ما يصدر عنه من فعل، ولا الوصف القائم به من العبودية (عابد) كالوصف القائم بهم من العبودية (عابدون)، ولا معبداتهم على اختلافها وكثرتها كمعبوده مع وحدانيته.

---

(١) القلم : ١ - ٢

ثم جاء بعد (عابد) بالمفعول وجعله اسما موصولا يفيد العموم وهو (ما)، وجعل صلته هنا فعلا ماضيا (عبدتم)، بينما جعل صلته من قبل فعلا مضارعا (ما تعبدون)، ليشمل النفي الماضي والحاضر والمستقبل.

ثم أكد ذلك بقوله (ولا أنتم عابدون ما أعبد) مرة ثانية على سبيل القطع والتأكيد، ليرفع ما قد يتوهمونه من إمكان أن يكونوا على شيء من دينه وعبادته.

ثم قال (لكم دينكم ولي دين) ليقطع عليهم طريق اللقاء به ماداموا على كفرهم وشركهم فلهم دينهم وله دينه.

فاشتملت هذه السورة مع قصرها وتكرار ألفاظها وتضمنت من صور العموم والشمول، والقطع والتأكيد، والنفي والإثبات، والبيان والوضوح، ما يجعل منها فرقانا بين الحق والباطل، والإيمان والكفر، والإسلام والوثنية، والتوحيد والشرك.

فمن صيغ العموم (أيها) و(الكافرون) و(ما) و(ماتعبدون) و(ما عبدتم) و (عابدون)، وجاء بأصرح ألفاظ النفي وهي (لا) وسلطها على الجملة الفعلية، والجملة الاسمية، كما سلطها على الفعل المضارع، والفعل الماضي (تعبدون) (أعبد) (عبدتم).

وجاء بـ (ما) وهي اسم موصول يفيد العموم ،تارة يأتي بمعنى (الذي)، وتارة يأتي بمعنى (الذين)، فأتى بالصلة بحسب السياق فقال (ماتعبدون) أي (الذين تعبدون) ليشمل كل معبوداتهم، وقال (ما أعبد) أي (الذي أعبد) ليفيد وحدانية معبوده.

وقد تكون (ما) أيضا مصدرية تسبك بما بعدها فيكون المعنى (لا أعبد عبادتكم) و(لا أنتم عابدون عبادتي).

وعليه فقد تضمنت السورة ما يلي:

١- نفي أن تكون عبادته كعبادتهم، كما نفى أن تكون عبادتهم كعبادته.
٢- ونفي أن تكون عبوديته (عابد)، كعبوديتهم (عابدون)، ولا صفته ووصفه القائم به كصفتهم ووصفهم القائم بهم، ولا صفتهم كصفته.
٣- ونفي أن يكون معبوده الواحد كمعبوداتهم، ولا معبوداتهم كمعبوده الواحد.
٤- ونفي أن يكون دينه كدينهم، ودينهم كدينه.

فلا الفعل كالفاعل، ولا الوصف كالوصف، ولا المعبود كالمعبود، ولا الدين كالدين.

فيصدق على هذه السورة القصيرة أنها بيان قاطع، وفرقان فارق، بين الحق والباطل، كما هو شأن القرآن ووصفه، والله تعالى أعلم.

الوجه السادس: أن التحدي جاء للخلق كافة أنسهم وجنهم، وعربهم وعجمهم، غير أنه لما كان العرب الذين نزل عليهم القرآن وهم عرب الجاهلية من أفصح الأمم، بل أفصحها على الإطلاق، ولما كانت حكمة الله تعالى تقتضي أن تكون آخر رسالة منه للعالمين، وآخر خطاب للعباد، رسالة بيانية، تنزل بأفصح وأوضح لغة، لتقوم حجة الله على خلقه إلى قيام الساعة، من حيث استمرار الحجة وبقائها، ومن حيث وضوحها وبيانها، ولا يتحقق ذلك إلا بأن تكون حجته بيانية لسانية، تتضمن أحكام الله وتشريعاته، وحكمه ومواعظه، وبراهينه وقصصه، وأخباره، على وجه تظهر فيه المعجزة من جهة، والبيان والوضوح من جهة أخرى، بحيث لا يحتاج الخلق معها إلى رسول آخر، ولا معجزة أخرى، ولا رسالة ثانية، بشرط أن يكون خطابه محكما محفوظا لا يأتي الباطل من بين يديه ولا من خلفه، حتى لا يدخل عليه الخلل بالزيادة فيه أو النقص منه، أو تحريفه وتبديله، و إلا لم تقم الحجة على الخلق، ولهذا قال: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[1] وقال (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)[2].

ولهذا امتن الله على عباده كافة بأن جعل خطابه وكتابه إليهم بلسان عربي مبين هو الغاية في الوضوح والبيان والإيجاز (كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون)[3].

كما امتن عليهم بحفظ الله له من التبديل والتحريف (لئلا يكون للناس على الله حجة)[4] فبلغ أفصح الخلق وأصدقهم رسالة الله إلى العرب كافة، فلم يمت حتى دخل العرب في دين الله أفواجا، ثم جعل الله العرب ـ وهم أفصح الأمم وأقدرها على الفهم والإفهام، والتبيين والبيان، بأوجز عبارة و أوضحها – واسطة بين الرسول وكافة الأمم (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)[5] فلم يمت آخر صحابي حتى بلغ الإسلام مشارق الأرض ومغربها، ودخلت الأمم من غير العرب في دين الله أفواجا، بعد أن بلغهم العرب حجة الله وخطابه وكتابه بلغاتهم على اختلاف ألسنتهم، فاستجابوا لله ورسوله، وعلم أهل الكتاب أنه الحق الذي بشرت به الأنبياء من قبل، وعلم غيرهم أن كل ما جاء به القرآن من عقائد وأحكام وأخلاق وآداب أوضح دليل على أنه من عند الله وأنه حق كله، كما قال تعالى: (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)[6] واستوى في ذلك العربي وغير العربي، فكان استجابة العرب للقرآن و إيمانهم به وعجزهم عن الإتيان بمثله ولو بسورة قصيرة، وشهادتهم له بأنه

---

(١) الحجر : ٩
(٢) فصلت : ٤٢
(٣) فصلت : ٣
(٤) النساء : ١٦٧
(٥) البقرة : ١٤٣
(٦) فصلت : ٥٣

أفصح الكلام وأوضحه وأجزله، وأنه خارج عن نطاق قدرة أدبائهم، وخطبائهم، وشعرائهم، دليل على أنه معجز وحجة وكان العجم تبعا لهم.

وكذا حال من يأتي بعدهم، إذ التاريخ شاهد على أنه لم يأتي بعد عرب الجاهلية من يجاريهم في الفصاحة والبيان، وفنون وعلوم اللسان، وأن قصارى من جاء بعدهم أن يحاكوا أشعارهم ويتبعوا آثارهم.

ومن هنا يظهر أن الله لم ينزل القرآن على هذا النحو الموجز المعجز تحديا للعرب، بل الصحيح أن الله هيأ العرب على هذا النحو واصطفاهم قبل البعثة، لينزل عليهم كتابه وخطابه الخالد ليفهموه ويبلغوه الأمم الأخرى، وذلك يقتضي إعدادهم على النحو الذي بلغوه وبرعوا فيه في علوم البيان قبل بعثة النبي ﷺ.

والمقصود أن العرب المشركين آمنوا بالقرآن كله، وأدركوا أن كل سوره الطوال والقصار، بلغت الغاية في الإعجاز البياني، ولم يروا فيه خللا، ولا نقصا، ولا عيبا، لا في طوال سوره ولا قصاره، مع اختلاف مضامينها و موضوعاتها، فإذا أقروا له بذلك، كان اعترافهم وإقرارهم حجة على من سواهم، من باب أولى، وهذا كما إذا شهد شعراء أهل عصر من العصور على أن أحدهم أشعرهم، فإن شهادتهم له حجة على أهل عصرهم ممن لا يحسن نظم الشعر ولا يقرضه، وليس لغير الشعراء والأدباء إلا التسليم لهم فيما أجمعوا عليه، وإن كان غيرهم لا يرى في شعره ما يرونه هم، ولا يتذوق منه ما يتذوقونه منه، وهذا كحال العامة في هذا العصر الذين لا يتذوقون الشعر العربي الفصيح، لا الشعر الجاهلي ولا الإسلامي، لفساد سليقتهم، وعجزهم عن فهمه وتذوقه، وبسبب قصورهم لا لقصور في الشعر العربي الفصيح، فلا يمكن للعامة أن يحكموا على الشعر العربي ولا أن يميزوا بين طبقات شعرائه، وإنما يقبل ذلك ممن تعلم العربية حتى غدا كأهلها سليقة.

وإذا كان هذا حال العامة مع الشعر العربي، وأنهم تبع لأئمة الشعر، وأدباء العصر، في تذوقه، وفهمه، فكذلك حالهم مع القرآن، فإنهم تبع في فهمه وتذوقه لعرب الجاهلية، الذين أسلموا طوعا وإيمانا منهم بأنه كلام معجز لا يمكن الإتيان بمثله، وأنه لا يجارى في بلاغته، ونظمه، وبيانه، وحكمه، يستوي في ذلك طوال سوره وقصارها، إذ لو رأوا فيه خللا، أو ضعفا، أو عيبا في لغته، لحال ذلك بينهم وبين الإيمان به، و لكان حجة لكل من يرفض الدخول فيه، غير أنهم لم يفعلوا فدل ذلك على أحكامه وإعجازه، ومن ذلك سورة (الكافرون).

الوجه السابع: أن إعجاز القرآن على وجوه عدة منها:

١- إعجاز بياني من حيث النظم والأسلوب، واستخدام الألفاظ، ومراعاة مقتضى الحال والخطاب، على اختلاف الموضوعات التي طرقها.

٢- إعجازه التشريعي وتفصيله للأحكام على كثرتها بأوجز عبارة وأوضحها كما في آيات الفرائض (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد...)[١] فقد اشتملت ثلاث آيات محكمات من القرآن على علم الفرائض والمواريث كله، وقسمت الفرائض وحددت نصيب كل وارث، في كل أحواله، في حال انفراده وحده ، وحال اجتماعه مع غيره، وفي حال الذكورة، أوحال الأنوثة، وحال الأبوة، وحال البنوة، وحال الكلالة، على نحو يحتاج بيانه إلى كتب كاملة، وهو ما ليس في نطاق البشر أن يأتوا بمثله على هذا النحو الموجز.

ومع تفاوت نزوله بحسب الحوادث مدة ٢٣سنة إلا أنه لا يوجد تعارض بين أحكامه وتشريعاته، بل كأن آياته لشدة أحكامها نزلت جملة واحدة.

٣- إعجازه الخبري سواء في إخباره عن الماضي، وما وقع فيه من حوادث وقع الخلاف فيها بين أهل الأديان والكتب السابقة، فقصها على الوجه الصحيح كأنه حضرها، أو فيما أخبر به من حوادث المستقبل مما وقع بعد ذلك على وفق ما أخبر، كالإخبار عن ظهور الإسلام وعلوه على الأديان، مع كون ذلك نزل في مكة في حال الضعف والاضطهاد.

٤- إعجازه العلمي حيث تحدث القرآن عن قضايا الوجود وخلق السموات والأرض، و أنهما كانتا رتقا ففتق الله بينهما، وأنه جعل من الماء كل شيء حي، وأن أصل ذلك الدخان ... الخ
ومازال العلم المادي الحديث منذ نشأته يتوافق مع ما جاء في القرآن من هدايات علمية.

٥- الإعجاز الترتيبي حيث أن ترتيب سوره، وكذا ترتيب الآيات في كل سورة، على وفق نظام بديع معجز، مع كونه نزل مفرقا منجما مدة ثلاث وعشرين سنة، فجاء ترتيبه على نحو لا نظير له، لمن تدبر فواتحه، وخواتيمه، وتناسبها، وتناسقها.

٦- الإعجاز العددي حيث وردت فيه كثير من المفردات والألفاظ، كالسماء والأرض، والليل والنهار، والسمع والبصر، والذكر والأنثى... الخ على نحو من التوافق والتناسب العددي المعجز.

٧- الإعجاز الإتقاني ويتجلى ذلك في حفظه وضبطه على نحو فريد لا يشاركه ما من كتاب بما في ذلك كتب أهل الأديان الأخرى إلا في نسخها اختلاف ونقص وزيادة، هذا مع أن القرآن

---

(١) النساء : ١١

نزل على أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب، وعلى نبي أمي، ومع ذلك تحقق له هذا الأمر المعجز الذي لا ينازع فيه إلا مكابر، حتى شهد له بذلك المنصفون الغربيون، ولم يقتصر الحفظ والضبط له بالرسم والخط، بل بالقراءة، واللفظ، والتجويد، وكيفية قراءة كل حرف فيه.

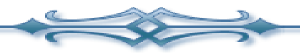
وكذا يتجلى الإعجاز الإتقاني في إحكام آياته، حتى وقع التحدي فيه كما في قوله تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)[1] فليس فيه اختلاف ولا اضطراب، بل إحكام وإتقان، يصدق بعضه بعضا، ويفسر بعضه بعضا، حتى كأنه نزل جملة واحدة لا مفرقا على حسب الوقائع والحوادث مدة ثلاث وعشرين سنة؟!

فهذه بعض صور ووجه الإعجاز القرآني، ولكل سورة نصيب وحظ من هذه الوجوه والصور، ومن ذلك سورة (الكافرون)، ففيها إعجاز بياني يتجلى في عجز مشركي العربي عن الإتيان بمثلها، وكذا إعجاز خبري حيث تحقق صدق ما أخبرت به هذه السور القصيرة من أنه لا لقاء بين دين التوحيد ودين الشرك، لا في الماضي، ولا في الحاضر، ولا في المستقبل، مع كونها سورة مكية، وكان ممكنا أن يصلوا إلا حل وسط يرضي الطرفين، غير أن ما أخبرت به السورة هو الذي تحقق على أتم وجه وأكمله.

وكذلك فيها إعجاز ترتيبي فقد جاءت بعد سورة (الكوثر) وهي مكية، وفيها إخبار بإكرام الله لنبيه ونصره وإعزازه (إن شانئك هو الأبتر)[2] والكوثر تعني الكثرة، مع أن (الكافرون) فيها مقاطعته لقومه واعتزاله إياهم (لكم دينكم ولي دين)، ثم جاءت بعدها سورة مدنية وهي (النصر) (إذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا)[3]

والتناسب بين السور الثلاثة ظاهر جلي، وقد تحقق ما أخبر الله به في (الكوثر) من قطع وبتر أعدائه، وما أخبر به في (الكافرون) من عدم اللقاء والتوافق بين النبي ﷺ وأعدائه، وأن لكل دينه وطريقه، وما أخبر الله به في (النصر) من دخول المشركين في نهاية المطاف في دين الله أفواجا؟!!

وكذلك في (الكافرون) إعجاز إتقاني فلا اختلاف ولا اضطراب ولا تعارض بينها وبين كل سور القرآن وآياته في موضوعها ومضمونها وإخبارها ونظمها وأسلوبها. والله تعالى أعلى وأعلم.



---

(١) النساء : ٨٢
(٢) الكوثر : ٣
(٣) النصر : ١ - ٢

نظرات في سورة الماعون

- تدبر قولـه تعالى (أرأيت الذي يكذب بالدين . فذلك الذي يدع اليتيم . ولا يحض على طعام المسكين) فقد ربط بين حقيقة الدين وغايته وهو الإحسان إلى الإنسان.

- فقد جعل أبرز صفات المكذبين بالدين طردهم لليتيم وظلمهم للضعيف وعدم حثهم الآخرين على إطعام المساكين وليس فقط قيامهم هم بالإطعام للمساكين!

- والتكذيب بالدين هنا إما عدم التصديق بشرائعه وأحكامه التي تأمر بالإحسان إلى الخلق وتعد بالثواب عليه والعقاب لمن فرط فيه أو التكذيب بالحساب.

- فالتكذيب بالدين أي بيوم الدين وهو يوم الجزاء والحساب والعقاب في القيامة إذ السبب الذي يبعث الإنسان على العمل الصالح هو إيمانه بالبعث والجزاء.

- وفي الحديث (الصلاة نور والصدقة برهان)[١] أي دليل على الإيمان لأن من يتصدق على الفقراء بالعاجل رجاء الثواب الآجل لا يفعل ذلك إلا عن إيمان ويقين.

- ثم قال (فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون) وهم المشركون الذين يصلون في البيت الحرام (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية)[٢] بلا إيمان.

- وفي قراءة ابن مسعود (عن صلاتهم لاهون) لأنهم وإن كانوا يحجون ويصلون إلا أنها صلاة لهو ولعب لا حقيقة لها فلا تنهاهم عن ظلم ولا تحثهم على إحسان.

- فالمشركون المكذبون بيوم الدين وبالدين وأحكامه يصلون عند البيت إلا أنهم ساهون لاهون عن حقيقة الصلاة التي تنهى الإنسان عن الفحشاء والمنكر.

- ولهذا قال فيهم (ما سلككم في سقر . قالوا لم نكُ من المصلين . ولم نكُ نطعم المسكين)[٣] فجمعوا بين تفريطهم في الصلاة وهي حق الله وإطعام المساكين ورحمتهم.

---

(١) رواه مسلم.
(٢) الأنفال : ٣٥
(٣) المدثر : ٤٢ ~ ٤٤

- فســـاهون أي لاهون معرضـــون عن الصـــلاة والعبودية لله كما قال (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات)[1] وعبر باسم الفاعل ساهون كوصف ثابت.

- وهذا بخلاف المؤمنين فإنهم لا يقال عنهم ساهون عن صلاتهم بل قد يسـهون عن صلاتهم كما في الصحيح (من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها)[2].

- ثم قال تعالى (الذين هم يراءون . ويمنعون الماعون) فصـلاة المشـركين عند البيت ليسـت عن إيمان ويقين بالله بل هم يراءون في استقبال الحجيج وخدمتهم .

- كما قال (أجعلتم سـقاية الحاج وعمارة المسـجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين)[3].

- فالمشــــركون بالله يراءون الناس بأعمالهم ومع ذلك (يمنعون الماعون) عن المحتاجين واليتامى والمساكين وكل من يحتاج إلى العون والإعانة والمعونة!!

- فتدبر سورة الماعون مع قصرها وهي سورة مكية وكيف اشتملت على حقيقة الدين وغايته والعبودية للحق جل جلاله وغايتها الرحمة بالخلق والإحسان إليهم.

- الآية في قوله (يكذب بالدين) تحتمل يكذب بالجزاء والحســـاب ويطلق عليه في اللغة الدين وهو يكون يوم القيامة ولهذا سماه الله يوم الدين أي يوم الحساب.

- وتحتمل يكذب بالدين أي يكذب بأحكام الدين وشرائعه وأخباره كما في حديث جبريل الطويل (هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)[4] وكلا المعنيين محتمل وله وجه.

- لا فرق بين (عن صـلاتهم سـاهون) أي معرضـون و لاهون وقوله (لم نكُ من المصـلين)[5] من حيث أن المعرضين عن الصلاة ليسوا من المصلين قطعا.

- أجمع المسلمون على كفر من لا يصلي جاحدا أو مستخفا بها أما من لا يصلي تسويفا لها ورجاء أن يتوب في المستقبل مع إيمانه بوجوبها فقد اختلفوا فيه .

---

(١) مريم : ٥٩
(٢) رواه مسلم.
(٣) التوبة : ١٩
(٤) رواه مسلم.
(٥) المدثر : ٤٣

- [1] أبرز مظاهر التكذيب بالدين زجر اليتامى وظلمهم ومنع المساكين وحرمانهم (أرأيت الذي يكذب بالدين . فذلك الذي يدع اليتيم . ولا يحض على طعام المسكين)؟!

- قرن الله بين جريمتي الإعراض عن طاعته ومنع العون والمساعدة لعباده (فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يراءون . ويمنعون الماعون)؟!

- الغاية من الدعوة إلى الإسلام إسعاد الإنسان في الدنيا بالإيمان والعدل والإحسان وإسعاده في الآخرة بالجنة والرضوان (والله يدعو إلى دار السلام)[2].

- عاب القرآن على المشركين صلاتهم ودعاءهم عند البيت مع سهوهم عن حقيقة الصلاة (الذين هم عن صلاتهم ساهون) حيث لا تحملهم صلواتهم على عون المحتاجين.

- نعى القرآن على الملأ في مكة تظاهرهم رياء بخدمة البيت والحجيج مع ظلمهم للضعيف واليتيم والفقير والمحتاج (الذين هم يراءون . ويمنعون الماعون)؟!

- استشكل بعض الأخوة تغريدات اليوم حول سورة الماعون ورجح أن المقصود بآية (الذين هم عن صلاتهم ساهون. الذين هم يراءون) المنافقون لا المشركون.

- والصحيح أن سورة الماعون مكية على قول الجمهور وهو الراجح والنفاق لم يظهر إلا في المدينة فالمراد بقوله (يراءون) المشركون وليس المنافقين.

- وقد وصف القرآن المشركين بالرياء في قوله (كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله)[3] وهم مشركو قريش يوم بدر بلا خلاف.

- وعاب القرآن حال المشركين في سورة الفجر وهي مكية (كلا بل لا تكرمون اليتيم . ولا تحاضون على طعام المسكين)[4] وهو كوصفهم في سورة الماعون.

- ذكر القرآن سبب عذاب المشركين في سورة المدثر وهي مكية (قالوا لم نك من المصلين . ولم نك نطعم المسكين... وكنا نكذب بيوم الدين)[5] كما الماعون.

- ونفي الصلاة عن المشركين في المدثر لا ينافي إثبات صفة المصلين لهم في سورة الماعون إذ صلاتهم كالعدم لأنهم ساهون وغافلون عن حقيقتها.

---

(١) مجموعة تغريدات إضافية عن تفسير السورة.
(٢) يونس : ٢٥
(٣) الأنفال : ٤٧
(٤) الفجر : ١٧ - ١٨
(٥) المدثر : ٤٣ - ٤٤ - ٤٦

- **أثبت القرآن بأن مشركي العرب كانوا يصلون (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية)[1] فهم ساهون وغافلون عن الصلاة التي تثمر إيمانا ورحمة.**

- **فسورة الماعون مكية عابت على قريش تظاهرهم بخدمة البيت الحرام وإطعام الحجيج وسقايتهم رياء وطلبا للجاه لا إيمانا بالله واليوم الآخر.**

- **فمع ما كانوا ينفقون من أموالهم في عمارة البيت الحرام كانوا يحرمون اليتامى ويحقرون المساكين والضعفاء ويمنعون الماعون فلم تنفعهم صلاتهم.**

- **جاءت سورة الماعون بعد سورة قريش لبيان حالهم في كفرهم نعمة الله عليهم الذي أطعمهم من جوع فلم يحضوا على طعام المسكين ولم يبذلوا الماعون.**



(١) الأنفال : ٣٥

نظرات قرآنية حول سورة الـعصـــر

- قال تعالى (والعصر) فأقسم سبحانه بالزمن وهو الظرف الذي تجري فيه الوقائع والأحداث وتجري بجريانه وتنقضي بانقضائه فما من حدث وفعل ينفك عن الزمن.

- والعصر يطلق على الزمن كله وعلى بعض الزمن فكل الزمن يستغرق وجود الإنسان منذ أول البشر إلى آخرهم وما وقع منهم من أفعال وما جرى بينهم فهو عام.

- وقد يراد بالعصر بعض الزمن وهو زمن كل إنسان منذ أن يولد إلى وفاته وما جرى فيه ومنه من أفعال وأحداث وكلاهما مراد في سورة العصر الإنسان والناس.

- والافتتاح بالقسم أسلوب قرآني معجز والمقصود منه لفت الأنظار إلى ما في المقسم به من الآيات الشاهدات على وحدانية الله وقدرته وصفات جلاله وجماله.

- وقوله (إن الإنسان لفي خسر) فقطعت الآية بأن الإنسان فردا كان أو جنسا في خسر ونقص وهو حق فالإنسان منذ يولد وعصره وزمنه في نقص حتى يفنى ويموت.

- وكذا الإنسانية منذ وجدت وهي في نقص حتى يفنى كل جيل وعصره إلى أن يفنى الوجود الإنساني وينتهي زمنه بانتهاء مدته وقيام الساعة فثبت أنه في خسارة.

- ثم استثنى فقال (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وذلك لأن العصر المحدود في الدنيا امتد لهم في الآخرة في عصر ممدود لا نهاية له وهو الخلود.

- فكل إنسان في خسر ونقص منذ أن يولد إلى أن يموت إلا من استثمر عصره وعمره المحدود بالإيمان والعمل الصالح من أجل العصر والعمر الممدود في الآخرة.

- وجمعت الآية أربعة أعمال هي سبب الخلود:

١- الإيمان إذ به يتجاوز الإنسان عالم المادة المحدود الفاني إلى عالم الغيب حيث يمتد له الوجود بلا حدود.

٢- والعمل الصالح حيث يتحقق به الخلود الدنيوي بالذكر الجميل قبل وبعد الموت والجنة والخلود يوم القيامة كما قال (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون)[1].

٣- والتواصي بالحق إذ الإنسان مدني واجتماعي بطبعه وهو في حاجة من يشد أزره ويوصيه بالحق ويعينه عليه ويذكره إذا نسي ويحثه إذا كسل ويؤنسه بوحشته.

---

(١) النحل : ٣٢

٤- ثم التواصي بالصبر وهو كما قال تعالى (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب)[(١)] فكم من عالم بالحق لا يقوم به بسبب فقده للصبر على تبعات القيام به.

- **والصبر عبادة نفسية يستصحبها المؤمن في جميع حالاته فلا بد له من الصبر على أداء المأمور والصبر على ترك المحظور والصبر على القضاء المقدور.**

- **فلا ينفع إيمان بلا عمل صالح بل لا حقيقة لدعوى الإيمان دون العمل الصالح ولا يتحقق ذلك إلا بمعرفة الحق والتداعي إليه ولا يدوم إلا بالصبر عليه.**

- **ولهذا قال الشافعي لو لم ينزل على الناس إلا سورة العصر لكفتهم في بيانها لحقيقة حياتهم وأسباب نجاتهم ونحن أحوج ما نكون اليوم للتواصي بها.**

- **فكل جزء من الزمن والعمر يفوت العبد دون زيادة إيمان أو عمل صالح أو قيام بالحق وتواص به أو صبر عليه أو مباح يعين على شيء من ذلك فهو نقص وخسر.**



---

(١) الزمر : ١٠

نظرات قرآنية حول سورة البـــلـــد

- من يتدبر القرآن حق تدبره يعرف حقيقة الإسلام وغايته ومكانة الإنسان في خطاب القرآن كما في سورة البلد وهي مكية حيث جعل النجاة من العقبة بالصدقة.

- فقال (لقد خلقنا الإنسان في كبد) أي في مشقة وابتلاء: مشقة الصبر على الابتلاء القدري ومشقة الصبر على الابتلاء الأمري (ليبلوكم أيكم أحسن عملا)(١).

- فالعبد لا بد له من فعل المأمور وتجنب المحظور والصبر على المقدور وكل ذلك فيه مشقة على النفس وكل إنسان لا ينفك يجد هذا الكبد في حياته كلها.

- وهذا الكبد والمشـــقة أوضـــح دليل على افتقار المخلوق للخالق وحاجته إليه فلا يســـتغني الإنسان عن الله طرفة عين فهو يتقلب بين نعمه ونقمه وإن جحد وكفر.

- ثم عدد الله على الإنسان نعمه، نعمة البصر والنطق والعقل ثم حثه على استخدام هذه النعم بالنجاة من العقبة (فلا اقتحم العقبة) أي تجاوزها ونجا.

- ثم بين الله هذه العقبة التي تحتاج إلى اقتحام للوصـــول إلى بر الأمان (وما أدراك ما العقبة) فقال (فك رقبة . أو إطعام في يوم ذي مسغبة) فبدأ بالإحسان.

- فجعل فك رقبة الأسير والعفو عنه وتحرير الرقيق أول الأعمال الصالحة للنجاة يوم القيامة كما قال (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا)(٢).

- وقد بدأ بفك الرقبة قبل الفقراء واليتامى لشـــدة ضـــعف الأســـير الموثق والرقيق المملوك وافتقارهم إلى العون والمساعدة ولتطلع الإسلام للحرية والتحرير.

- وجاء في الحديث (فكوا العاني وأطعموا الجائع)(٣) ولهذا كان من أشرف الأعمال الجهاد في سبيل إطلاق الأسارى سواء من يد العدو الكافر أو السلطان الجائر.

- ثم ثنى القرآن (أو إطعام في يوم ذي مسغبة. يتيما ذا مقربة. أو مسكينا ذا متربة) فهذا سبيل اقتحام العقبة يوم القيامة والنجاة من العذاب والمشقة.

---

(١) الملك : ٢
(٢) الإنسان : ٨
(٣) رواه البخاري.

- وقيد الإطعام بأن يكون في أيام الشـــدة والعســـر والســـغب لا في أيام الرخاء وهذا في حق الطاعم وفي حق المطعم فكلما كانا في شدة وعسر تعاظم بذلك الأجر.

- وقدم إطعام اليتيم ذي القربى على من ســـواه لعظم حقه على ذوي قرباه ولشـــدة حاجته إلى من يرعاه وفي رعايتهم له صدقة من جهة وصلة رحم من جهة أخرى.

- ولهذا جاء في الحديث (أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين)[1] وأشـــار بأصـــبعيه الشـــريفتين لبيان عظم أجر كفالة اليتامى ورعايتهم والإحسان إليهم ورحمتهم.

- ثم ثلث بالمســـاكين (أو مســـكينا ذا متربة) وهو الفقير شـــديد الفقر والفاقة الذي لا يجد إلا افتراش التراب فجعل إطعامه من أسباب النجاة وتجاوز العقبة.

- واشـــترط لهذه الأعمال الصـــالحة شـــرط آخر (ثم كان من الذين آمنوا وتواصـــوا بالصـــبر وتواصوا بالمرحمة. أولئك أصحاب الميمنة) وهم أصحاب السعادة والفوز.

- فدل على أسباب النجاة والنجاح والفلاح وهي:

الأول: الإيمان وأن يكون الإحسان إلى الخلق لوجه الله ورجاء رحمته يوم القيامة لا للشهرة والرياء والمنة.

والثاني: الصبر على ما في هذه الأعمال الصالحة من مشقة إذ الإطعام في أيام الشدة والبذل في أيام المجاعة عسير على النفس لا تقوى عليه إلا بالصبر.

- والتواصـي بالصـبر درجة أعلى من الصـبر نفسـه فهو حث للآخرين على الصـبر حين فعل الأعمال الصالحة وحثهم على عدم الجزع مما فيها من مشقة وبذل وعناء.

- والتواصي تفاعل يدل على الإيجابية في المجتمع فيجد الإنسان حين قيامه بالإحسان للخلق والجهاد في سبيلهم من يعينه على ذلك ويحثه على الصبر عليه.

- وهذا بخلاف المجتمعات الســـلبية التي تشـــيع فيها الروح الانهزامية والأنانية فلا تقوم بمعروف ولا تتصدى لمنكر ولا تعين من يقوم بذلك بل قد تسخر منه.

والثالث: التواصـــي بالمرحمة وهي أشـــد درجات الإحســـان بأن يكون المؤمنون جميعا يدا واحدة يعين بعضهم بعضا على الإحسان إلى الخلق وعلى الرحمة بهم.

---

(١) رواه البخاري.

- **والمرحمة مفعلة تدل على شـيوع الرحمة في المجتمع حتى لا ترى فيه إلا راحما ومرحوما ورحما معظمة وأرحاما موصولة ورحمة تعم الجميع وينعمون بها.**

- **والمرحمة هي الغاية من إرســـال النبي ﷺ (وما أرســـلناك إلا رحمة للعالمين)[1] فهو نبي الرحمة (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام)[2] وكل رحمة هي من الله.**

- **وليس الإحســـان إلى الخلق والرحمة بهم خاصـــا بالمســـلمين بل هو عام لكل إنســـان بل وللحيوان كما في الحديث (في كل ذي كبد رطبة أجر)[3] فالرحمة بالعالمين.**

- **والعموم والإطلاق في الآية (فك رقبة. أو إطعام) دليل على دخول كل إنسان في هذا الخطاب.**

- **ولهذا سأل ابن حزام النبي عن أعماله الصالحة بالجاهلية فقال يا رسول الله: أرأيت أعمالا كنت أعملها في الجاهلية من عتق وصـدقة وصـلة رحم فقال له: (أسـلمت يا حكيم على ما سلف لك من خير)[4] فلا يضيع عند الله.**

- **فتدبر ســـورة البلد وهي مكية كيف دعت أهل الجاهلية إلى العتق والإطعام والإحســـان إلى الخلق والرحمة بالأسير والرقيق واليتيم والفقير والتواصي بهم.**

- **فهذه من غايات الإســلام التي أولاها القرآن عناية عظيمة وما أحوج الأمة اليوم للتواصـــي بهذه المعاني وإشاعة المحبة والرحمة والإحسان لبني الإنسان.**



---

(١) الأنبياء : ١٠٧

(٢) النساء : ١

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

تأملات في سورة الـــروم

- ما القضـــية التي جاءت ســـورة الروم لمعالجتها وتفصـــيل القول فيها؟ وما المســـائل التي تحدثت عنها أكثر آيات السورة؟ السؤال يحتاج تدبر من أهل التفسير.

- إنه لا يمكن معرفة القضية الرئيسة التي جاءت السورة لمعالجتها ما لم تعرف أحوال الأمم والأديان قبل الإسلام خاصة الروم التي افتتحت السورة بخبرهم.

- السورة مكية من ستين آية لم تترك قضية حارت الفلسفة اليونانية بالخوض فيه من قضايا الطبيعة وأصل الوجود والإنسان وبدايته ونهايته إلا وأجابت عنه.

- والســورة كلها في شــأن الروم وما هم عليه وما كانوا عليه من آراء وفلسـفات وأديان فقد افتتحت السورة بقوله تعالى (ألم . غلبت الروم).

- ثم قال (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) وهذه حال الروم وحضارتهم وما كانوا عليه آنذاك فعلومهم عن مظاهر الدنيا وزينتها.

- ثم أمر القرآن بالبدء بالتفكر في النفس وفي الوجود وهي القضـــية التي مازالت الفلســـفة اليونانية - التي هي أصل ثقافة الروم - لم تحسمها.

- فقال تعالى (أولم يتفكروا في أنفســهم ما خلق الله الســموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون).

- فقد أجاب عن أصل الوجود وأن الله هو الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما وأنه خلقه بالحق ولغاية وحكمة لا عبثا ولا سدى وأن له نهاية وأجل.

- فقد ظلت قضية الوجود وبدايته ونهايته أم القضايا في الفكر الإنساني والفلسفة اليونانية التي ورثها الروم.

- ثم أمرهم أن ينظروا (أولم يســـيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها).

- فقد كان الرومان آنذاك أكثر أمم الأرض عمرانا ومع ذلك كان قبلهم عاد وثمود وفراعنة مصر الذين كانوا أشد قوة وآثارا في الأرض فلم يبق منهم أحد.

- فلم يبق من تلك الأمم أحد بعد أن أرسل الله لهم الرسل والبينات فعصوا وكفروا وظلموا أنفسهم ثم قال (الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون).

- وهذه هذه القضية التي طالما دار حولها الجدل وهي قضية قدم العالم التي قال بها أكثر أرباب الفلسفة حيث نفوا أن يكون الخلق قد كان من العدم.

- فأخبر الله أنه الذي يبدأ الخلق من لا شيء وهو على كل شيء قدير ثم يفنيه ثم يعيده كما خلقه أول مرة وهو أهون عليه ثم إليه ترجعون وتعودون.

- ثم قال وهنا استخدم معهم القياس المنطقي (يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون).

- فاستخدم معهم القياس التمثيلي والشمولي الذي تقوم عليه نظرية المعرفة العقلية عند سقراط وأفلاطون وأرسطو.

- فالحس يشاهد أحداث جزئية كثيرة يخرج فيها الحي من الميت كما يخرج الطير من البيضة وكما تنبت الأرض زروعها وثمارها وتتحقق فيها الحياة بعد الممات.

- فقياس تمثيل الغائب على المشاهد يقضي بأن هذا ما سيحدث للإنسان بعد الوفاة (وكذلك تخرجون) أي فكذلك خروجكم بعد موتكم وبعثكم ونشوركم كحياة الأرض.

- ثم تحدث عن أصل خلق الإنسان الذي حارت فيها الفلسفة (ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون) وهي النظرية التي توصلت لها الفلسفة ظنا.

- فجاء القرآن ليؤكدها فقد خلق الله آدم أول البشر من تراب الأرض (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى)[1].

- قال تعالى (ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون) فالملايين من البشر على مر العصور يموتون ويعودون إلى التراب ثم يولدون وينتشرون.

- ومن تدبر هذه الآية وحدها علم يقينا أن أصل الإنسان من تراب (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى)[2] فالأجساد تعود للتراب من حيث تأتي.

---

(١) طه : ٥٥
(٢) طه : ٥٥

- وقد جعل الله آيته الباهرة وحجته الظاهرة أنه خلق الإنسان من تراب جامد فإذا هو من روح ولحم ودم وعظم وبشر يتكاثر وينتشر ويفكر.

- وأجاب عن سر الثنائية والذكر والأنثى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون).

- والتفكر وحده في هذه الرحمة والمودة التي يجعلها الله بين الزوجين حتى تكون المرأة الغريبة البعيدة بعد الزواج أقرب من نفسه آية لله في الخلق.

- وانظر كيف يعطف الرجل القوي على المرأة الضعيفة وكيف يسعى في قضاء حاجتها ويكدح من أجلها وقد لا تكون جميلة ولا مقبولة إلا في عين زوجها بالمودة.

- وانظر كيف تحب المرأة الجميلة زوجها وتغار عليه أشد الغيرة وقد لا يكون جميلا ولا مقبولا إلا في عينها بالمودة والرحمة التي يلقيها الله بينهما.

- وذلك كي تستقيم الحياة في الأرض ويتحقق الانتشار للبشرية كي تعمر الأرض وتستخلف فيها بهذه الثنائية وبهذه المودة والرحمة في الأسرة أساس المجتمع.

- فليست المرأة شيطانا ولا شرا كما كنت تنظر إليها الفلسفات القديمة بل هي والرجل كلاهما أصل الحياة فهما نفس واحدة وعنصر واحد وليست مخلوقا آخر.

- ثم أجاب عن سبب اختلاف أجناس البشر (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين) فأبطل العنصرية والعصبية.

- فالإنسان أخ الإنسان مهما اختلفت اللغات والألوان ولا فرق بين أبيض وأسود ولا بين عربي وأعجمي ورومي وهي من القضايا التي ضلت فيها العقول.

- وما زالت الإنسانية تعيش العنصرية بكل أشكالها بسبب اختلاف اللون واللسان ومازالت نظرية تفوق الجنس الأبيض تتحكم في الواقع السياسي الدولي.

- فالبشرية كلها تعود إلى أصل إنساني واحد مع اختلاف ألوانهم وألسنتهم كما أن الأرض واحدة ومن مادة واحدة ومع ذلك ففيها جبال مختلف ألوانها.

- فقال تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلف ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام

مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء...)[1] وهذا هو القياس المنطقي الذي تقضي به العقول ويسلم به العلم .

- فهذا هو القياس الشمولي الذي صار أساس المعرفة العقلية في الفلسفة اليونانية وورثته عنه الرومانية فاحتج القرآن عليهم بما هو دليل قطعي عندهم.

- فكما أن مادة المطر واحدة هي الماء وينبت أشـــجارا وأزهارا مختلفا ألوانها وكما أن مادة الأرض واحدة وهي التراب وتتشكل منه جبال مختلف ألوانها.

- وكما أن الأنعام والدواب كل نوع من أصـل واحد ويوجد فيها ألوان مختلفة فكذلك الإنســـان من أصل واحد ثم تكاثر وتناسل واختلفت ألوانهم باختلاف أماكنهم.

- وختم الآية (إن في ذلك لآيات للعالمين) إشـــارة وتنبيه على أن هذه الحقائق لا ينكرها عالم يعرف وجه النظر والاستدلال خاصة أرباب الفلسفة اليونانية.

- ونكمل غدا بإذن الله ما في ســورة الروم من آيات تخاطب العقول وســنتحدث عن مصـــادر المعرفة فيها إذ هو المقصود من النظرات.

- [2] نعم النبوءة فيها والبشارة التي تحققت خلال بضع سنين بنصر الروم على الفرس دليل على صدق النبي ومعجزة خبرية له ﷺ.

- ونكمل معكم النظرات في سورة الروم ومصادر المعرفة الإنسانية فيها ومعالجتها للقضايا التي أشغلت الفكر الفلسفي الإنساني وحاول الإجابة عليها.

- وتحدثت الســـورة عن الظواهر الطبيعية التي حاول الإنســـان تفســـيرها (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون).

- فالنوم والاســـتيقاظ المتكرر منكم بالليل والنهار وهو شـــبيه بالموت والحياة كل ذلك دليل قاطع على قدرة الله جل جلاله على إحيائكم بعد موتكم بالقياس.

- فالليل والنهار في دوران دائم وأنتم في حال موت وحياة متكررة فالقياس العقلي يقضـــي بإمكان البعث بعد الموت كما يشاهد بالحس الاستيقاظ بعد النوم.

---

(١) فاطر : ٢٧ - ٢٨

(٢) جواب الدكتور على سؤال: هل ثمة دليل على نبوءة الرسول ﷺ في سورة الروم بأول خمس آيات منها؟.

- وفي قوله تعالى (إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون) تأكيد على السمع كمصدر حسي للمعرفة إلا أنه قد تتعطل الاستفادة منه كما سيأتي في بيان أسباب ذلك.

- وقد ذكر السمع لما ذكر الليل والمنام فيه لكون حاسة السمع أكثر استعمالا في الظلام من حاسة البصر التي لا ترى إلا بوجود النور.

- ثم نبه على البصر كمصدر من مصادر المعرفة الحسية التي هي أصل لحصول المعرفة العقلية (ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) فربط بين البصر والسمع من جهة والعقل من جهة أخرى لأنهما أساس المعرفة.

- فالعقل في إدراك المعاني غير الحسية له بصيرة يدرك بها المعقولات كما يدرك السمع والبصر الحسيات وقد تتعطل الاستفادة منها كلها كما سيأتي بيانه.

- فاستدل لهم بما يشاهدون ويرونه بأبصارهم من البرق حيث تصطك الأجرام السماوية وما يصحبه من رعد قاصف وضوء ساطع يخطف الأبصار يسبب لهم الخوف والهلع.

- وما يرجونه من الخير والطمع بالنماء والإنبات والحياة وما ينزل من السحاب من ماء يحيي الأرض بعد موتها كل ذلك أدلة على إمكان الحياة بعد الموت.

- ثم نبه على أن هذه كلها أدلة لقوم يعقلون بما يشاهدونه فيجعلون من إدراكهم لكل هذه المدركات الحسية الجزئية مقدمات يستنتجون منها أحكاما عقلية.

- نكمل معكم نظرات في سورة الروم وما عالجته من قضايا حار فيها الفكر الإنساني من خلال استثارة مصادر المعرفة الإنسانية للبحث والنظر والتفكر.

- ثم قال تعالى في سورة الروم عن بدء الخلق (وهو الذي يبدئ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم).

- وهنا أكد لهم بأن قياس الأولى يقتضي عقلا أن يكون من بدأ الخلق قادرا على إعادته بعد فنائه والإعادة أهون عليه بالنسبة لكم وبحسب أحكامكم العقلية.

- أما الله جل جلاله فله المثل الأعلى فكل شيء هين عنده لا يحتاج منه الخلق والإيجاد والإعدام والإفناء إلا كلمة كن فيكون.

- ثم نبه على أن كل هذه الآيات الباهرة إنما تصـــدر عن الله العزيز القاهر القوي القادر على كل شيء والحكيم الذي لا يصدر عنه شيء إلا لغاية وحكمة.

- فأحكام العقل تقضـي بأن كل هذه الأحداث البديعة الصـنع الرائعة الإتقان لا يمكن أن تصـدر عن صدفة ولا عن عبث بل عن قادر عليم ومريد حكيم ورحمن رحيم.

- وهو ما توصـل له أرباب الفلسـفة الإلهيين بدلالة العقل بمشـاهدة آياته الحسـية في هذا الوجود الدالة على قدرته وحكمته فالصنعة تدل على من أبدعها عقلا.

- وقد أكدت السـورة أن لله المثل الأعلى فكل صـفة كمال في المخلوق المصـنوع فالله الذي خلقه وأبدعه أولى منه بها عقلا وكل صفة نقص فالله أجل وأعلا.

- إذ لا يتصور عقلا أن يكون المخلوق أكمل ممن خلقه وأبدعه وكل صفة نقص في المخلوق فالله الذي خلقه أولى بالتنـزيه عنها وعن كل ما يخطر بالأذهان.

- فإذا كانت العقول والأبصار لم تستطع أن تحيط علما وفهما بنفسها التي بين جنبيها ولا بما حولها من الوجود الذي فوق قدرة الخيال العقلي فكيف بالله.

- فالله أعلا وأجل أن تدركه حواس البشـر أو يدركه العقل فهذه المصـادر عجزت عن إدراك بعض مخلوقاته التي يشاهدونها فضلا عما لم يروه كيف بالله الخالق.
- ثم نعى القرآن على المشـركين ضـلالهم واضـطرابهم وبين سـبب ذلك فقال (بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين).

- فاتباع الأهواء والظنون بلا علم ولا برهان هو سبب عدم إدراك عقولهم لهذه الحقائق لا في عدم إفادتها بذاته للعلم وكم من عالم بالحق أعرض عنه لهواه.

- وليس معهم من العلم ما يشـهد لهم على أنهم على حق لا المعرفة الحسـية ولا المعرفة العقلية ولا المعرفة الفطرية البدهية ولهذا أضلهم الله بأهوائهم.

- ثم قال تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون).

- فسـورة الروم سـتون آية وجاءت الآية الثلاثون واسـطة عقد السـورة لتحتج عليهم بأقوى الحجج وأقربها إلى النفس ألا وهو دليل الفطرة (فطرة الله)؟

- بعد أن أثبت ربوبيته وألوهيته بالأدلة الحسية التي يشاهدونها بأبصارهم ويدركونها بأسماعهم والمعرفة العقلية اليقينية التي يستنتجونها بعقولهم.

- وهذا الاستدلال بالفطرة غير الاستدلال بالحسيات والعقليات بل بشيء أوضح دليلا وأقرب سبيلا لكل إنسان وأشد رسوخا في نفسه وشعوره ووجدانه مما سواه.

- وهو جزء من خلقه الذي خلقه الله عليه وهو الفطرة التي لا تستطيع النفس البشرية بطبيعتها وسجيتها دفع الضرورة التي تفرض عليها الإيمان بوجود الله.

- قال الله (وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون).

- وهذا دليل الاضطرار والافتقار الذي يؤكد دليل الفطرة وهو حاجة الخلق إلى ربهم وهو دليل عجزهم وضعفهم وفقرهم إليه وهو دليل ثبت لهم بالتجربة.

- وكم رأى الناس ضعفهم حين ينزل بهم المرض والموت والألم والضر حتى يصبح أعتاهم على الله وأجرؤهم عليه أضعفهم وأفقرهم إليه فهو فقر ذاتي طبيعي.
- ثم قال تعالى مؤكدا ربوبيته لهم (الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون).

- فأضاف الله جل جلاله لنفسه الخلق والرزق والإحياء والإماتة ثم وجه سؤال إنكار هل من معبوداتهم من يفعل شيئا من ذلك ليستحقوا عبادتهم ودعاءهم؟

- ثم دعاهم لتوحيده (فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون . من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون).

- فأخبرهم أن بعد هذه الحياة يوم قيامة وبعث وحساب وجزاء وسيجازي كل إنسان عمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر لتتحقق الحكمة من الخلق ويتجلى العدل.

- وهذا دليل عقلي منطقي فإن حدوث كل هذه الحادثات لا يمكن أن يكون بلا محدث عقلا ولا يعرف أحد نسبها لنفسه إلا الله وحده ولم ينازعه أحد في ذلك.

- إذ كل هذا الوجود المخلوق إما أنه أوجد نفسه وهذا مستحيل عقلا أو حدث صدفة بلا موجد وهذا مستحيل عقلا فلم يبق إلا احتمال أن هناك من أوجده وخلقه.

- ولم يدع أحد أنه خالق له إلا الله الذي يقطع العقل بأنه واجب الوجود بذاته ويستحيل أن يكون مخلوقا وإلا احتاج إلى خالق وهو ما حكم العقل ببطلانه.

- وقال في آية (أم خُلِقوا من غير شيء أم هم الخالقون)[1] وهي غاية الإيجاز والإعجاز البياني والمنطقي فلا الإنسان خلق نفسه ولا يتصور حدوثه بلا خالق.

- ثم تحدثت عن الآيات الكونية والظواهر الطبيعية على نحو لا يكاد يوجد إلا في هذه السورة فتحدثت عن ظاهرة الرياح وعن البحار وعن السحب والأمطار.

- وعن طبيعة خلق الإنسان ومراحل نموه وبداية الوجود ونهايته وكل ذلك مما حاولت الفلسفة اليونانية بل وكل الفلسفات معرفته ومعرفة علله وأسبابه.

- وقد ختمت الروم بـ (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون).

- فلم يبق حجة حسية ولا عقلية ولا فطرية ولا نقلية ولا تجريبية إلا واحتج عليهم بها في إثبات ربوبية الله وتوحيد ألوهيته ولن تغني مع من جحد وكفر.

- وفسر سبب ذلك الإعراض وعدم الاستفادة منها بقوله (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون . فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون).

- فهم يجحدون بكل هذه الآيات لكونهم يتبعون أهواءهم وظنونهم فلا هم يعلمون الحق من جهة ولا هم يوقنون بما عندهم فهم في شك وحيرة وريب من جحودهم به.

- وكذلك هم في شك من هذه الآيات والحجج البينات الحسية والعقلية والفطرية وفي شك من الحق الذي جاءتهم به الرسل فكان النتيجة تعطل قدرتهم الإدراكية.

- فالطبع على القلوب هو الختم عليها بالإغلاق فلا تستطيع القلوب والعقول إدراك الحق مهما كان ظاهرا جليا حين تصبح الأهواء والظنون مصادر علومها.

- فهذه السورة لم تترك قضية مما حاولت الفلسفة الخوض فيه من قضايا الطبيعة وما وراء الطبيعة وأصل الوجود إلا وأجابت عنه بأبلغ عبارة وأدق إشارة.

---

(١) الطور : ٣٥

- لتؤكد بأن موضوع الإيمان بالله هو أظهر الحقائق الإنسانية وأوضحها ولا يمكن تبديلها ولا تغييرها إلا حين يطبع الله على قلب الإنسان بإعراضه.

- وحين يعرض الإنسان عن الحق ويتبع هوى نفسه وظنه لا يمكن له أن يهتدي لا بالفطرة وندائها الدائم في نفسه ولا بالحس ومدركاته ولا بالعقل وأحكامه.

- ولهذا يجد الإنسان حين يكبر سنه وتضعف الأهواء في نفسه ويدنو أجله أنه صار أكثر استعدادا للاستجابة للفطرة ونداء العقل فيبدأ رحلة البحث عن الله.

- وهو أمر مشاهد عند كل أهل الأديان من بني الإنسان فرحلة العودة إلى نداء الفطرة تكون أظهر حين تضعف شهوات النفس وحظوظها عند المرض أو كبر السن.

- ولهذا أشارت السورة لذلك (الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة) فمهما استكبر الإنسان فمصيره للضعف والموت.

- لقد تضمنت سورة الروم وحدها كل مصادر المعرفية الصحيحة واستدلت بها على إثبات قضايا الغيب والإيمان بالله والبعث والجزاء فجاءت على النحو التالي:

- أدلة العقل البدهية فالعقول تقضي أنه لا حركة في الوجود بلا سبب موجب لها ولا حدوث بلا محدث فكيف هذه الأجرام السماوية العظيمة والأرضية الجسيمة؟

- وقد احتجت السورة بحجج العقول في الخلق والرزق وتصريف الوجود وفق سنن ونواميس تدل على علم من خلقها وقدرته وحكمته (إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون).

- واحتجت بدليل العقل على نفي الشريك معه في الخلق والتصريف وفي استحقاق العبادة وحده لا شريك له (هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء... لقوم يعقلون).

- إن كل ما في السموات والأرض من مخلوقات أدلة يقينية قطعية (لقوم يوقنون)[١] دالة على وجود الله لمن تدبرها وتفكر فيها واستخدم عقله (لقوم يعقلون).

- إذ حركة الليل والنهار بكل هذه الدقة والنظام وحركة الرياح والسحاب والأمطار كلها تسير على وتيرة واحدة من الانتظام لتدوم الحياة على هذه الأرض.

---

(١) الجاثية : ٤

❁ كل ذلك على نحو تنتفي معه احتمالية الصـــدفة انتفاء قطعيا يقينيا بدلالة العقول لتؤكد أنـها مخلوقة بإرادة خالق قدير عظيم ومدبر حكيم وخبير عليم.

❁ وإثبات هذا الاعتقاد هو الأصـل في هذا الباب إذ كثير من النـاس قديما ـ بل أكثر أهل الأرض اليوم- ماديون دهريون لا يؤمنون بوجود الخالق جل جلالـه.

❁ كمـا حكـاه القرآن عن الـدهريين المـاديين (وقـالوا مـا هي إلا حيـاتنـا الدنيـا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لـهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون)[١].

❁ ولـهذا حاجج القرآن هؤلاء الدهريين الماديين وضـرب لـهم الأمثال (أم خلقوا من غير شـيء أم هم الخالقون . أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون)[٢].

❁ وهذا تقسيم عقلي فإنـهم أمام ثلاثة احتمالات:

الأول: إما أن يدّعوا بأنـهم خلقوا أنفسهم وأوجدوا ذواتهم من العدم إلى حيز الوجود وهو ما لا يدعونه.

والثاني: أن يزعموا بأنـهم خُلقوا من غير شـيء فجأة وصـدفة وهو ما لا تقره العقول بداهة إذ كل موجود لـه سبب أوجده ولا يتصور عقلا وجود شيء بلا موجد.

والثالث: أن يزعموا بأنـهم خلقوا السموات والأرض وهي أعظم المخلوقات التي يشاهدونـها وهذا ما لا يدعونـه ولا يدعيه مخلوق أبدا.

❁ فلا هم خلقوا أنفسـهم ولا غيرهم فلم يبق أمامـهم إلا الإقرار بأن من خلق السموات والأرض هو قطعا من خلق ما في السموات والأرض بما في ذلك الإنسان.

❁ وليس هنـاك من ادعى هذا الخلق لنفســـه إلا الله جل جلالـه ولا أحد ينـازعـه في ذلـك ولا يدعونـه حتى لمعبوداتهم فصح عقلا أن الله وحده الخالق لـهذا الوجود.

❁ ونكمل غدا بـإذن الله مصـــادر المعرفـة في ســـورة الروم والاحتجـاج بهـا على وجود الله وتوحيده إذ لا تستقيم المعرفة قبل استقامة أصله.

❁ وكما احتجت سـورة الروم بالأدلة العقلية كمصـدر للمعرفة اليقينية على وجود الله وتـوحيده كذلك احتجت بالأدلة الحسية كالسمع (لآيات لقوم يسمعون).

❁ واحتج بـالبصــــر (فـانظر إلى آثـار رحمـة الله كيف يحيي الأرض بعد موتـها إن ذلك لمحيي الموتى) فجعل الحس شاهدا على وجود الخالق بمشاهدة آثار فعله بالخلق.

---

(١) الجاثية : ٢٤
(٢) الطور : ٣٥ - ٣٦

- فإحياء الأرض بعد موتها دليل حسي مشاهد على وجود الله وأنه الخالق بينما جعل الإيمان بإحيائه للموتى يوم القيامة بدلالة القياس العقلي.

- واحتج عليهم القرآن في كون الخالق لهذا الوجود واحدا لا شريك له فيه بحجة حسية مشاهدة وذلك بانتظام شأن هذه الوجود وما فيه على سنن وقانون واحد.
- فبعد أن فصلت السورة في آيات الله الكونية الحسية تحدتهم (هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء) وهي أبلغ صيغ النفي فأدنى شيء غير مقدور لشركائهم.

- فانتظام هذه المخلوقات على سنن واحد ووفق نظام كوني واحد دون اضطراب واختلال هو أوضح دليل على وحدة الخالق وعدم التعدد وعدم وجود الشريك له تعالى.

- كما قال (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله)[1] وقال (وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله)[2]؟

- فلما لم يحصل شيء من التنازع في هذا الوجود ولا اضطراب في الخلق ولا ادعى أحد أنه له نصيب وشرك فيه مع الله ثبت أن الله الخالق واحد لا شريك له.

- واعتقاد كونه هو الخالق والرازق وحده لا شريك له يقتضي عقلا شكره وحده لا شريك له والاعتراف له بالربوبية وحده لا شريك له فلا ربوبية للخلق طرا.

- وكما احتجت السورة بمصادر المعرفة الحسية والعقلية في النظر والتفكر في النفس والوجود (أو لم يتفكروا في أنفسهم) (أولم يسيروا في الأرض فينظروا).

- احتجت سورة الروم كذلك عليهم بالتجربة كدليل معرفي يقيني (وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه) وبالفطرة (فطرة الله التي فطر الناس عليها).

- كما احتجت عليهم بالأدلة النقلية السمعية (وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم) فالأدلة النقلية القطعية تواترت في الدلالة على وجود الله.

- فالأدلة الخبرية من مصادر المعرفة اليقينية حيث أرسل الله رسله وأيدهم بمعجزاته الدالة على صدقهم ليخبروا عن الله ووحدانيته وهداياته للخلق.

---

(١) الأنبياء : ٢٢
(٢) المؤمنون : ٩١

- وما من أمة في الأرض إلا خلا فيها رســـول ومعها من بقايا النبوة آثارة من علم كإيمان أكثرهم بأنهم أبناء آدم وحواء وأن الله خالقهم... الخ.

- ولا يتصــور تواطؤ البشـــر على اختلاف أجناســـهم وأديانهم على هذه الأخبار المشـــتركة وتواترها عندهم لولا ثبوتها عن الرسل وكوجود الكتب التوراة والإنجيل.

- فتوافرت في الســـورة كل مصـــادر المعرفة الإنســـانية الصـــحيحة على وجود الله وخالقيته ووحدانيته عن طريق الفطرة والعقل والحس والوجدان والتجربة والخبر.

- وغدا بإذن الله نكمل النظرات في أسباب عدم الاستفادة من هذه المصادر المعرفية الصحيحة كما وردت في سورة الروم وأسباب تعطل الإدراك بها.

- ومن أسباب عدم إدراك الحقائق اليقينية والصوارف عن مصادر المعرفة الصحيحة ما يلي:

١- انغلاق الســـمع وهو أهم مصـــادر المعرفة الحســـية وتنتقل المعرفة النقلية كلها عن طريقه (فإنك لا تســـمع الموتى ولا تســـمع الصـــم الدعاء إذا ولوا مدبرين) فكما أن الموتى لم يعد بمقدورهم الاســـتفادة من الســـمع بانقطاعهم عن هذا العالم الحســـي كذلك من أعرض وســـد أذنيه عن ســـماع الحق فقد أغلق طريق المعرفة ، وقيد ذلك بقوله (إذا ولوا مدبرين) إذا أن من لم يعرض ولم يدبر فما زالت إمكانية اكتســـابه العلم قائمة حتى لو كان أصـــم فعلا إذ قد يستفيده بالإشارة.

٢- انغلاق البصـــر عن المشـــاهدة الحســـية وعماه (وما أنت بهاد العمي عن ضـــلالتهم) فإن من ضـــل عن الآيات البينات في الوجود وفي نفســـه فلا يراها كيف يهتدي؟ وقيدت ذلك بقوله (عن ضلالتهم) فمن ضل الطريق وهو يبصر فإنه لا ينفعه بصره فكم تاه إنسان وضل عن الصواب فلم تمنعه قدراته المعرفية من ضلاله وعماه؟

٣- انغلاق العقل وتعطل قدرة القلب على عقل الحقائق (ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون . كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون). فالمكابرة والسفسطة والشك في الحقيقة لا ينفي وجودها ولا يضـرها جحودها بل تبقى الحقيقة حقيقة كما هي والمكابرة والوهم كما هما حجابان عن المعرفة.

- فمع ما جاءهم الرســـول من البينات والمعجزات ومن ذلك إخباره لهم بنصـــر الروم القريب والذي تحقق فعلا لم تزد الكافرين إلا كفرا (إن أنتم إلا مبطلون).

- وتأمل مدى اليقين الذي كانوا عليه مع بطلانه (إن أنتم إلا مبطلون) فهم يجزمون بأن كل هذه الحقائق باطلة والنبي مبطل مع أنه هو الحق وهم المبطلون.

- ونكمل غدا النظرات في سورة الروم وما فيها من الهدايات المعرفية في حديثها عن الروم ومعارفهم وعلومهم المادية (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا).

- وقد جاءت السورة بالبشارة بنصر الروم وفي أولها (وعد الله لا يخلف الله وعده) وختمت (إن وعد الله حق ولا يستخفنك).

- وهذا من إعجاز القرآن الخبري فكل ما وعد الله به في القرآن بمكة تحقق كظهور الإسلام وقيام دولته وأحكامه والبشارات والنذارات التي ما تزال تتحقق.

- وقد بشر النبي في أحاديث بفتح القسطنطينية وهي عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية وحاول المسلمون فلم يفلحوا في أوج قوتهم حتى شك بعضهم بالوعد؟

- وبعد تسعة قرون من الوعد النبوي وفي حال ضعف الأمة وتشرذمها بعد حروب التتار والصليبيين فإذا الوعد يتحقق على يد أمة أخرى وعلى يد محمد الفاتح.

- وصدق الله إذ يقول في سورة الروم (وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون)؟

- فالوعد الأول في السورة يأتي وأكثر الناس لا يعلمون عنه شيئا ثم بعد الوعد وتأخر وقوعه يصبح محل استخفاف ممن لا يوقنون بهذا العلم حتى يفاجئهم.

- ولك أن تتخيل حال الأمة وقد سقطت عاصمة الرشيد تحت سنابك خيل المغول واحتلوا العالم الإسلامي وهناك محدث يقرأ على الناس حديث فتح القسطنطينية.

- كم من الناس سيصدق آنذاك بفتح القسطنطينية التي عجز عنها المسلمون في صدر الخلافة وحال قوة الأمة فضلا عن عصر هزيمتها وسقوطها تحت حكم المغول.

- ومع ذلك فرح المؤمنون بنصر الله بعد كل ذلك وفتحوا عاصمة الروم وهو الفتح الأعظم الذي سيؤرخ الغرب له بنهاية عصر قرونه الوسطى وبداية عصر النهضة.

- وأول السورة (غلبت الروم . في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون) فيه بشارة ظاهرة بنصرهم على الفرس في عصر النبي وبشارة باطنة بنصر المؤمنين عليهم.

- وقد هُزم الروم بأدنى الأرض مرتين وفرح المؤمنون الأولى بفتح الشام وخروج هرقل على يد عمر الفاروق والثانية بفتح القسطنطينية على يد محمد الفاتح.

- وبقي الفتح الثالث بإذن الله وهو فتح روما وقد جاء في البشـارة نفسـها التي بشـرت بفتح القسطنطينية كما في مسند أحمد وهي أدنى أرض الروم أيضا.

- وكل هذه العواصم التي بشرت بفتحها سورة الروم بالإشارة هي عواصم المسيحية الدينية قبل الإسلام القدس والقسطنطينية وروما فأورثها الله المؤمنين.

- نسـتكمل النظرات في سـورة الروم وقد جاءت اسـتفتاحها بقوله تعالى (غُلبت الروم) بضـم الغين للمبني للمجهول وفي هذا المطلع إشارات ودلالات منها ما يلي:

الإشارة الأولى: عظمة شأن الروم في الأمم والتاريخ الإنساني وأن هذه المكانة ستظل باقية ما بقيت الإنسانية ويؤكد الإشارة تواتر الأخبار النبوية.

الإشارة الثانية: أن الهزيمة قدر الروم كلما ظهروا في أدنى الأرض (غلبت الروم . في أدنى الأرض) وقد غلبهم عمر وصلاح الدين ومحمد الفاتح بعد ظهورهم.

الإشارة الثالثة: أن أيام الروم ستكون دول لهم تارة وللمؤمنين تارة وكلما تعرضوا للهزيمة أعادوا الكرة للظهور في الأرض (وهم من بعد غلبهم سيغلبون).

الإشـــارة الرابعة: أن هزائم الروم ســتكون أحداثا كبرى في التاريخ يفرح بها المؤمنون (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) فهو نصر إلهي يقلب الموازين.

- وما زالت هزائم الروم في اليرموك وفي حطين وفي فتح القســطنطينية تدرس في الكليات العسكرية إلى اليوم حيث كان النصر للمؤمنين مذهلا فوق تصوراتهم.

الإشارة الخامسة: أن شأن الفرس وإمبراطوريتهم لن يكون كشأن الروم يظهرون تارة ثم يهزمون وهكذا بل الفرس بعد ظهور الإسلام صاروا جزءا منه وحملة له.

الإشارة السادسة: أن الروم سيناوءون المؤمنين بالقوة والغلب وأن النصر عليهم لا يكون إلا حين تسمو قيم الإيمان وتعلو قيمة الإنسان لا قيم المادة.

- فالروم لا يمثلون دين المســيح وقيم الرحمة التي جاء بها بقدر ما يمثلون قيم الحضــارة الرومانية التي ترتكز على تعظيم شأن القوة والمادة ومتع الدنيا.

- فقد تروم النصارى ولم يتنصر الرومان فقد اضطهدوا المسيحية ثلاثة قرون ثم دخلوها وفرضوا الوثنية على أتباعها وقتلوا وحرقوا كل من يقول بالتوحيد.

- وهذا النزوع للقوة والوحشية لا يغيره تطورهم المادي لهذا ذهب ضحية الحربين العالميتين بينهم نحو خمسين مليون إنسان منهم وهو ما يحدث في كل حروبهم.

- وقد أشارت السورة لماديتهم العلمية (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا) ولماديتهم الحضارية والعمرانية (وأثاروا الأرض وعمروها) وغابت قيم الإيمان.

- نستكمل معكم نظرات في سورة الروم وما زلنا في أولها (غلبت الروم... سيغلبون) وقد قُرئت غلبت بضم الغين وفتحها كما قُرئت سيغلبون بفتح الياء وضمها.

- وسورة الروم جاءت بالوعد بالنصر والبشارة به (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله... وعد الله لا يخلف الله وعده) فالقضية هي الوعد بالنصر لا خبر الغلب.

- والموعود بالنصر هم المؤمنون كما في التوراة والنبوءات كما في (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون)[١].

- وكما في وعد الله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض)[٢] فهذا هو الوعد الذي سيفرح به المؤمنون وليس خبر غلبة الروم.
- وفي استفتاح السورة - وهي مكية حيث كان المؤمنون مستضعفين بمكة - بخبر الروم وفارس والصراع بينهما بشارة لهم بأنه قرب زمن ظهوركم وغُلبت الروم.

- والإضراب والإعراض عن ذكر فارس في السورة سواء غلبت أو غلبت إشارة بأنه لن يكون لهم شأن كما الروم الذين سيغلبون ويهزمون وسيبقى شأنهم قائما.

- وحين يسمع العربي من ذوي البيان والفصاحة استفتاحا للكلام بقوله (غلبت الروم) يفهم بأن الشأن المهم هو شأن الروم وشأن هزيمتهم فلها تداعياتها.

- فتلك الهزيمة التي تعرض لها الروم على يد الفرس ثم الفرس على يد الروم جاءت بها النبوءات من قبل كما في رؤيا النبي دانيال كإعلان بظهور الإسلام.

- فلن يظهر المؤمنون والنبي محمد على العالم كما في النبوءات والبشارات إلا بعد صراع وهزائم بين قرون الشيطان ورموز الطغيان وهما آنذاك كسرى وقيصر.

---

(١) الأنبياء : ١٠٥
(٢) النور : ٥٥

- **فحين نزلت سورة الروم لم تأتِ لتخبر بوقوع هزيمة بين الروم والفرس بل جاءت لتبشر المؤمنين المستضعفين بمكة بأن وعد الله أزف ونصركم وفرحكم قد قرب.**

- **كما أشارت السورة بأن التغالب بين قوى الطغيان هو بحسب قدراتهم وأخذهم بالأسباب المادية بخلاف نصر الله للمؤمنين المستضعفين فهو نصر إلهي معجز.**

- **ولهذا قال (ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) عزيز لا يعجزه أحد ورحيم بعباده المستضعفين ينصرهم مع فقدهم للأسباب المادية التي عند الفرس والروم.**

- **وقال (وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون . يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا) فالروم والفرس لا يعرفون إلا الأسباب المادية للقوة.**

- **فهم لا يعرفون إلا جزء من ظاهر الحياة المادية الدنيوية لا كلها ولا حقائقها ومن ذلك الذي غاب عنهم أن النصر الإلهي غير الغلب والتغالب بالقوة.**

- **وهو ما تحقق المستضعفين بمكة فبعد ١٥ سنة فقط من سحب بلال الحبشي برمضاء مكة فإذا هو يشارك في فتوح الشام وهزيمة هرقل وتدمير كسرى وإمبراطوريته.**

- **إنه وعد الله الحق الذي لا يخلف وعده بنصر المؤمنين بغير أسباب مادية ظاهرة فلا مقارنة ولا تكافؤ مطلقا بين قوى المسلمين آنذاك وجيوش كسرى وقيصر.**

- **ولهذا قال روجيه جارودي الفيلسوف الفرنسي الشيوعي المادي سابقا الذي أسلم (لا يمكن تفسير الفتح الإسلامي وسقوط الإمبراطوريتين تفسيرا ماديا).**

- **وسنتعرف غدا بإذن الله على الأسباب غير المادية والسنن والنواميس التي أقام الله عليها الخلق بما لايدع مجالا للشك في أن وراء المادة روح تدبرها.**

- **حين أتحدث في التفسير عن الفرس والروم لا أقصد القوميات ولا الشعوب بل أتحدث عن كسرى وقيصر وإمبراطوريتيهما آنذاك مثل ما أتحدث عن جاهلية العرب.**

- **وسبق أن ذكرت في الدرس قبل الماضي بأن الكسروية والمجوسية لن تعود مرة أخرى لأن الفرس دخلوا الإسلام وصاروا جزءا منه بخلاف الروم سيظلون مناوئيه.**

- **وقد استدلت سورة الروم على سنن الله في الخلق (أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة).**

- فإذا كان البقاء للأقوى كما يقول الماديون وإذا كانت القوة المادية ســـبب الظهور فأين عاد وثمود وقوم فرعون وقوم شعيب الخ ما الذي جرى عليهم ولهم.

- وما زالت آثار تلك الأمم باقية إلى اليوم تدل على قوتهم (وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها) أي أكثر مما عمرها الروم الذين اشتهروا بالعمران.

- فلا القوة المادية منعتهم ولا الحضـــارة العمرانية والعلم المادي الذي كانوا عليه منعهم من عذاب الله حين حل بهم (فما كان الله ليظلمهم).

- ثم أشـارت السـورة للسـنن والنواميس -غير المادية التي يعلمونها ظاهريا- (ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى) فسنن الله لا تحابي أحدا ولا تتخلف أبدا.

- فعاقبة السـوء وجزاؤه هو السـوء والدمار وهي نتيجة عادلة (ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به)[1] فالسوء عاقبته السوء الشنيع.

- فالظلم والطغيان له نهاية السوء والعذاب البئيس في الدنيا والآخرة وذلك من وعد الله الحق (لنهلكن الظالمين)[2] ولو كانت الحياة مادة وصدفة لما وقع عدل.

- فكمـا احتجت الســـورة بـالآيـات الوجودية المادية والظواهر الطبيعية احتجت كذلك بالآيات والظواهر والنواميس غير المادية التي تدل على قوة أكبر تصرفه.

- ثم أشـارت السـورة للفسـاد في الأرض (ظهر الفسـاد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) فيؤمنوا وينزعوا عن فسادهم.

- وذكرت الســـنن الأخرى غير المـاديـة (فـانتقمنـا من الـذين أجرموا وكـان حقا علينا نصـــر المؤمنين) فالظلم له نهاية والإجرام له عاقبة وعقوبة في الدنيا.

- وهذه السنن والنواميس غير المادية يشاهد الإنسان تجلياته في الواقع الاجتماعي فكم قصم الله من ظالم قاهر وكم نصر من ضعيف لا قوة له بالعدل والحق.

- فالعدل والحق أسمى من القوة (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) فلا يدركون إلا شيئا يسيرا من ظاهر الوجود المادي وهم في غفلة عن الآخرة.

---

(١) النساء : ١٢٣
(٢) إبراهيم : ١٣

- فلو كـان البقـاء للأقوى لمـا نجح الأفغـان على ضـــعفهم وفقرهم أن يهزموا البريطـانيين ثم الروس ثم حلف النيتو والعالم معه فلم تنفعهم قوتهم فالحق أسمى.

- ولو كان الوجود مادة صــماء وصــدفة لما تهاوت عروش الطغاة بأيدي المســتضــعفين في الأرض (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة)[1].

- فهنـاك إرادة أسمى من إرادة البشر وأعدل وأقوى تريد أن تمن وتتفضل بنصر المستضعفين والانتقام من الظالمين وفق سنن أيضا لا بد أن يأخذ بها المظلوم.

---

(١) القصص : ٥

نظرات قرآنية حول السور الثلاث (العنكبوت والروم ولقمان)

- جاءت ســورة الروم بين ســورتين مكيتين كلاهما بدأت كســورة الروم بالحروف المقطعة ذاتها (ألم) وبين السور الثلاث تلازم في المعنى وكأنها سورة واحدة.

- فســورة العنكبوت وهي قبل الروم بدأت بالحديث عن الفتنة (ألم . أحســب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون.ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله...).

- فهناك ســنن ونواميس تجري على أصــحاب الدعوات والدعاة إلى الحق والعدل وهو أنهم يتعرضون للمحن من جهة الملأ والمفسدين والطغاة المجرمين ليمحصهم الله.

- وقص الله في سورة العنكبوت قصص المؤمنين مع الملأ من قومهم وكيف كانوا يستخفون بهم ويهزأون بهم ويعذبونهم وكيف صارت العاقبة بعد تلك المحن لهم.

- وضرب الله في هذه السورة مثلا ببيت العنكبوت وهو أوهى البيوت لمن اتخذوا من دون الله أولياء يعظمونهم ويطيعونهم من طغاتهم وكيف يهدمه الله عليهم.

- فالباطل والطغيان والظلم واتخاذ الطغاة أولياء كل ذلك زائل وإلى زوال وكل بناء عليه كمثل خيوط بيت العنكبوت لا دوام له ولا ثبوت عندما يأتي الحق.

- وفي العنكبوت (وتلك الأمثال نضــربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) بحقائقها الأمور وعواقبها ولا تغرهم ظواهرها مهما بدت قوية أو جميلة بالباطل.

- وبعد العنكبوت التي تحدثت عن المحن والفتن التي لا بد أن يتعرض لها دعاة الإيمان ودعاة الحق والعدل جاءت الروم بالاستفتاح نفسه لتبشرهم بالوعد.

- فســورة العنكبوت تتحدث عن حال المؤمنين المســتضــعفين بمكة والســنن والنواميس التي لابد منها لتمحيصهم والروم تتحدث عن الجائزة التي أعدها الله لهم.

- فكما أن الفتن والمحن للمستضـعفين تجري وفق السـنن الإلهية غير المادية التي لا تتخلف فكذلك النصر لهم يجري وفق سنن إلهية لا تتخلف هي أيضا.

- وقد تحدثت العنكبوت عنها (ومن النـاس من يقول آمنـا بـالله فـإذا أوذي في الله جعل فتنـة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم).

- فكانت المحن والفتن وسننها في العنكبوت مقدمة للفرج والنصر وسننه والوعد الحق للمؤمنين في الروم وكل ذلك خلاف ما يعرفه الجاهلون من علم مادي ظاهر.

- ثم جاءت بعد سورة الروم سورة لقمان بالاستفتاح نفسه (ألم) لتتحدث بعد الفتن والمحن والفرج والنصر عن الحكمة في ذلك وعن الهداية والرحمة في الكتاب.

- فما يجري في الإنسانية له نواميس فلها ظواهر وبدايات تغر ولها حقائق ونهايات تقر تدرك بالحكمة لا بالعلم الظاهر (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا).

- فجاءت لقمان لتمتن على المؤمنين بالهداية بالقرآن (تلك آيات الكتاب الحكيم . هدى ورحمة للمحسنين) فمواجهة المحن والفتن تحتاج إلى هدى الله ورحمته.

- وكذلك النصر له فتنة قد تؤدي إلى البطر والطغيان فجاءت سورة لقمان بالحكمة (واصبر على ما أصابك... ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا).

- ونستكمل النظرات في السور الثلاث العنكبوت والروم ولقمان والربط بين الصبر على الحق والتصديق بالوعد الحق ووصف من تحقق لهم ذلك بدرجة الإحسان.

- وقد جاء في سورة العنكبوت التأكيد على الصبر في مواجهة المحن والفتن التي يتعرض لها المؤمنون (نعم أجر العاملين . الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون).

- فالعاملون يحتاجون لنيل ثمرة جهادهم وعملهم:
  ١- إلى الصبر على العمل والصبر على الفتن والمحن التي تعيق عن العمل.
  ٢- والتوكل على الله في عملهم وصبرهم.

- وكذلك الروم أكدت على الصبر لتحقق الوعد بالنصر فجاءت آخر آية (فاصبر إن وعد الله حق) فالوعد غيب مستقبل قد يضعف إيمان الإنسان حين يتأخر فأمرت به.
- وفي آخر لقمان أيضا التأكيد على تحقق الوعد (إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) وهي العوائق التي قد تنسيهم الوعد.

- فآخر الروم حذرت من استخفاف الذين لا يوقنون أن يكون صارفا عن الإيمان بالوعد الحق (ولا يستخفنك الذين لا يوقنون) والعنكبوت حذرت من الغرور بالدنيا.

- فالاستخفاف والاستهزاء فتنة خارجية تصدر من أعداء المؤمنين حين المحن وحين تأخر النصر والغرور فتنة ذاتية حين يغتر الإنسان بمتاع الدنيا ولهوها.

- وجاءت آخر آية في العنكبوت لتبشر المحسنين بمعية الله وهدايته بعد صبرهم على الحق (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين).

- فكان جزاء إيمانهم وعملهم الصالح وصبرهم عليه وتوكلهم على الله وتصديقهم بالوعد وصبرهم على انتظاره أن تحقق لهم نصر الله وهدايته ومعيته لإحسانهم.

- ودرجة الإحسان أعلى درجات الدين وهو أن تعبد الله كأنك تراه والمقصود بالعبادة هنا العبودية لله في كل حياتك وعملك بأن تستحضره في كل عمل وتصديق.

- فالهداية توفيق واصطفاء يهدي الله لنوره من يشاء من عباده لا ترجع إلى ذكاء بل إلى عمل صالح وجهاد وصبر وتصديق بالغيب وهذا في قدرة كل إنسان.

- وإنما يحرم الهداية من انصرف عنها واستخف بشأنها ومن غرته الحياة الدنيا وفتنتها ومن غره الغرور وما عنده من علم ظاهري لا يهديه للحق والحكمة.

- تقبل الله طاعتكم جميعا ونستكمل معكم النظرات في تفسير السور الثلاث سورة العنكبوت والروم ولقمان وما فيها من البشارات والتشريعات والهدايات.

- ويظهر الارتباط الموضوعي بين العنكبوت وما فيها من تحذير من الفتن والانحرافات والروم وما فيها من بشارات وآيات ولقمان وما فيها من أحكام وهدايات.

- فصلت سورة العنكبوت في صور الفتن والانحرافات التي تتعرض لها المجتمعات ، فبدأت بقوم نوح وطغيانهم الاجتماعي (فأخذهم الطوفان وهم ظالمون).
- وقد كان ظلم قوم نوح وطغيانهم الاجتماعي يتمثل في قولهم (أنؤمن لك واتبعك الأرذلون... وما أنا بطارد المؤمنين)[١] وهي أسوأ صور الطبقية والفئوية.

- فالطغيان الاجتماعي أشد صور ظلم الإنسان لأخيه الإنسان ببغيه عليه واستطالته بطبقته أو قوميته أو نسبه أو لونه أو جنسه وهو سبب للعدوان عليه.

- وكان المؤمنون بمكة يفتنون في ذلك حيث أبى الملأ أن يسمعوا للنبي حتى يطرد المستضعفين عنهم وأمره الله (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة)[٢].

- كما ذكرت فتنة الطغيان الديني في قصة إبراهيم وما تعرض له على يد قومه (قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار... وقال إني مهاجر إلى ربي).

(١) الشعراء : ١١١ - ١١٤
(٢) الكهف : ٢٨

- وذكرت فتنة الطغيان الأخلاقي في قصــة لوط (إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشــة... وتأتون في ناديكم المنكر) ووصفتهم بالظلم (إن أهلها كانوا ظالمين).

- ثم ذكرت سـورة العنكبوت فتنة الطغيان الاقتصـادي في قصــة شـعيب وأهل مدين (ولا تعثوا في الأرض مفسدين)(١) وهو أشد صور ظلم الإنسان الغني للإنسان الفقير.

- وجاء بيان فســادهم في آية (أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخســرين . وزنوا بالقســطاس المستقيم . ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين)(٢).

- وحذرت من فتنة الطغيان المادي والعسكري في قصــة عاد كما في آية (أتبنون بكل ريع آية تعبثون . وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون . وإذا بطشتم بطشتم جبارين)(٣).

- وكذا حذرت من فتنة ثمود وبطرهم كما في الشــعراء (وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين... ولا تطيعوا أمر المسرفين . الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون)(٤).

- ثم حذرت سورة العنكبوت أخيرا من فتنة الطغيان السياسي (وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض... فكلا أخذنا بذنبه).

- وبالطغيان الســياســي تســتكمل كل حلقات الفتن والمحن حيث يتحالف الطغيان الاقتصــادي القاروني والديني الهاماني والسلطاني الفرعوني وهو أخطر صور الفساد.

- وما زال هذا الثالوث الخطر (نفوذ السـلطة ونفوذ المال ونفوذ الدين) يتحالف في كل عصـر ومصر لتكريس الاستكبار في الأرض على حساب المستضعفين المظلومين.

- فلم تترك سورة العنكبوت فتنة ولا محنة قد تتعرض لها المجتمعات الإنسانية إلا وبينتها ولا صورة من صور الانحراف إلا وفصلت فيه لتعد الجيل الإيماني.

- فعلى كاهل ذلك الجيل ســتنطلق رســالة الإســلام لتواجه كل صــور الطغيان في المجتمعات الجاهلية ولهذا قال الله (فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا)(٥).

---

(١) الشعراء : ١٨٣
(٢) الشعراء : ١٨١ ~ ١٨٣
(٣) الشعراء : ١٢٨ ~ ١٣٠
(٤) الشعراء : ١٤٩ ~ ١٥٢
(٥) هود : ١١٢

- فالاستقامة على هدى الكتاب توجب تجنب كل صور الطغيان والظلم الاجتماعي والديني والاقتصادي والسياسي والعسكري والبطر المادي وهذه هي الرحمة بالخلق.

- نكمل النظرات في صور الفتن في سورة العنكبوت والتي مع هشاشة بيتها وضعفه ومع كونه أوهن البيوت إلا أنها ربما اصطادت به فرائسها ممن يسهل فتنتهم؟

- وأول فتنة خاصة قد يتعرض لها الإنسان هي فتنة الوالدين والأسرة (ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما).

- فبدأت الآية بالوصية بالإحسان إلى الوالدين وهذا من حقهما وشكرهما وهو من شكر الله (أن اشكر لي ولوالديك) ثم بعد ذلك حدد طاعتهما بالمعروف والخير.

- فالوالدان والأسرة قد يصبحان مصدر الفتنة فيجب الإحسان إليهم وأداء الحق الذي لهم دون معصية الله والإشراك به مهما جاهدك الوالدان فلا طاعة لهما.

- وقوله (فلا تطعهما) بينته آية أخرى (وصاحبهما في الدنيا معروفا) فلا تعارض بين عدم طاعتهما في المعصية ومصاحبتهما بالمعروف في نفس الوقت بلا هجر.

- وهذا من الرحمة والهدى الذي جاء به القرآن في كيفية الجمع بين النجاة من فتنة الوالدين حين يصدان عن سبيل الله وأداء حقهم والإحسان إليهم ورحمتهم.

- وقد كانت أم سعد بن أبي وقاص ووالدا مصعب بن عمير وغيرهم من الصحابة يحاولون فتنتهم وردهم عن الإسلام حتى هددت أم سعد بقتل نفسها جوعا إن لم يرجع.

- وقوله تعالى (فلا تطعهما) يؤكد أن الطاعة تنافي الإكراه وهي من الطوع والتطوع وعليه تفهم أحاديث السمع والطاعة للإمام الشرعي بلا إكراه ولا إجبار.

- وطاعة الله وطاعة رسوله تعني اتباع أمرهما بحرية واختيار بلا إكراه أو إجبار كما قال تعالى (لا إكراه في الدين)[1] والدين في لغة العرب الطاعة.

- ومما يؤكد أن الطاعة تنافي الإكراه قوله تعالى للسماوات والأرض (ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين)[2] فقابل بين الطاعة الاختيارية والإكراه.

---

(١) البقرة : ٢٥٦
(٢) فصلت : ١١

- وقوله تعالى عن فتنة الوالدين (فلا تطعهما) يؤكد أن طاعتهما فيما عدا ذلك واجبة على الولد بالمعروف وبما استطاع وبما كان من حقهما لا حق غيرهما.

- ثم تحدثت السورة عن فتنة المجتمع (جعل فتنة الناس كعذاب الله) فالناس هم المجتمع وفتنتهم قد تكون أشد من فتنة الطاغوت بما يصدون عن سبيل الله.

- فللناس وللمجتمع فتنة لا يكاد يسلم منها إلا من شرح الله صدره للحق ويسر أمره للخير فإن لم يصدوا عن الحق ثبطوا عزيمة من أراده وسخروا به وهجروه.

- ثم حذرت السورة من فتنة أهل العلم وأهل الكتاب (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن) فأمر بالأحسن كما حذر من فتنة الوالدين وأمر بالإحسان؟

- ثم تحدثت عن فتنة الرزق وما قد يتعرض له المؤمنون والمصلحون من التضييق عليهم في أرزاقهم (يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة) فالرزق مضمون.

- وذكرهم بأن الله يرزق من هو أضعف وأعجز منهم (وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم) فالأرض واسعة والرزق وفير فاضربوا فيها واعملوا.

- ثم تحدث عن فتنة من نوع آخر وهو السعة والافتتان بمتاع الدنيا (وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب) هي فتنة أهل البطر والغفلة عن الآخرة وحسابه.



نظرات قرآنية حول سورة الشـــورى

- سورة الشورى سورة مكية تضمنت كل أصول نظام الحكم الإسلامي على نحو موجز معجز فاسمها أوضح دليل على مضمونها فالشورى نظام حياة للمجتمع الإسلامي.

- بدأت السورة ببيان أن الله وحده الملك (له ما في السموات وما في الأرض) فهو الولي الذي له الولاية المطلقة على الخلق ومنها تستمد الأمة ولايتها المقيدة.

- فالملك والولاية المطلقة لله وهذا أصل الحكم والتشريع (فالله هو الولي... وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله) ثم قال بعده (شرع لكم من الدين).

- فحددت السورة أسس الحكم ومرجعه وهو حكم الله الذي وجب توحيده به لكونه الملك الحق والولي الذي له الولاية المطلقة على خلقه فيشرع لهم ويحكم بينهم.

- ثم بينت الســـورة أن الله هو الذي أنزل الحكم بالحق والعدل (أنزل الكتاب بالحق والميزان) فلا حق ولا عدل ولا هدي إلا ما شرعه الله الملك الحق العدل.

- ثم جعلت هذه المقدمات أصـــلا للدعوة النبوية (فلذلك فادع واســـتقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم) (وأمرت لأعدل بينكم) فالغاية الحكم بينهم بالعدل والحق.

- وقوله (وأمرت لأعدل بينكم) يؤكد وضـوح الخطاب القرآني الســياســي بمكة وأن الغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب (ليقوم الناس بالقسط)[١] بإقامة العدل.

- بشـرت الشـورى بالمجتمع الإيماني الذي سـيقوم على أنقاض المجتمع الجاهلي وأن الأمر فيه وهو الإمارة وما دونها شورى ورضا (وأمرهم شورى بينهم).

- وقوله (وأمرهم شـورى) أضـاف الأمر إلى المؤمنين إضـافة اسـتحقاق فالأمر المقيد لهم وشورى بينهم والمراد بالأمر يشمل الإمارة قال عمر: (الإمارة شورى).
- كما قررت الســورة حق رد الظلم والعدوان في المجتمع الإيماني (والذين إذا أصـابهم البغي هم ينتصرون) (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل).

- وأكدت أنه لا تثريب على من دفع الظلم عن نفســه وإنما الســبيل والقصـاص من الظالمين (إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق).

---

(١) الحديد : ٢٥

- فاشتملت سورة الشورى على تحديد الملك والولاية والحكم المطلق لله وحده ووجوب العدل وحق الأمة بالشورى في الأمر وحق رد الظلم والقصاص من الظالمين.

- قولـه (ومـا اختلفتم فيـه من شـــيء فحكمـه إلى الله) نص في العموم في وجوب التحاكم إلى حكم الله في كل شيء و (من شيء) نكرة مسبوقة بمن فصارت نصا في عمومها.

- وردت الولاية في سورة الشورى في مواضع هي:

١- ولاية اتباع وطاعة (اتخذوا من دونه أولياء) وهم الرؤســاء والطغاة المتبعون بالباطل (أولياؤهم الطاغوت)(١).

٢- ولايـة رعـايـة ونصـــرة (والظـالمون مـا لهم من ولي ولا نصـــير) فليس لهم من يلي رعايتهم ويتولى نصرتهم بل (الله هو الولي) الذي له الولاية المطلقة عليهم.

٣- ولاية حكم وتشـــريع (فالله هو الولي... وما اختلفتم فيه من شـــيء فحكمه إلى الله... شرع لكم).

٤- ولاية هداية وتوفيق (ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده).

٥- ولاية تصـــريف وتدبير (وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشـــر رحمته وهو الولي الحميد) فهو الذي يتولى وحده تصريف شئون الخلق وله وحده الحمد.

- فقوله (فالله هو الولي) أفاد قصـــر الولاية المطلقة وحصـــرها لله وحده ولاية التصـــريف والرعاية وولاية التأييد وولاية الهداية وولاية الحكم والتشريع.

- قررت الشـورى توحيد الملك والولاية لله وحده بأوضـح بيان (لله ملك السـموات والأرض) (أم اتخذوا من دونـه أولياء فالله هو الولي) وحده.

- قال في الشورى (لله ملك السموات والأرض) وهو تقرير وحدانية الله الولي في الملك فليس معه ملك في مملكته وسلطانه فالخلق جميعا عباده.

- قال الطبري ٢/ ١٠٧(لله ملك السـموات والأرض) (عنى ملك السلطان والمملكة فالخلق أهل مملكته وطاعته عليهم السمع والطاعة لأمره ونهيه).

- قال الطبري في تفسيره (لي ملك السموات والأرض وسلطانهما دون غيري أحكم فيهما بما أشاء وأنهى عما أشاء... الخ) وهو توحيد لله في الملك.

- وتوحيد الله في الملك هو إفراده بـالســلطـان والطـاعـة (مـا لكم من دون الله من ولي) قـال الطبري: (فأنا المنفرد بولايتكم والمتوحد بنصرتكم).

---

(١) البقرة : ٢٥٧

- كل ما يقتضــــيه توحيد الله في الطاعة والحكم والأمر والنهي فرع عن توحيد الله في الملك والولاية المطلقة على الخلق (فالله هو الولي).

- وقد أوجب القرآن توحيد الله في الملك ليس باعتقاد أن الله وحده ملك الســـموات والأرض فقط بل (ملك الناس)[1] فليس لهم ملك ولا ولي سواه.

- نفى القرآن الشـرك مع الله في الملك (ولم يكن له شـريك في الملك) وفي الصـحيح: (لا ملك إلا الله)[2] ولا ينازع الله في ذلك إلا ملوك الأرض.

- لا يتصـور أن يقرر القرآن حقيقة توحيد الله في الملك ونفي الشـريك عنه فيه ثم يكون معه ملوك في الأرض لهم ولاية على الخلق وطاعة وحكم.

- ولهذا جاء في الصحيح:
(يقول الله يوم القيامة أنا الملك!
أين ملوك الأرض؟
أين الجبارون؟
أين المتكبرون؟
لمن الملك اليوم)[3] ؟

- فملوك الأرض وآلهتها البشــرية وليس الأوثان الحجرية هم من ينازعون الله في الملك بادعائهم الباطل لينازعوه في ولايته وطاعته وحكمه.

- فأبطل القرآن كل صـــور الملك الجبري للخلق كدعوى فرعون (أليس لي ملك مصـــر)[4] بخلاف ملك الأنبياء الذي يكون بإذن الله كملوك بني إسرائيل.

- فملك داود وسليمان ملك نبوة كما في الصـحيح (إن بني إسـرائيل كانت تسـوسـهم الأنبياء وإنه لا نبي بعدي وسيكون خلفاء)[5] فلا ملك في الإسلام.

---

(١) الناس : ٢
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه مسلم والبخاري.
(٤) الزخرف : ٥١
(٥) متفق عليه.

- ونكمل غدا الحديث عن الملك وإبطال الإسلام له وتشريع الخلافة النبوية كما في حديث (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي)[1].

- نفت الشورى الملك والولاية والحكم عمن سوى الله وأوجبت توحيد الله بها (لله ملك السموات والأرض) (فالله هو الولي) (فحكمه إلى الله).

- ونفت الشورى عن الله الشريك في الحكم والتشريع (أم لهم شركاء شرعوا) والشريك في الولاية (أم اتخذوا من دونه أولياء) لتأكيد توحيده.

- بناء على توحيد الله في الملك والولاية والحكم شرع لهم من الدين أحسنه وأقومه (أقيموا الدين) ومن الحكم أعدله (وأمرت لأعدل بينكم).

- بعد توحيد الله في الملك والولاية والحكم المطلق شرع لعباده الشورى كدلالة على الشركة بينهم في الحكم والرأي المقيد لتفرده بالمطلق.

- تعبر الشورى عن إفراد الله في الحكم المطلق(لا يسأل عما يفعل وهم يسألون)[2] كما تعبر عن وحدة الإنسان وأخوة الإيمان (المؤمنون أخوة)[3].

- جاء القرآن بالشورى كانسجام مع أصوله الإيمانية فلا يتصور قبوله للملك والاستبداد والتفرد بالحكم التي هي من أخص خصائص الله وصفاته.

- تعبر الشورى أيضا عن أصل الأخوة والمساواة بين العباد (إنما المؤمنون أخوة)[4] فلا يتصور أن يقر النظام الإسلامي الاستبداد الذي يضادها.

- فالشورى نظام حياة للمجتمع الإسلامي (وأمرهم شورى بينهم) وتعبير عن أصل توحيد لله الذي له الولاية عليهم جميعا وأصل المساواة بينهم.

- وفي البخاري أثر (إنكم معاشر العرب ما تزالون بخير ما دمتم إذا مات أمير تآمرتم - تشاورتم - بآخر فإذا كانت بالسيف كانوا ملوكا).

- نستكمل بإذن الله نظرات قرآنية في سورة الشورى ومعرفة الأسس الإيمانية والعملية لحقيقة الشورى كنظام سياسي راشد.

---

(١) ورد في صحيح الترمذي، وأبي داوود، وابن ماجة، ومسند أحمد، ومستدرك الحاكم.
(٢) الأنبياء : ٢٣
(٣) الحجرات : ١٠
(٤) الحجرات : ١٠

- ليست الشورى كما يشيع في الثقافة العامة مشاورة الإمام للأمة بل هي اختيار الأمة للإمام (الإمارة شورى) (لا إمارة إلا عن شورى)[1].

- جاءت آية الشورى (وأمرهم شورى) جملة اسمية تفيد الثبوت والاستقرار كمبدأ وحق لأنها مكية ولم تقم دولة فقررت حق الأمة قبل وجود السلطة.

- جاءت الشــورى في آل عمران (وشــاورهم في الأمر)[2] جملة فعلية تفيد التجدد بعد وجود السلطة وتوجه الخطاب لها لترد الأمر للأمة في كل شأن.
- قررت آيتا الشـورى حق الأمة ابتداء في اختيار السلطة قبل وجودها وحقها برد الأمر إليها بعد وجودها فهي صاحبة الولاية ابتداء وانتهاء.

- ولاية الأمة على نفســها ثابتة قبل وبعد وجود الســلطة (إنما وليكم الله ورســوله والذين آمنوا)[3] (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض)[4].

- بحكم الولاية العامة المقيدة للأمة على نفســها المســتمدة من ولاية الله المطلقة حق لها اختيار الإمام وكيلا عنها وحق لها عزله وخلعه.

- الأحكام الشــرعية عامة تخاطب الأمة لولايتها النافذة والإمام وكيل عنها بالقيام بما أمرها الله به ابتداء فإذا عجز رجع الأمر إليها.

- قررت السورة حق الأمة في الشورى كفرع عن ولاية الأمة على نفسها ثم قررت حقها في دفع البغي عن نفسها (إذا أصابهم البغي هم ينتصرون).

- وأوجبت رفع الظلم (ولمن انتصــر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من ســبيل.إنما الســبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق).

- قال عمر تأكيدا لتحريم اغتصــاب الســلطة (إني محذر الناس هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمرهم من بايع رجلا دون شورى فلا بيعة له).

- أكد عمر وبإجماع الصحابة وجوب دفع الظلم والبغي ممن يغتصب السلطة (لا إمارة إلا عن شورى من تأمر بغير شورى فلا يحل لكم إلا قتله).

---

(١) قول لعمر بن الخطاب رضي الله عنه.
(٢) آل عمران : ١٥٩
(٣) المائدة : ٥٥
(٤) التوبة : ٧١

- نستكمل نظرات قرآنية في سورة الشورى وارتباط الشورى بالاستقامة والصراط المستقيم وتحريم ضدهما وهو الطغيان.

- أمرت السورة بالاستقامة على أمر الله ومن ذلك الإيمان بولاية الله و حاكميته المطلقة والدعوة إلى ذلك (فلذلك فادع واستقم كما أمرت).

- ومن الاستقامة التي يجب الدعوة إليها (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم) فقرن بين الإيمان بالكتاب والعدل بالحكم.

- بعد ذكر السورة كل أصول الحكم التي يجب الإيمان بها والدعوة إليها والاستقامة عليها ختمت (وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله).

- فتوحيد الله بالولاية والحكم والتشريع وجعل الأمر شورى للأمة والحكم بالعدل ورفض الظلم كله من صراط الله الذي يجب الاستقامة عليه.

- فقوله في الفاتحة (اهدنا الصراط المستقيم)[١] يتضمن الشورى وأصول الحكم في الإسلام (فاستقم كما أمرت)[٢] (وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم).

- فالشورى من سبيل الله قال علي: (إنما الشورى للمهاجرين والأنصار فمن اختاروه إماما كان لله رضى فمن خالفهم اتبع غير سبيل المؤمنين).

- كل ما خالف الاستقامة والصراط المستقيم ومن ذلك الشورى فهو الطغيان (فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا)[٣] وهو الخروج عن الصراط.

- لهذا كان غاية الرسل هدم الطغيان والطاغوت (اذهب إلى فرعون إنه طغى)[٤] (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)[٥].

- لم تقتصر سورة الشورى على بيان أصول الحكم والنظام السياسي القرآني وإنما شرعت الأحكام الاقتصادية لهذا النظام على أسس تعبر عنه.

---

(١) الفاتحة : ٦
(٢) هود : ١١٢
(٣) هود : ١١٢
(٤) طه : ١٧
(٥) النحل : ٣٦

- بدأت السـورة بقوله (كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم) فهو عزيز لا يسأل عما يفعل ولا معقب لحكمه فهو القاهر.
- وهو الحكيم الذي لا يصـدر عنه إلا الحق والعدل والخير والصـواب فما شـرعه لعباده هو الصراط المستقيم والهدى القويم الذي فيه صلاحهم.

- قررت الشـورى بأن مفاتيح الرزق بيد الله (له مقاليد السموات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) فالمال نتيجة رزق الله وعطائه بحكمة.

- وكون الرزق من الله يقتضـي عدم التصـرف فيه إلا وفق ما شـرع بالحق والعدل (وأمرت لأعدل بينكم) فلا إجحاف بحق الفقير ولا ظلم للغني.

- بينت السـورة الحكمة من تفاضـل الناس بالرزق (ولو بسـط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير).

- وأكدت ولاية الله على الخلق بالرزق (وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد) فهو المحمود بولايته ورحمته.

- قررت السورة بأن الرزق والتفاضل فيه وما آتاهم الله منه كله (متاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى) فلا يغتر به الإنسان.

- شـرعت الشـورى وهي مكية وجوب الإنفاق من رزق الله (وأمرهم شـورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون) فالحكم بينهم شورى والمال شركة بالعدل.

- فالمال لله جعل الله فيه للفقراء والمحتاجين حقا (كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم)[1] فلا استبداد بالحكم ولا استئثار بالمال والرزق.

- وحددت سـورة الشـورى معالم المجتمع الإيماني الراشـد وقيمه الاجتماعية التي تسـوده ومنها العفو في الغضب (وإذا ما غضبوا هم يغفرون).

- رفض البغي ودفع العدوان (إذا أصـابهم البغي هم ينتصـرون) فليس صـفحهم وعفوهم عن عجز وإيمانهم ودينهم يوجب عليهم الانتصار ممن بغى.

- العدل في الانتصـاف بلا اعتداء (وجزاء سيئة سيئة مثلها) بلا تجاوز في القصـاص، العفو والإصلاح (فمن عفا وأصلح فأجره على الله).

---
(١) الحشر : ٧

- تجنب الظلم (إنه لا يحب الظالمين) في اقتصاصهم، الصبر والمسامحة بعد الانتصار لا قبله (ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور).

- اجتناب الإثم والفواحش (والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش) وهو كل عدوان محرم على النفس أو المال أو العرض أو العقل أو الدين.

- الاستجابة لربهم وحكمه وعبادته (استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة) الإنفاق من أموالهم فيما وجب فيها وندب (ومما رزقناهم ينفقون).

- حددت سورة الشورى الموقف من القضايا الإنسانية الرئيسة التي طالما كانت سبب الصراع في المجتمعات وهي الإنسان والدين والسلطة والمال.

- فالموقف من الإنسان أنه مكلف مسئول حر ليتحقق الابتلاء وهو الغاية من الخلق (وما أنت عليهم بوكيل) (ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة).

- كون الإنسان حرا مختارا جعل الجزاء على دينه في الآخرة (إلى أجل مسمى) (من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب).

- بناء على حرية الإنسان ومسئوليته قررت الشورى (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير) بالآخرة.

- فقرن بين مسئولية الإنسان وحرية التدين فلا إكراه في الدين لأن الإكراه ينافي الحكمة من خلقهم مختلفين ليبلوهم الله أيهم أحسن عملا.

- فالجزاء على الأعمال والدين هو يوم الحساب وأما في الدنيا فالمراد العدل بين العباد والمنع من الظلم (وأمرت لأعدل بينكم) بالحكم.

- وحدد العدل الواجب إقامته بين الخلق بأنه ليس أهواءهم (ولا تتبع أهواءهم) بل هو حكم الله الذي (أنزل الكتاب بالحق والميزان) بالقسط.

- فالشورى التي قررت حق المؤمنين بالحرية قررت لغيرهم حق الحرية بالإيمان وعدمه لأن (لا إكراه في الدين)[1] لأنه ينافي حكمة تكليف العباد.

(١) البقرة : ٢٥٦

- فالفتنة التي أوجب الله الجهاد لرفعها هي إكراه أحد على ترك دينه (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله)[1] أي الحكم والطاعة.

- وليس المراد (ويكون الدين لله)[2] أن يدخل الناس كلهم في الإسـلام بل أن يكون الحكم لله حتى لا يظلم ولا يفتن أحد لهذا حمى أهل الأديان.

- ولم يعرف التاريخ أمة يوجب دينها حماية المخالف لها في الدين من أهل ذمتها ويجعل ذلك من حكم الله وعدله إلا (خير أمة أخرجت للناس)[3].

- لم يجعل الله رسوله جبارا ولا مسيطرا (وما أنت عليهم بجبار)[4] والجبار الملك المسيطر ولهذا كانت الشورى نظام حياة المجتمع الإسلامي.
- جاء في الشورى التأكيد على الاستجابة التي تقتضي حرية الاختيار(ويستجيب الذين آمنوا) (من بعد ما استجيب له) (الذين استجابوا لربهم).

- فطاعة الله والرسول والتحاكم إليه هي استجابة طوعية اختيارية لا إكراه فيها ولا إجبار (وما أنت عليهم بوكيل) (لا إكراه في الدين)[5].

- وبناء على الاستجابة والإيمان والطاعة التي هي أفعال اختيارية قال (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم)[6] فهم من يحكِّم.

- فلا يتصور إقامة دولة الإسلام ما لم يستجب الناس فإن آمنوا فهم أمة الإجابة الذين يلزمهم تحكيم النبي وإلا يستجيبوا فهم أمة الدعوة.

- جاءت بيعة العقبة مع الأنصار في مكة لتأكيد طبيعة العلاقة وأنها عقد عن تراض وإيمان على السمع والطاعة (بايعنا على السمع والطاعة)[7].

- ليس في السمع والطاعة كما يتوهم إجبار وإكراه بل حرية كما قال (ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين)[8] فالطوع اختيار لا إجبار.

---

(١) البقرة : ١٩٣
(٢) البقرة : ١٩٣
(٣) آل عمران : ١١٠
(٤) ق : ٤٥
(٥) البقرة : ٢٥٦
(٦) النساء : ٦٥
(٧) متفق عليه.
(٨) فصلت : ١١

- فالطاعة والاستطاعة والطوع كلها تعني الفعل الذي يأتي به الإنسان مختارا بلا جبر بحسب قدرته فينتفي عنه الإكراه الذي ينافي التكليف.

- فلا يتصور لا شرعا ولا عقلا أن يرفع الله الإكراه عن عباده حتى في طاعته وعبادته وينفي عن رسوله أنه جبار أو مسيطر ثم يجعله لبشر؟

- حرمت الشورى شرك الطاعة للأولياء والرؤساء (اتخذوا من دونه أولياء) (شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) والدين الطاعة.

- أكدت الشورى توحيد الطاعة حيث هدمت كل طاعة لغير الله وعدته شركا مع الله الذي له الدين والطاعة (وإن أطعتموهم إنكم لمشركون)[1] بالطاعة.

- فالصراع هو بين الأنبياء والأولياء الذين يتولاهم المشركون بالطاعة والاتباع (ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا)[2] بطاعتهم.

- أطلق القرآن وصف الطاغوت على الأولياء وأمر بالكفر بهم (الله ولي الذين آمنوا... والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور)[3].

- قال الطبري: (الذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يحولون بينهم وبين الإيمان ويضلونهم) (الطاغوت كل ذي طغيان بقهر منه لمن عبده أو بطاعة).

- فرق الطبري بين العبادة القهرية والطاعة الاختيارية وقد تقع من الاتباع للرؤساء والعلماء (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا)[4] بطاعتهم.

- الطاغوت منه طاغوت اتباع وطاعة (أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم)[5] وطاغوت حكم (يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به)[6].

- طاغوت الحكم كل من يتحاكم الناس إليه باختيارهم أو كرها فيحكم بينهم بغير حكم الله وعدله فإن رضوا به فهو طاغوت وهم مشركون بطاعته.

---

(١) الأنعام : ١٢١
(٢) الأحزاب : ٦٧
(٣) البقرة : ٢٥٧
(٤) التوبة : ٣١
(٥) البقرة : ٢٥٧
(٦) النساء : ٦٠

- قال الطبري: (يريدون أن يتحاكموا في خصومتهم إلى الطاغوت يعني من يعظمونه ويصدرون عن قوله ويرضون بحكمه من دون حكم الله) باختيارهم.

- والناس إنما يتحاكمون لعظمائهم قال الطبري: (الطاغوت كل معظم من دون الله بعبادة أو طاعة أو خضوع له كائنا ما كان من إنسان أو غيره).

- هدمت الشورى الطغيان البشري بالطاعة أو الاتباع أو التحاكم وأفردت الله وحده (فالله هو الولي) (لا تتبع أهواءهم) (فحكمه إلى الله).

- فجاءت الشورى نقيضا للطغيان (وأمرهم شورى بينهم) (وشاورهم في الأمر)[١] (فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ).

- لم تتطرق الشورى بشكل مباشر لتوحيد العبادة بقدر ما أمرت بتوحيد الله في الولاية والحكم والتشريع والطاعة ونهت عن الإشراك في ذلك.

- فتوحيد الله في العبادة فرع عن توحيد الله في الحكم (إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه)[٢] فلأن الحكم لله أمر بعبادته وحده.

- فالأمر والنهي من أفراد الحكم ولا تعرف العبادة إلا بافعل ولا تفعل ولا يتحقق ذلك إلا بالإيمان بأن الله وحده له الحكم والأمر.

- فمن لم يؤمن ابتداء بقوله (إن الحكم إلا لله) لم يستقم له انتهاء (أمر ألا تعبدوا إلا إياه) ففعل الأمر متوقف على توحيد الله بالحكم.

- حين اختل توحيد الله في الحكم والأمر (ألا له الخلق والأمر)[٣] وجد من يتصور أنه يمكن تحقيق توحيد العبادة قبل توحيد الله في الحكم.

- وصل الحال أن حكم الطاغوت في الأمة يحل ما يشاء ويحرم ما يشاء ويحكم بما يشاء ثم يوجب الجاهلون ولايته ومحبته ونصرته والقتال معه.

- جلت سورة الشورى هذا الأصل فاستفاضت في تقرير توحيد الله في الولاية والحكم والتشريع إذا عليه مدار نظام المجتمع في دينه ودنياه.

---

(١) آل عمران : ١٥٩
(٢) يوسف : ٤٠
(٣) الأعراف : ٥٤

- أكدت الشـــورى بأن الغاية من ذلك (وأمرت لأعدل بينكم) لأن الله (الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان) والخروج عن ذلك هو الظلم والطغيان.

- فوصـــف بـالظلم من خرج عن توحيد الولايـة (والظـالمون ما لـهم من ولي) ومن خرج عن توحيد التشريع (شرعوا لهم... وإن الظالمين لهم عذاب أليم).

- ووصـفت الشـورى بالظلم كل من خرج حد العدل والحق بالعدوان على الخلق (إنما السـبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق).

- كما وصفت بالظلم من خرج عن حد الهداية (ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل).

- حددت سـورة الشـورى معالم الاسـتقامة التي سـيقوم عليها مجتمع الاسـتجابة الإسـلامي (فلذلك فدع واستقم كما أمرت... وأمرت لأعدل بينكم).

- والاســـتقـامـة تقـابل الطغيان (فاســـتقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا)[1] وهو تجاوز الاستقامة في العبادة (اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها)[2].

- وتجاوز الاستقامة في الحكم (يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت)[3] وتجاوز الاستقامة في الاتباع والولاية (أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم)[4].

- وأمر الله بـاجتنـاب الطـاغوت (ولقد بعثنـا في كل أمـة رســـولا أن اعبـدوا الله واجتنبوا الطاغوت)[5] سواء طاغوت العبادة أو الحكم أو الاتباع.

- ويقابل سـبيل الله سـبيل الطاغوت (الذين آمنوا يقاتلون في سـبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان)[6].
- ولـهذا يقاتل الطاغوت البشـــري بأتباعه وأنصـــاره (ويقتلون الذين يأمرون بالقســـط من الناس)[7] من الأنبياء وأتباعهم الذين يأمرونـهم بالعدل.

- وأبرز صور طاغوت الحكم فرعون وكل سيد مطاع يحارب المؤمنين كما قال النبي عن أبي جهل بأنه (فرعون هذه الأمة) فهو فرعون تلك الفترة.

---

(١) هود : ١١٢
(٢) الزمر : ١٧
(٣) النساء : ٦٠
(٤) البقرة : ٢٥٧
(٥) النحل : ٣٦
(٦) النساء : ٧٦
(٧) آل عمران : ٢١

- فالطاغوت والفرعون بشر له أنصاره وأشياعه يحبه شعبه ويفدونه بأرواحهم (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله)[1].

- وأبرز سنن حكم الطاغوت اتباعه لهواه وشهواته بخلاف الأنبياء (ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم).

- قال الله (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى)[2] (احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم)[3].

- جعل الله إفراده بالأمر المطلق من توحيده كتوحيده بالخلق (ألا له الخلق والأمر)[4] ويعم الأمر القدري الكوني والأمر الشرعي الديني.

- قال الله عن عاد (وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد)[5] والجبار الملك القاهر فاتباع أمر الملوك والطغاة وطاعتهم نقيض توحيد الله.

- وحذر الله من طاعة أمر المسرفين والمفسدين (ولا تطيعوا أمر المسرفين . الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون)[6] فطاعة أمرهم شرك في الطاعة.

- (قال الذين استضعفوا للذين استكبروا... إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا)[7] (ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا)[8].

- فكانت سنن الأنبياء (وأمرهم شورى بينهم) (وشاورهم في الأمر)[9] وسنن الطغاة الاستبداد بالأمر (فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد)[10].

- وقال الله عن قوم فرعون (فاستخف قومه فأطاعوه)[11] في ما خالف أمر الله (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها... فدمرناها)[12].

---

(١) البقرة : ١٦٥
(٢) ص : ٢٦
(٣) المائدة : ٤٩
(٤) الأعراف : ٥٤
(٥) هود : ٥٩
(٦) الشعراء : ١٥١ ـ ١٥٢
(٧) سبأ : ٣٣
(٨) الأحزاب : ٦٧
(٩) آل عمران : ١٥٩
(١٠) هود : ٩٨
(١١) الزخرف : ٥٤
(١٢) الإسراء : ١٦

- الغاية من بعث الرسـل طاعتهم (فاتقوا الله و أطيعون)[١] (وما أرسـلنا من رسـول إلا ليطاع بإذن الله)[٢] فطاعتهم طاعة لله وتوحيده لأنها بأمره.

- جعل الله اتخاذ غيره مطاعا من دونه شـــركا ومن اتخذوهم أربابا وآلهة (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا)[٣] قال يحلون لهم الحرام فيطيعونهم.

- حكم الله بـالشـــرك على من أطاع غيره ولو كان مؤمنا بالله فقال مخاطبا المؤمنين يحذرهم من طاعة المشركين (وإن أطعتموهم إنكم لمشركون)[٤].

- طاعة غير الله واتباعه قد تكون محبة (أندادا يحبونهم كحب الله... إذ تبرأ الذين اتُبعوا من الذين اتَّبعوا)[٥] سواء كانوا رؤساء أو علماء.

- قال ﷺ: (تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم)[٦] وعبادتهما بمحبتهما حبا يصـرف الإنسـان عن طاعة الله فكل محبوب أو متبوع أو مطاع دون الله إله.

- ســـمى الله الهوى إلها باتباع العبد له (أرأيت من اتخذ إلهه هواه)[٧] وذلك بأن لا يحلل ولا يحرم إلا ما تهواه نفسه فتكون نفسه إلها له.

- كما ورد إطلاق الإلـه على الملك المطاع من دون الله (لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين)[٨] (ما علمت لكم من إله غيري)[٩] تجب طاعته.

- فقد كان تأله فرعون هو بإجبار الناس على طاعته وهذه هي عبودية بني إســـرائيل له كما قال الملأ (وقومهما لنا عابدون)[١٠] بخضوعهم وطاعتهم .

- فصـــار مفهوم الإلـه والرب يطلق على الملوك وعلى الأحبار وعلى الرهبان وعلى هوى النفس كما قال ابن عباس: (الهوى إله معبود من دون الله).

---

(١) الشعراء : ١٠٨
(٢) النساء : ٦٤
(٣) التوبة : ٣١
(٤) الأنعام : ١٢١
(٥) البقرة : ١٦٥ - ١٦٦
(٦) صحيح البخاري.
(٧) الفرقان : ٤٣
(٨) الشعراء : ٢٩
(٩) القصص : ٣٨
(١٠) المؤمنون : ٤٧

- أمرت الشـــورى بالاســـتقامة (واســـتقم كما أمرت)[1] وهي نقيض الطغيان (ولا تطغوا)[2] والطغيان تجاوز الحد المشروع كفرا أو ظلما أو بغيا وعدوانا.

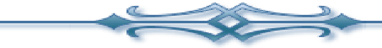
- الطغيان قد يكون سياسيا فرديا (فرعون إنه طغى)[3] أو ماديا اقتصاديا (إن الإنسان ليطغى . أن رآه استغنى)[4] أو مجتمعيا (بل هم قوم طاغون)[5].

- كان طغيان قوم نوح اجتماعيا (أنؤمن لك واتبعك الأرذلون)[6] وقوم شعيب اقتصاديا (أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين . وزنوا بالقسطاس)[7].

- وقد حرم الله الطغيان بكل صـــوره الســـياســـي والاقتصـــادي (ألا تطغوا في الميزان)[8] والاجتماعي (وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى)[9].

- قررت سورة الشورى التصدي للظلم والطغيان بكل صوره (إذا أصابهم البغي هم ينتصرون) (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل).

- رفض الطغيان سواء كان سياسيا أو اقتصاديا أو اجتماعيا أو سلوكيا والتصدي له وتغييره والثورة عليه حين لا يجد المصلحون بدا واجب وحق.



---

(١) هود : ١١٢
(٢) هود : ١١٢
(٣) طه : ٢٤
(٤) العلق : ٦ - ٧
(٥) الذاريات : ٥٣
(٦) الشعراء : ١١١
(٧) الشعراء : ١٨١ - ١٨٢
(٨) الرحمن : ٨
(٩) النجم : ٥٢

نظرات قرآنية حول سورة الأحزاب

- الأحزاب مدنية وآياتها ٧٣ آية بعدد أهل العقبة الثانية ففيها (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) احتفاء بهم وتذكيرا بعهدهم.

- جاءت الأحزاب بعد سورة السجدة وهي مكية وآخرها (ويقولون متى هذا الفتح... فأعرض عنهم وانتظر)(١) للتناسب بينهما فالفتح بعد حصار الأحزاب.

- موضوع السورة هو حصار الأحزاب من جبابرة العرب وأعوانهم من يهود للمؤمنين في المدينة وتآمرهم للقضاء على الإسلام ودولته يوم الخندق.

- لم يتكرر مشهد الأحزاب وتآمر كفار العرب واليهود على الإسلام وعلى الأمة منذ تطهير جزيرة العرب منهم بعد غزوة الخندق إلا في هذا العصر.

- الأمة أحوج ما تكون لفك الحصار عنها وكشف كيد أعدائها إلى تدبر سورة الأحزاب ففيها (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) وكيف تصرف.

- كشفت السورة بأبلغ عبارة حال المؤمنين حين اشتد عليهم الحصار والتآمر من أعدائهم من عرب ويهود وحال المنافقين في المدينة وما جرى منهم .

- افتتحت السورة بأشرف خطاب وأجله وأعظمه (يا أيها النبي اتق الله) فأكرم به متكلما (الله) وخطابا (القرآن) ومخاطبا (النبي) لتصغي النفوس.

- الافتتاح بوصف النبوة (يا أيها النبي) إشارة إلى قرب تحقق الفتح الذي بشرت به سورة السجدة المكية في آخر آية فبعد الأحزاب سيكون الفتح.

- أمر الله نبيه لمواجهة الأحزاب وكيدهم وتآمرهم بأول وسيلة للنصر (اتق الله) فإنها ذخيرة المؤمنين وعدتهم على عدوهم فمن اتقى الله نصره.

- تقوى الله كلمة جامعة لكل معاني العبودية لله تعالى بفعل المأمور وترك المحظور والصبر على المقدور والاستقامة على صراط الله المستقيم.

- نكمل غدا (نظرات قرآنية) في سورة الأحزاب التي تنطبق على واقع الأمة اليوم كما جرى لها يوم تآمر الأحزاب من عرب ويهود عليها بالحصار.

---

(١) السجدة : ٢٨ - ٣٠

- نكمل (نظرات قرآنية) في ســـورة الأحزاب وربطـه بما تتعرض له الأمة من تآمر خارجي وداخلي يشبه تآمر طغاة العرب ويهود المدينة يوم الخندق.

- ابتدأت الســـورة بخطاب مباشـــر للنبي (يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين) والأمر فيه تجريد لمقام الربوبية لله وحده والعبودية لنبيه.

- الأمر بتقوى الله لا ينافي مقام النبوة إذ النبي هو (أول المؤمنين) و (أول المســـلمين) وكل خطاب له فهو لأمته وهذا دليل على كمال نبوته.

- النداء (يا أيها النبي) فيه تشريف له من ربه وتكريم بوصف النبوة وشهادة من الله له بها (وكفى بالله شهيدا)[1] وإشارة لوقوع كل ما نبأهم به.

- في خطاب الأمر (اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين) بيان لخطورة طاعة الكافرين والمنافقين ومداهنتهم وأنه ينافي تقوى الله وطاعته.

- قوله (ولا تطع الكافرين والمنافقين) تحذير من خطر العدو الخارجي الكافر الظاهر الممانع والداخلي المنافق المصانع تمهيدا لكشف مؤامرتهم.

- قوله (ولا تطع الكافرين) من يهود وعرب فيما يدعونك إليه من اتباع ملتهم وطريقتهم في الحياة فإن عداوتهم لن تتوقف (حتى تتبع ملتهم)[2].

- لفظ (ولا تطع) يشير إلى ما كان يريده طغاة العرب في مكة واليهود في المدينة من موافقة النبي لهم والقبول بإملاءاتهم لكف الحرب عنه.
- يمثل الكفر عدوا خارجيا ظاهرا على الإسلام لأنه يغالبه ويمانعه بالقوة بينما النفاق يصانعه ويمكر به بالخفاء فيكيد للإسلام من الداخل.

- ختم أول آية بقوله (إن الله كان عليما حكيما) عليم بأحوالكم وأحوال أعدائكم وحكيم بما يأمركم به من عدم طاعتهم والحذر من مكرهم وكيدهم.

- حددت فواتح سورة الأحزاب سبيل الهداية والنصر إجمالا بأربعة أمور
  (اتـــــق الله...
  ولا تطع الكافرين...
  واتبع ما يوحي إليك...

---

(١) النساء : ٧٩
(٢) البقرة : ١٢٠

وتوكـــــــل على الله).

- فأسباب النصر:
  ١- تقوى الله.
  ٢- باتباع هدايات كتابه.
  ٣- ثم بالتوكل عليه وحده لا شريك له مع الأخذ بالأسباب الممكنة.
  ٤- والحذر من العدو.

- في قولـه (وتوكل على الله وكفى بـالله وكيلا) تنبيـه إلى عدم الخشـــية من العدو مهما عظم كيده ومكره فالنصر من عند الله وحده وكفى بالله نصيرا.

- ستشـرع السـورة بعد ذلك بتفصـيل ما أجملته في فواتحها وما جرى يوم الأحزاب وتآمرهم وكيف كانت تقوى الله وطاعته والتوكل عليه سببا للنصر.

- ونكمل بـإذن الله غدا (نظرات قرآنيـة) في ســـورة الأحزاب لمعرفـة هدايـات القرآن للأمـة وللمؤمنين في مواجهة خطر العدو الداخلي والخارجي.

- شـــرعت ســـورة الأحزاب بذكر تفاصـــيل مؤامرة الخندق بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود) فسماها نعمة.

- بل النعمة تعم ذلك كله فجمع الله لهم كل أعدائهم ليريهم صـــدق ما وعدهم به وهم في مكة (سيهزم الجمع ويولون الدبر)[١] فتحققت النبوءة.

- صـار يوم الأحزاب (نعمة الله) لتحقق ما وعد الله نبيه والمؤمنين وهم في مكة مستضـعفين من جمع عدوهم وهزيمته (سيهزم الجمع ويولون الدبر).

- جمع الله أعداء الإســـلام من طغاة العرب وطغاة اليهود يوم الأحزاب ليري المؤمنين كيف تكون نعمته عليهم بهزيمته لكل أعدائهم بلا حول منهم.

- تحقق يوم الأحزاب من جمع العدو لكل قوتـه الداخلية والخارجية وكانوا ١٢ ألفا ما لم يكن يوم بدر فهم الموعود (سيهزم الجمع ويولون الدبر).

---

(١) القمر : ٤٥

- لم تقم للعدو قائمة بعد الخندق بخلاف يوم بدر وقال النبي بعد الأحزاب (اليوم نغزوهم ولا يغزوننا)[1] فكانت تولية الدبر حقا (ويولون الدبر)[2].

- قوله (اذكروا نعمة الله) تنبيه على تذكر أيام الله التي أظهر فيها دينه ورســوله والمؤمنين للاعتبار حال الاستضعاف وللشكر حال الاستخلاف.

- إضــافة النعمة إلى الله (نعمة الله) لتعظيمها وأن ما جرى يوم الأحزاب كله تدبير رباني بما في ذلك جمع العدو وهزيمته جملة ومرة واحدة.

- تحقق يوم الأحزاب من النبوءات وكشــف الله بـه من المؤامرات وظهر فيـه من الابتلاءات والتمحيص والنصر بلا مؤنة ما جعله حقا (نعمة الله).

- ما جرى على الأمة يوم الخندق يجري مثله اليوم حيث كشـف الله من تآمر عدوها الخارجي (الأمريكي والروسي) والداخلي ما يعد من (نعمة الله).

- من (نعمة الله) على الأمة أن يسـتبين سـبيل الرشـد من سـبيل الغواية (ولتسـتبين سـبيل المجرمين)[3] بعد قرن من التيه في عبادة الطاغوت وموالاته.

- كشـف الله بثورة الأمة اليوم على الطاغوت من المؤامرات عليها داخليا وخارجيا وظهر من أحوال المجرمين ما لا يمكن تصوره لولا (نعمة الله).

- من تدبر سورة الأحزاب وما جرى من مؤامرات خارجية وداخلية على الأمة وكيف اضطرب المؤمنون وتمحص صفهم وجده مطابقا لما يعصف بها اليوم.

- ما حدث يوم الأحزاب كالزلازل الذي تعيشــه الأمة في مصــر وســوريا وهي أيام تمحيص (هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا).

- نكمل بإذن الله غدا (نظرات قرآنية) في ســورة الأحزاب وكيف تشــابه ما جرى فيها مع ما يجري للأمة اليوم مع أعدائها في الخارج والداخل.

- افتتح الله خبر الأحزاب بـالامتنـان على المؤمنين (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود) فإيمانهم سبب نعمة النصر.

---

(١) صحيح البخاري.
(٢) القمر : ٤٥
(٣) الأنعام : ٥٥

- ربط الله بين الإيمان (يا أيها الذين آمنوا) وحدوث نعمة النصـــر (اذكروا نعمة الله عليكم) حتى لا يتوهم أن النصر خاص بالنبي ومعجزاته.

- قوله (إذ جاءتكم جنود) هم ١٢ ألفا من الأحزاب من طغاة العرب واليهود (فأرســـلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا).

- (فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها) حيث أنزل الله الملائكة يوم الأحزاب تثبيتا للمؤمنين وهزمهم بالريح العاصف فمزقت شملهم وأدبروا.

- قوله (وجنودا لم تروها) تنبيه إلى أن ما ظهر لهم من نصر الله السماوي بالملائكة والريح أقل مما لم يظهر (ولله جنود السموات والأرض)[1].

- (وجنودا لم تروها) ومن ذلك ما قذفه الله في قلوب الأحزاب من الرعب حتى هزمهم بلا قتال وفي الصحيح (نصرت بالرعب)[2] وهو متحقق للأمة بعده.

- قوله (إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم) لشدة إحكام الحصار الذي ضربه الأحزاب من طغاة العرب ويهود بني النضير وبني قريضة على المدينة.

- (إذ زاغت الأبصـــار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا) وذلك لشـــدة الخوف من الاستئصال والإبادة للمسلمين التي عزم عليها الأحزاب.

- لم يضف الفعل (زاغت الأبصار) (وبلغت القلوب الحناجر) للصحابة إذ أثبت لهم خلاف ذلك بعده وهو الإيمان والتسليم وإنما وقع ذلك في صفوفهم.

- (وتظنون بالله الظنونا) حيث راجت الإشـــاعات بأنها النهاية لدولة الإســـلام وللمؤمنين ولم يتصوروا بأنه بعد ٧ سنوات سيفتحون فارس والروم.

- ولقوة الإشاعات والحرب النفسية وحصار العدو المضروب على المدينة من كل جهة بهدف الإبادة (هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا).

- (وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا) فبدأ العدو الداخلي للأمة بحربه الإعلامية بالطعن بدينها.

- العدو الداخلي قسمان:

---

(١) الفتح : ٧

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(المنافقون) الذين يضمرون العداوة للأمة ودينها.
(والذين في قلوبهم مرض) ممن لا يضمر عداوة إلا إنه مريض يضر الأمة.

- كلا الفريقين (المنافقون) (والذين في قلوبهم مرض) يمثلون خطرا على الأمة زمن الحرب والاضطراب بإرجافهم وقيلهم وقالهم فحذر القرآن منهم.

- ونكمل غدا بإذن الله تفاصيل إرجاف العدو الداخلي وأساليبه في ظل الخطر الخارجي كما ورد في سورة الأحزاب وكيف تم مواجهتها.

- ذكرت سورة الأحزاب أبرز أعمال المنافقين حين الشدائد ومنه الشك بوعد الله بالنصر (ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا) لعدم إيمانهم بالغيب.

- ومن أبرز صفات المنافقين الإرجاف بالهزيمة قبل وقوعها والحض على ترك الجهاد (إذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا).

- ومن أفعال المنافقين حين تتعرض الأمة للخطر الفرار والتخلي عنها في محنتها خوفا على مصالحهم الخاصة (يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا).

- ومن أفعال المنافقين وقت الشدائد استجابتهم لفتنة العدو ودخولهم فيما يمليه عليهم (ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لأتوها).

- قوله (ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا) دليل على شدة تطلعهم لظهور العدو على الأمة وتشوفهم لفتنته والدخول في أمره وكفره.

- ومن صفات المنافقين وقت الشدة نقضهم عهودهم (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار) اغترارا منهم بقوة العدو وضعف الأمة.

- ومن صفات المنافقين وقت الشدة تعويق الأمة عن جهاد عدوها (قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس).

- قوله (ولا يأتون البأس إلا قليلا) فلا يدفعون مع الأمة عدوها إن فعلوا إلا رياء وطمعا بمصلحة لا رغبة في نصرها ولا ظهورها على عدوها.

- من صفات المنافقين البخل (أشحة عليكم) بالخير فلا يجاهدون مع الأمة عدوها ويجودون بأنفسهم ولا ينفقون ويجودون بأموالهم في الدفاع عنها.

- قوله (أشحة عليكم) أي في كل حال في الرخاء والشدة فلا يبذلون نفسا ولا مالا ولا وقتا ولا جهادا في إصلاح حال الأمة كراهة منهم لقوتها.

- ومن صفات المنافقين الجبن والهلع عند المحن (فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت) حرصا على الحياة.

- ومن صفات المنافقين الطعن والتشهير بالمؤمنين (فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير) فهم بخلاء في الخير مسرفون في الشر.

- ومن صفات المنافقين سوء الظن بالله وبالمؤمنين فلا يصيب لهم رأي لفساد تصورهم للواقع (يحسبون الأحزاب لم يذهبوا) فلا يتوقعونه مع وقوعه.

- كشفت سورة الأحزاب من صفات المنافقين النفسية والفعلية وقت المحن والاضطراب ما لم يبق معه ستر لهم يستترون به لتحذرهم الأمة وتتقيهم.

- نكمل غدا بإذن الله (نظرات قرآنية) في سورة الأحزاب للاستفادة من هداياتها في مواجهة الأخطار الخارجية والداخلية التي تعصف بالأمة.

- أبطل القرآن شبه المنافقين والمعوقين والذين في قلوبهم مرض ممن يخذلون الأمة عن جهاد عدوها (قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل).

- بين الله أن الفرار من الموت أو القتل فرار من قدره الذي لا مفر منه (قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة).

- ضربت السورة المثل بالنبي وصحبه بعد أن فضحت المنافقين والمعوقين والمرضى نفسيا وخلقيا ممن يزعزعون صف الأمة في وقت المحن ويخذلونها.

- أمر الله في سورة الأحزاب باتخاذ النبي ﷺ قدوة وأسوة حسنة في الثبات والجهاد والصبر واليقين بوعد الله في أشد المحن.

- كان النبي ﷺ يحفر الخندق مع أصحابه وكلما ضرب حجرا بشرهم بالنصر حتى بشرهم بفتح اليمن والعراق وفارس والشام والروم.

- تجاوز النبي ﷺ بأصحابه الأزمة نفسيا وإيمانيا فاستشرف لهم المستقبل وبشرهم حتى لا يكونوا أسرى أراجيف الحصار والحرب.

- ربط الله بين الإيمان بالغيب والإكثار من ذكره لمن أراد الاقتداء بالنبي (أسـوة حسـنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا).

- كلما زاد رجاء الإنسـان وإيمانه بربه ولقائه زاد ذكره له بحاله ومقاله وقلبه وهو عدة المجاهدين وحقيقة الاقتداء بالنبي بإيمانه وأعماله.

- حقيقة ذكر الله هو استحضار المؤمن لمقام إلهيته ذهنيا بالتفكر والتدبر بآيات الله القرآنية والكونية وعمليا بالطاعة والعبادة والإحسان.

- الرجاء من أشـرف مقامات العبودية (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) ففي الرجاء الأمل والاستبشار وحسن الظن بقضاء الله ورحمته حالا ومآلا.

- جاءت الآية (لمن كان يرجو الله) في سـياق الأحزاب وما جرى للمؤمنين من كرب عظيم تبشيرا لهم بالفرج بعد الشدة وتذكيرا بمعية الله لهم.

- لم تذكر الآية المرجو من الله ليعم كل رجاء يرجوه المؤمن منه وبه ومن ذلك بره ورحمته ونصره وفضله وجنته ورضوانه ولقاءه وكل خير يرجوه.

- ونكمل بإذن الله غدا (نظرات قرآنية) في سورة الأحزاب حيث ستشرع السورة في بيان حال المؤمنين وقت الشدة والحصار وكيف كانت لهم العاقبة.

- بعد أن فرغت سورة الأحزاب من فضح حال المنافقين والمعوقين والمرضى نفسيا وخلقيا عند وقوع الشدائد بدأت ببيان حال المؤمنين وثباتهم.

- بدأت السـورة في الحديث عن المؤمنين بالأمر باتخاذ النبي أسـوة فهو أول المؤمنين وقدوتهم تشريفا لهم بذكره قبل ذكرهم وتنويها بقدرهم.

- كان أول ما بدر من المؤمنين حين رأوا العدو التصـديق بوعد الله واليقين به (ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله).

- كما أن المحن تفضـح المنافقين وتكشـف زيف إيمانهم فإنها لا تزيد المؤمنين إلا إيمانا (وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما).

- كما تزيد المؤمنين إيمانا بوعد الله بالنصر بعد التمحيص للصف (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب)[1].

- وعد الله المؤمنين بالنصر والاستخلاف في الأرض ليحملوا رسالة الله للناس وليخرجوهم من الكفر إلى الإيمان ولا يتحقق ذلك إلا بتمحيصهم.

- لا يمكن أن يحمل المؤمنون رسالة الله للعالمين وفيهم المنافقون والمعوقون الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون فكان لا بد من تطهير صفهم.

- لا يظهر النفاق والخلل إلا بوجود خطر خارجي يهدد الأمة ولهذا كانت الشدائد كواشف عن مكامن الخطر الداخلي لتحتاط الأمة وتأخذ حذرها.

- إذا كانت الهجرة تمييزا لصفوف المؤمنين من المشركين وهم العدو الخارجي فإن الحصار تطهير للمؤمنين من عدوهم الداخلي من المنافقين.

- أبرز صفات المؤمنين حين الشدة زيادة الإيمان بالغيب والتسليم والطاعة للأمر (وما زادهم إلا إيمانا وتسليما) بإسلام القلب والوجه لله.

- حقيقة الإسلام وقطب رحاه
الاستسلام القلبي لله (إلا من أتى الله بقلب سليم)[2] من الشرك والنفاق والشك.
والإسلام الظاهري (أسلم وجهه لله)[3].

- أثنى الله على المؤمنين الذين ثبتوا في الشدة بأشرف ثناء وأكرمه (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) فوصفهم بالصدق والوفاء.

- فهذه شهادة من الله بكمال الرجولة لصحابة رسول الله ومن اقتدى بهم في ثباتهم على الإيمان والوفاء بعهدهم مع الله والجهاد في سبيله.

- نوهت الآية بشرف من استشهدوا من الصحابة قبل الأحزاب والخندق كيوم بدر ويوم أحد ويوم الرجيع وبئر معونة تذكيرا لمن بعدهم للاقتداء بهم.

---
(١) آل عمران : ١٧٩
(٢) الشعراء : ٨٩
(٣) البقرة : ١١٢

- كما أثنى الله على كل المؤمنين الذين صـــدقوا وما زالوا ينتظرون نحبهم ولم يبدلوا (فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا).

- جعل الله انتظار المؤمنين للوعد وتوطينهم أنفســـهم على الوفاء بالعهد من دلائل الصـــدق فحالهم كحال من سبق من الشهداء لعزمهم على الجهاد.

- نكمل بإذن الله غدا (نظرات قرآنية) في ســـورة الأحزاب وما جرى من نصـــر للمؤمنين وغنيمة وما وقع للعدو من هزيمة وما أشبه الليلة بالبارحة!

- ربطت سورة الأحزاب بين النتائج والأسباب (ليجزي الله الصادقين بصدقهم) فالصدق سبب للنصر (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه).

- الصـــدق في الاعتقاد والإقرار والقول والعمل هو حقيقة الإيمان والإســـلام (والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون)[١] وهو نقيض النفاق.

- وكما أن جزاء الصـــدق النصـــر في الدنيا والآخرة فجزاء النفاق العذاب في الدنيا والآخرة (ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم) إذا تابوا.

- لشدة خطر المنافقين على الأمة لموالاتهم للعدو الخارجي ومظاهرتهم له عليها كان كشف حالهم أولوية في سورة الأحزاب وأكثر أهمية للحيطة منهم.

- حاجة الأمة اليوم شـــديدة لمعرفة حال المنافقين والطابور الخامس الذي يتآمر عليها مع عدوها الخارجي الأمريكي الغربي أو الروسي الشرقي.

- هدد القرآن المنافقين (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم) فمن ظاهر العدو منهم شرع عقابه.

- جعل القرآن جزاء من خان الأمة في حربها مع عدوها النفي أو القتل (ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا... أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا).

- فتح الله باب التوبة للمنافقين (ويعذب المنافقين إن شـــاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفورا رحيما) إذا تابوا حفاظا على تماسك المجتمع.

---

(١) الزمر : ٣٣

- قص الله بعده خبر الأحزاب وهزيمتهم (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا) حيث هزمهم الله بالريح (وكفى الله المؤمنين القتال).

- (وكفى الله المؤمنين القتال) دليل بأن القتال ليس مرادا لذاته بل هو وسيلة لغيره وهو تحقيق الظفر والنصر فبأي وسيلة تحقق فثم شرع الله.

- (وكان الله قويا عزيزا) قويا بهزيمته الأحزاب بالرعب والريح العاصف دون قتال وعزيزا بحمايته للمؤمنين ومنع عدوهم من الظفر والنيل منهم.

- (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم) وهم يهود بني قريظة الذين خانوا المؤمنين من داخل المدينة وظاهروا العدو من حصونهم.
- (وقذف في قلوبهم الرعب) فنصر الله النبي والمؤمنين على بني قريضة بالرعب مع قوة حصونهم وقلاعهم في المدينة فاستسلموا بعد خيانتهم.

- وكان جزاء خيانتهم الكبرى (فريقا تقتلون وتأسرون فريقا) فقدم ذكر الفريق الذي يستحق القتل وهم قادتهم وأخر من يستحق الأسر من أتباعهم.

- وفي التقديم والتأخير نكت بيانية وبلاغية منها أن القتل جزاء والأسر عفو فقدم الجزاء والقتل إفناء فعجله بالذكر والأسر استبقاء فأخره.

- ونكمل غدا بإذن الله (نظرات قرآنية) في سورة الأحزاب لمعرفة كيف عالجت الخطر الداخلي حال تعرض الأمة لخطر العدو خارجي.

- في سورة الأحزاب يتجلى القدر الإلهي والأمر الرباني في إدارة الصراع (ورد الله الذين كفروا... وكفى الله المؤمنين... وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب).

- من الإيمان بالغيب شهود الله في أفعاله في الخلق وتصريفه شئونهم وتجلي قدرته وحكمته ورحمته ومعيته للمؤمنين (أن تعبد الله كأنك تراه)[1].

- حين تطغى المادية ويضعف الإيمان بالغيب الذي كل هذا الوجود المادي بعض تجلياته لا يمكن الاهتداء إلى سنن الله التي لا تتبدل في الخلق.

- أفعال الله في الوجود وأقداره في الخلق دليل ربوبيته التي تقتضي طاعته (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة).

(١) رواه مسلم.

- بعد هزيمة الله للجاهلية وأحزابها عسكريا جاءت التشريعات الأخلاقية ووجوب العفاف والطهر (ولا تبرجن تبرج الجاهلية) لهزيمتها مجتمعيا.

- جاء الإسلام ليهدم الجاهلية بكل موروثها الوثني والمادي ويقيم على أنقاضها المجتمع الإيماني وقيمه الأخلاقية (كل أمر الجاهلية موضوع)[١].

- لم تغفل السورة مواجهة الجاهلية الأخلاقية والاجتماعية أثناء حديثها عن مواجهة الأحزاب الجاهلية عسكريا وسياسيا فالجاهلية كل لا يتجزأ.

- كان استغلال المرأة أحد مرتكزات الجاهلية في إشاعة انحلالها الأخلاقي فجاء الإسلام للارتقاء بالإنسان عامة والمرأة خاصة إلى قيم الطهر.

- وجه القرآن خطابه لنساء النبي مباشرة فهن الأسوة والقدوة وأمهات المؤمنين ومن باب أولى بناتهن من المؤمنات جميعا فكان الوعظ بهن أبلغ.

- حذرت السورة من خطر الأحزاب الجاهلية (طغاة العرب واليهود) وخطر المنافقين والمعوقين والذين في قلوبهم مرض وأوجب حماية المرأة والمجتمع.

- أثبت التاريخ أن الانحلال الأخلاقي والمجتمعي من أسباب ضعف الدول وانهيارها أمام عدوها الخارجي فكان لا بد من صيانة المجتمع الإيماني.

- ونكمل غدا بإذن الله (نظرات قرآنية) في سورة الأحزاب وكيف جاءت بالأحكام التي تحمي المجتمع الإيماني داخليا في مواجهة خطر الجاهلية.

- تحدثت سورة الأحزاب عن النبي في شأنه العام وهو يسوس شئون الأمة وشأنه الخاص في بيته وإصلاح أسرته لبيان أن صلاح الأمة من صلاح الأسرة.

- أفاضت السورة في بيان مقام النبوة وحقوق النبي على أمته ﷺ

ومن تلك الحقوق:

١- وجوب الاقتداء به واتخاذه أسوة في كل شأن.

٢- من حقوق النبي وجوب التسليم لحكمه فليس للمؤمنين (إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا).

---

(١) رواه مسلم.

٣- تحريم إيذاء النبي ﷺ بأي شـــكل من الإيذاء قولا كان أو فعلا حال حياته أو بعد وفاته (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله).

- ساوت السورة بين الكفار الذين آذوا النبي فحاربوه وحاصروه في المدينة والمنافقين الذين آذوه في الداخل بالطعن فيه وفي أهله وأنصاره.

٤- لعن الله من آذى رسـولـه (إن الذين يؤذون الله ورسـولـه لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا) فإيذاؤه كفر ونفاق وردة.

٥- من حقوق النبي في الســورة وجوب الصـلاة والتسـليم عليه في كل الصـلوات واسـتحبابه خارجها (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما).

- خبرت السورة (إن الله وملائكته يصلون على النبي) لبيان مقامه العظيم عند ربه وأن شأنه أجل من أن يحارب ويؤذى فالسماوات تصلي عليه وتجله.

٦- من حقوق النبي وجوب طـاعتـه طـاعـة مطلقـة في كـل أمر ونـهي إذ هو قطب رحى الإيمـان وشرط الجنة (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما).

٧- الإيمان بأنه رسول الله وخاتم النبيين وسيدهم (ولكن رسول الله وخاتم النبيين) وهو إعلان سماوي بظهور دينه مهما حاربه الكافرون به.

- نكمل بإذن الله غدا (نظرات إيمانية) في سورة الأحزاب وكيف أراد أعداء الله حصار الإسلام وحرب المؤمنين فكانت العاقبة النصر والفتح.

- تضـــمنت ســـورة الأحزاب أحكام تطهير الأســـرة في المجتمع الإيماني من رجس الجاهلية وعاداتها (يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم).

- وردت آيـة التطهير هنـا في بيت النبوة خاصـــة (أهل البيت ويطهركم) وللمؤمنين عامة في سورة المائدة (ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم)[1].

- خاطبت السورة أهل بيت النبوة ونسـاء النبي ليكونوا أسوة للمؤمنين وقدوة في التطهر من عادات الجاهلية فبيت إمام الأمة أحق بالاستقامة.

- الإرادة في آيات التطهير هي الإرادة الشرعية التعليلية لبيان المراد من تشريع الأحكام وهو إذهاب رجس الجاهلية عن المجتمع الإيماني.

- أمرت السورة بكل أحكام التطهير النفسي والأخلاقي ومنه:

---

(١) المائدة : ٦

١- الإيمان والإحسان وإرادة الله والدار الآخرة (تردن الله ورسوله والدار الآخرة).
٢- تجنب الفواحش (من يأت منكن بفاحشة) وهو كل ما ظهر من الكبائر.
٣- القنوت بالطاعة والعمل الصالح (ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا).
٤- تقوى الله وعدم الخضـــوع بـالقول اللين واعتيـاد القول المعروف الذي لا ريبة منه (إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا).
٥- القرار في البيوت (وقرن في بيوتكن) فالبيوت صـوامع المؤمنات ومصـانع الرجال فإذا فرطت المرأة في بيتها وأسرتها فقد هدمت أساس مجتمعها.
٦- لزوم الســتر وتجنب التبرج وإظهار الزينة للرجال الأجانب (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) فنهى عنه ثم نسبه للجاهلية لتأكيد التحريم.
٧- المحافظة على الصلوات (وأقمن الصلاة) على أكمل وجه لتطهير النفس.
٨- وإيتاء الزكاة (وآتين الزكاة) الفريضة والصدقة لتطهير المال.
٩- لزوم الطاعة (وأطعن الله ورسوله).
١٠- تلاوة القرآن وتعلم الأحكام (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) وهي السنة.
١١- الستر في اللباس وإرخاؤه عند خشية الأذى (يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين).
١٢- التسليم للحكم (إذا قضى الله ورسوله أمرا).

❁ اشتمل التطهير على :
تطهير الباطن بالتـقـوى
والظاهر بالحـشـمـة
وتطهير القول بالمعروف
والفعل بالإحسـان
وتطهير النفس بالصلوات
والمال بالزكـاة.

- **نظمت الأحزاب في آية ٣٥ جوامع الخير كله في[١]:**

الإســـــــلام

الإيمـــــــان

القنوت في الصلوات

الصــــــدق

الصــــــبر

الخشـــــوع

الزكـــــاة

الصـــــوم

حفظ الفروج

ذكـــــر الله.

- **تطهير الظاهر يكون بالإسلام**

والباطـــن بالإيمـــان

واللـــسان بالصـــدق

والنفس بالصلاة والصبر والذكر

والمـــال بالزكـــاة

والعرض بالعفاف والستر.

- **ونكمل غدا (نظرات قرآنية) في ســـورة الأحزاب وكيف أراد المشـــركون الجاهليون هدم المدينة فحماها الله خارجيا وداخليا إيمانيا وأخلاقيا.**

- **بشـرت سـورة الأحزاب باحتفاء السـماء بالمؤمنين مقابل حصـار أهل الأرض لهم ظلما (إن المسلمين والمسلمات... أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما).**

- **أكرم الله المؤمنين جزاء صـــبرهم وثباتهم برحمتهم وهدايتهم إلى نور صـــراطه (هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور).**

- **صـلاة الله على المؤمنين رحمته بهم وهدايته لهم، وصـلاة الملائكة عليهم بذكرهم في الملأ الأعلى واستغفارهم لهم (ويستغفرون للذين آمنوا)[٢].**
- **جعل الله ذكر المؤمنين له شرطا لصلاته عليهم (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا . وسبحوه بكرة وأصيلا . هو الذي يصلي عليهم).**

---

(١) الآية ٣٥ من سورة الأحزاب: {إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما}.

(٢) غافر : ٧

- ذكر الله يعم كل أنواع الذكر وأعظمه إقامة الصلوات (وأقم الصلاة لذكري)[1] ومناسك الحج (واذكروا الله في أيام معدودات)[2] وكل عبادة هي ذكر له .

- ذكر الله للمؤمنين هو بسبب ذكرهم وعبادتهم له أما هدايته لهم فمحض فضله ورحمته (ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما).

- قدم الله ذكر الأسباب المقدورة للمؤمنين ليتوسلوا بها إليه كشرط لذكره لهم (فاذكروني أذكركم)[3] ثم نبههم بأن ذكرهم له هو بتوفيق منه لهم.

- الرحيم اسم من أسماء الله يدل على اتصافه بأبلغ معاني الرحمة بعباده التي تظهر تجلياتها في دخولهم الجنة ولهذا خص بها المؤمنين وحدهم.

- استخدم أسلوب القصر بتقديم الجار والمجرور (وكان بالمؤمنين رحيما) مع شمول رحمته للخلق لنفي تعلق هذه الصفة (الرحيم) بغير المؤمنين به.

- الرحمن اسم لله دل على اتصافه باتساع الرحمة التي تعم مخلوقاته إيجادا وإمدادا بخلاف الرحيم التي تدل على بلوغ الرحمة غايتها بالهداية.

- بين الله كمال رحمته بالمؤمنين بدخولهم جنته وتحيتهم بلقاء ربهم (وكان بالمؤمنين رحيما. تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما).

- هذا التوفيق من الله للمؤمنين بالهداية ودخول الجنة ما كان ليتحقق لهم إلا بالنبوة فذكر به (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا...).

- فالنبي هو الدليل إلى الله حيث بعثه (داعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا) فكل ما يأمرهم به هو بإذن الله وأمره فهو الهادي إلى صراطه.

- من مهام النبي تبشير المؤمنين بما أعده الله لهم (وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا) كل ذلك احتفاء وتكريم للمؤمنين من ربهم.

- أوجزت السورة سبيل الفوز (اتقوا الله وقولوا قولا سديدا . يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم . ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما).

---

(١) طه : ١٤
(٢) البقرة : ٢٠٣
(٣) البقرة : ١٥٢

- **مما أكرم الله به المؤمنين في الأحزاب:**

نـــصــرهـــم

الصلاة عليهم

الهدايـــة لهم

الرحـــمة بهم

البشـــارة لهم

التوبـة عليهم

دخول الجنـــة

الفوز العظيـم.

- **نكمل غدا (نظرات قرآنية) في ســـورة الأحزاب وكيف كان جزاء صـــبر المؤمنين كل هذا التكريم السماوي حين حاربهم طغاة الأرض من عرب ويهود.**

- **اجتمع في سورة الأحزاب صور دلائل الإعجاز:**

١- البياني

٢- التشريعي

٣- الغيبي

٤- الخبري

٥- النفسي

٦- التربوي

٧- الرقمي

٨- التجريدي[١]

- **تجلى في الســورة أبرز خصـائص الوحي القرآني وهو انفكاكه عن النبي وقصـر دوره على البلاغ ولهذا وجه الأمر له ابتداء (يا أيها النبي اتق الله).**

- **نوعت الســورة أسـلوب خطابها للنبي لتأكيد بشـريته بالأمر تارة وبالإخبار تارة وبالحديث عن نسائه تارة وعن خفايا نفسه تارة وعن عدم علمه تارة.**

- **جاءت الأوامر للنبي**

(ولا تطـع الكافريـن...

واتبع ما يوحى إليك...

وتوكـــــــل على الله).

للتأكيد على نبوته ومخاطبة الوحي له وانفكاكه عنه.

---

(١) الإعجاز التجريدي*: هو الانفصال التام بين القرآن كوحي من الله والنبي كمبلغ له عن الله من أوله إلى آخره على نحو معجز مبهر.
(من تغريدات الدكتور)*

- من الأسـلوب القرآني المعجز خطابه للنبي وإخباره عنه بالوحي إليه (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك) فهو نبي مرسل يتلقى من ربه وحيه.

- من أســلوب القرآن المعجز حديثه عن خاص حياة النبي (قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا).

- من أسلوب القرآن المعجز خطابه لنسـاء النبي (من يأت منكن بفاحشـة مبينة يضـاعف لها العذاب) وهو تجريد للوحي كخطاب لله عن النبي كمبلغ.

- من أسلوب الوحي المعجز حديثه عما يخفيه النبي في نفسه (وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) أي تحاذر كلام الناس.

- من إعجـاز الوحي وتجريده مقـام الألوهيـة عن النبوة نفي علم النبي عمـا لم يعلمـه الله بـه (يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله).

- من التجريـد القرآني انتظـار النبي للأمر الرباني وعدم التقدم عليه (لئن لم ينته المنـافقون... لنغرينك بهم) فلم يغره واقتصر على التهديد.

- من الأســلوب القرآني المعجز في تجريد الخطاب عن البلاغ حديثه عن خلق النبي (إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق).

- عبرت ســـورة الأحزاب عن عظمـة الوحي القرآني فبينمـا تتحـدث عن الحرب والأحكـام السياسية إذا هي تتحدث عن أخص شئون النبي والأحكام الأسرية.

- تؤكد ســـورة الأحزاب في تنوع موضـــوعاتها وقضـــاياها أن (هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)[1] في كل شئون الحياة ومجالاتها السياسية كما الأسرية.

- نكمل بإذن الله غدا (نظرات قرآنية) فيما في سورة الأحزاب من حكم وأسرار تعالج مشكلات المجتمع الإنساني والإيماني بهدايات الوحي القرآني.

- من صور الإعجاز العددي في سورة الأحزاب:

١- وردت كلمـة (الأحزاب) ثلاث مرات والأحزاب كـانـت ثلاث قبـائـل قريش وغطفـان وقريظـة من ثلاث منـاطق.

---

(١) الإسراء : ٩

٢- من الإعجاز العددي في سورة الأحزاب ورود كلمة أزواج ونساء مضافة للنبي ٩ مرات وهو عدد أزواجه.

- ماملكت يمينك وردت مرتين إلا إن الأولى في سياق ما يحل للنبي والثانية في سياق المنع.
- وقد كان عنده سريتان مارية وريحانة فأعتق ريحانة وبقيت مارية.
- وهذا المنصوص عليه في كتب السير كما قال ابن كثير أن له سريتين هما: مارية وريحانة

(وقد كان له من السراري اثنتان. وهما: مارية بنت شمعون القبطية، أم إبراهيم ولد رسول الله صلى الله عليه و سلم، أهداها له المقوقس صاحب إسكندرية ومصر، و معها أختها شيرين و خصي يقال له مابور و بغلة يقال لها: الدلدل، فوهب صلى الله عليه و سلم شيرين إلى حسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن.)(١).

- لما كانت الآية الأولى فيها بيان ما أحل الله له من النساء والإماء والآية الثانية فيها المنع من غيرهن رجح عندي مارية.
- فريحانة كما ذكر أهل السير لم تبق عنده بخلاف مارية وفي كلا القولين ذكرها مرتين قد يشير لهما.

(وتوفيت مارية في محرم سنة ست عشرة، و كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحشر الناس لجنازتها بنفسه، و صلى عليها و دفنها بالبقيع رضي الله عنها.

وأما الثانية فريحانة بنت عمرو، و قيل: بنت زيد، اصطفاها من بني قريظة وتسرى بها، ويقال: إنه تزوجها، وقيل: بل تسرى بها، ثم أعتقها فلحقت بأهلها. وذكر بعض المتأخرين أنه تسرى أمتين أخريين، والله تعالى أعلم.)(٢).

❁ وهذه لطائف في التفسير لا يشترط فيها الظهور بل الإشارة والإيماء كافيان لمن أراد تدبر القرآن والوقوف على أسراره.

٣- من الإعجاز العددي أن عدد آيات السورة ٧٣ وعدد الرجال الذين بايعوا في العقبة ٧٣ وفيها (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله).

٤- من الإعجاز العددي في سورة الأحزاب ورود كلمة (رسول الله) و(رسوله) و(الرسول) في ١٢ آية ومثلها كلمة (النبي) في ١٢ آية.

---

(١) الفصول في سيرة الرسول ﷺ لابن كثير (١٠٩/١).
(٢) المصدر السابق.

٥- عدد الآيات التي ورد فيها كلمة رسـول ونبي مرادا بهما النبي محمد تحديدا ٢٣ آية وهي مدة بعثته وهي أكثر سورة تكرر فيها ورود ذلك.

۞ الحكمة من تكرار هذا الوصف بالنبوة والرسـالة لشدة ما أثاره المنافقون من الطعن في نبوته وأنه ما وعدهم إلا غرورا فجاء ردا عليهم.

٦- ورد في سـورة الأحزاب ذكر اسـمه (محمد) مرة واحدة وكذا وصـفه (خاتم النبيين) مرة واحدة فلم يحتج لتعيينه بذكر اسمه العلم أكثر من مرة.

٧- ورد اسـم (يثرب) مرة واحدة في سـياق حصـار الأحزاب على لسـان المنافقين وورد ذكر اسم (المدينة) مرة واحدة وكانت بعد النصر إيذانا بالفتح.

۞ لم يذكر اسـم المدينة إلا في سـورة الأحزاب في سـياق خبر الخندق سـنة ٥ هج وفي المنافقون بعد الأحزاب والتوبة في خبر غزوة العسرة سنة ٩ هج.

۞ وورود اسم يثرب في سورة الأحزاب في سياق الحصار ثم اسم المدينة بعد النصر إعلان لنهاية ذلك الاسم الجاهلي وظهور الاسم المدني الإسلامي.

۞ قول المنـافقين (يـا أهل يثرب لا مقـام لكم) فـأل عليهم بنهـايـة عهـده فلم يبق للجـاهليـة واليهود مقام بعد هزيمة الأحزاب.

۞ بعد هزيمة الأحزاب كانت نهاية بني قريظة الذين خانوا ونقضـوا عهدهم مع النبي وهم آخر من بقي من يهود في يثرب فطهرت منهم لتصبح المدينة.

٨- لم ترد كلمة (المعوقين) في القرآن إلا في سورة الأحزاب مرة واحدة وكأن دورهم لن يدوم بعد الخندق وسيكون الفتح الذي لن يعوقه أحد.

٩- لم ترد كلمة (صـياصـيهم) في القرآن إلا في سـورة الأحزاب مرة واحدة وهي قلاع بني قريظة إذ تم فتحها وانتهى أمرهم بعده (وأورثكم أرضهم).

۞ هذه الموافقات العددية في القرآن وتناسـبها على هذا النحو دليل على إعجازه وهو أحد وجوه الإعجاز العلمي فيه ودليل إحكامه وعدم اختلافه.

۞ نكمل (نظرات قرآنية) في سـورة الأحزاب وما فيها من أحكام وحكم وهدايات وإعجاز ومنه الإعجاز التشريعي وسنتحدث عنه بإذن الله غدا.

۞ (نظرات قرآنية) هي سـوانح تعرض أثناء تدبره وتفكره للوقوف على هداياته وأحكامه وحكمه ودلائل إعجازه على اختلاف وجوهها ظاهريا وإشاريا.

- من الإعجاز القرآني في سورة الأحزاب الإعجاز التشريعي وهو تفصيل الأحكام على نحو من الاتساق المحكم الذي لا يمكن الاستدراك عليه أبدا.

- من الإعجاز التشريعي في الأحزاب تضمنها وانتظامها كل أحكام نساء النبي وأمهات المؤمنين مبثوثة في السورة كلها في أولها ووسطها وآخرها.

- من الإعجاز التشريعي في السورة الحصر للأقسام كما فيمن أذن الله لهم برؤية أمهات المؤمنين (لا جناح عليهن في آبائهن ولا في أبنائهن...).

- ذكرت الآية ٥٥ كل من أذن الله له برؤية نساء النبي بلا حجاب في آية واحدة[١] جمعت بين العد والحصر لهم بما لا يمكن معه الاستدراك عليها.

- ذكرت الآية ٥٥ الآباء والأبناء والإخوان وأبناء الأخ وأبناء الأخت فدخل بالقياس الجلي الأجداد والأحفاد والأعمام والأخوال فلم يبق أحد.

- ورد في السورة حكم المطلقة قبل الدخول بها وأنه لا عدة عليها لتكتمل أحكام العدة في سورة البقرة والطلاق في غاية الإحكام والحصر للصور.

- في البقرة عدة الحائض ثلاث حيضات والمتوفى عنها أربعة أشهر وعشرة أيام وفي سورة الطلاق عدة من لم تبلغ الحيض واليائس منه ثلاثة أشهر والحامل بالوضع.

- جاءت كل أحكام العدة لكل صور المعتدات المتوفى عنهن والمطلقات في أربع آيات في ثلاث سور وهي البقرة والأحزاب والطلاق في غاية الإحكام.

- المرأة إما أن تقع فرقتها من زوجها بوفاة أو طلاق
والوفاة إما حامل أو لا
والطلاق إما قبل الدخول أو بعده
والمدخول بها ذات حيض أو لا.

- التفريق بين المعتدات في الحكم في غاية المناسبة عقلا فغير المدخول بها لا تحتاج لعدة من طلاق لبراءة رحمها والحامل بوضع حملها... الخ.

- الحصر للمعتدات والتقسيم لصور العدة والتفريق بين كل صورة وأخرى في الحكم والمدة حتى لا تفوت صورة من الصور بأوجز لفظ وأحكمه أمر معجز.

---

(١) الآية ٥٥ من سورة الأحزاب: {لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولاما ملكت أيمانهن واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيدا}.

- **نكمل بإذن الله (نظرات قرآنية) في ســـورة الأحزاب لنقف على بعض أوجه الإعجاز البياني فيها.**

- **من صور الإعجاز القرآني في سورة الأحزاب نظمها وترتيبها ومطالعها وخواتمها وتناسبه مع أن نزولها كان مفرقا ما بين سنة ٥ إلى ٨ أو ٩ هج.**

- **ترتيب ســـور القرآن كآياته كل ذلك توقيفي عن النبي وكمل في آخر عرضـــة للوحي مع اختلاف أوقات النزول وقد جاءت الأحزاب بعد السجدة وقبل سبأ.**

- **السـجدة مكية افتتحت بتعظيم شـأن الوحي وأنه الحق واختتمت (ويقولون متى هذا الفتح... وانتظر إنهم منتظرون)[١] وبعدها أتت الأحزاب أول الفتح.**

- **جاءت سورة سبأ وهي مكية بعد الأحزاب وافتتحت بالحمد لله لمناسبة الحمد لما جرى من النصر في الأحزاب وللتشابه بين نهاية اليهود وسبأ.**

- **مزق الله يهود يثرب بعد الأحزاب بسبب خيانتهم وطغيانهم كما فعل بأهل سبأ (ذلك جزيناهم بما كفروا... فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق)[٢].**

- **يظهر التناسـب بين خاتمة السـجدة بانتظار الفتح وآخر الأحزاب بالوعيد بعذاب المشـركين وسبأ (وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم)[٣].**

- **ورد آخر الســـجدة شـــرط (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صـــبروا وكانوا بآياتنا يوقنون)[٤] وتحقق مثله في الأحزاب (وأورثكم أرضهم وديارهم).**

- **جاءت ســـورة الســـجدة المكية بالوعد بالفتح وبالإمامة في الأرض لمن آمنوا إذا صـــبروا وجاءت الأحزاب بتحقق الوعد وكانت سبأ المثل والعبرة.**

- **سكن يهود بني قينقاع والنضير وبني قريظة يثرب فرارا من الاضطهاد الروماني فأكرمهم العرب واغتنوا فطغوا فمزقهم الله كما فعل بأهل سبأ.**

---

(١) السجدة : ٢٨ - ٣٠
(٢) سبأ : ١٧ - ١٩
(٣) سبأ : ٥٤
(٤) السجدة : ٢٤

- جاء اليهود المعاصرون إلى فلسطين فرارا من اضطهاد الروم الأوربيين ثم غدروا بالعرب وحرضوا العالم على حربهم وطغوا وستجري عليهم السنن.

- من نظر في حال يهود يثرب وحلفائهم من العرب وتآمرهم على الإســلام ثم ما حل بهم من العقاب ونظر في حال يهود فلسطين علم حتمية نهايتهم.

- كان يهود يثرب كما وصــفهم الله (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسـعون في الأرض فسادا)[١] وهذا حال يهود إسرائيل وحلفائهم من العرب.

- ونكمل غدا بإذن الله (نظرات قرآنية) في سورة الأحزاب.

- من صــور الإعجاز في ســورة الأحزاب مطالعها وتضــمينها كل موضــوعاتها إجمالا ثم تفصيلها بعد ذلك وختمها على نحو من التناسق والاتساق المعجز.

- بدأت (ولا تطع الكافرين والمنافقين) (وما جعل أدعياءكم أبناءكم) (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم) ثم فصلت في هذه القضايا.

- من أجمل مطالع ســورة الأحزاب (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم...).

- ربطت الآية بين تحريم ادعاء الولد بالتبني وظهار الزوجات بوصــف الأمهات بموضــوع النفاق بادعاء الإيمان واستبطان الكفر به لمنافاتها للحقيقة.

- عللت الآية الحكم بقوله تعالى: (ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي الســبيل) فالحق منه وحده والهداية إليه اصطفاء بيد الله وحده.

- كما أن الظهار من الزوجة بوصــف الأم وتبني الابن الأجنبي بوصــف الولد لا حقيقة لهما كذلك التظاهر بادعاء الإيمان مع إضمار الكفر لا حقيقة له.

- قول الله: (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) مع كونه حقيقة طبيعية حســية إلا إن فيه إشارة إلى أن القلب لا يجتمع فيه الإيمان والكفر بالله.

- لما كان النفاق والكفر كلاهما ينافي الإيمان جمعت الســورة بينهما في مطلعها (ولا تطع الكافرين والمنافقين) ممن أظهروا جحودهم أو أخفوه.

---

(١) المائدة : ٦٤

- جاء في مطالع السورة (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل) وفي خاتمتها قول الكفار وهم في النار (إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا).

- إذا كان الله هو مصدر الحق وهادي السبيل فإن من يصد عن الحق هم الرؤساء الظالمون والعلماء المضلون (أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا).

- الطاعة للأنبياء والاتباع سبب الهداية وسبب الصراع بين الله والطغاة فهم من ينازعونه حق الطاعة على العباد (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع)[1].

- كانت ربوبية فرعون هي في طاعة قومه له واتباعهم أمره (فاستخف قومه فأطاعوه)[2] (فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد)[3] فحذرت الأحزاب من ذلك.

- كررت السورة في مطلعها (يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين) وفي وسطها (ولا تطع الكافرين والمنافقين) لتعارضه مع طاعة الله.

- لا يقبل من عبد الإيمان بالله ورسوله وطاعتهما وطاعة الكفار والمنافقين وموالاتهم فليس أمرهما ولا سبيلهما واحد وما جعل الله لبشر من قلبين.

- جاءت خاتمة السورة متناسقة مع مطلعها ففيها الوعيد للفئتين (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) جزاء كفرهم بالله.
- نستأنف (نظرات قرآنية) في سورة الأحزاب بعد أن شغلنا بالأمس بما جرى في مصر[4] وسوريا حفظهما الله من كيد الأحزاب ومؤامراتهم في الخارج والداخل.

- من دلائل إعجاز القرآن خواتيم الآيات القرآنية كما في الأحزاب وهي تأتي للتعليل أو التدليل أو التأكيد أو الربط بين الأسباب والنتائج.

- أمر الله نبيه (اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين) وختم (إن الله كان عليما حكيما) فهو عليم بأحوالك وأحوالهم وحكيم في تشريع ما يصلح لك ولهم.

- العليم صيغة مبالغة من عالم ودخلت عليه أل فأفادت الشمول والاستغراق والعلم المطلق بكل شيء وهو وصف لله ذاتي أزلي ومثله وصفه بالحكيم.

---

(١) النساء : ٦٤

(٢) الزخرف : ٥٤

(٣) هود : ٩٧

(٤) (١٨ رمضان ١٤٣٤هـ - ٢٧ يوليو ٢٠١٣م) مذبحة المنصة في مصر، التي راح ضحيتها عشرات الشهداء من المعتصمين السلميين على يد قوات الانقلاب العسكري.

- الحكيم هو الذي يخلق ويقدر ويفعل بحكمة فلا يقع في خلقه وتقديره وفعله خلل ولا عبث (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون)[1].

- ختم الأمر والنهي (اتق الله... ولا تطع...) بالوصف (عليما حكيما) لتعليل الحكم وأن أوامره ونواهيه في غاية الحكمة وعن غاية العلم بخلقه.

- جاء في الآية الثانية (واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيرا) فهو خبير بأعمالكم وما ويوافق منها وحيه وأمره ويخالف.

- أمر الله رسوله بالتوكل عليه في آية ٣ (وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا) تعليلا للأمر فهو وحده الكافي لعبده فاستحق التوكل عليه وحده.

- ختم آية ٥ (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما) لمناسبة مغفرته ورحمته عدم المؤاخذة على الخطأ.

- أخبر سبحانه أنه (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه...) وحرم الظهار والتبني ثم قال (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل) لبيان بطلان أقوالهم.

- جرت سورة الأحزاب كلها على هذا السنن في توافق منسجم وتطابق محكم بين مطلع كل آية وخاتمتها وتناسب وتناسق بين الحكم وتعليله وتدليله.

- من إعجاز القرآن البياني المقابلة بين الأضداد فالكفار يحاصرون المدينة من الخارج والمنافقون من الداخل ويقابلهم المؤمنون والمهاجرون.

- المؤمنون والمهاجرون في آية ٦ من الأحزاب[2] يشملان أهل المدينة الذين حموا الدار والإيمان من داخلها والمهاجرون الذي جاؤوا من خارجها.

- قابل بين الرجس (ليذهب عنكم الرجس)
فعم كل صور الرجس الحسي والمعنوي الظاهر والباطن
والتطهير (ويطهركم تطهيرا) من كل صور الرجس وآفاته.

(١) المؤمنون : ١١٥
(٢) الآية السادسة من سورة الأحزاب: {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا}.

- ليس في قدرة بشر مهما أوتي من البيان الإتيان بمثل هذا القرآن ولا بسورة مثله على هذا النحو المحكم في ألفاظه وأحكامه وحكمه وأخباره.

- ونكمل بإذن الله غدا (نظرات قرآنية) في هدايات سورة الأحزاب.

- من هدايات سورة الأحزاب حديثها عن القلب وأحواله وعن القلوب وأمراضها وما يعتريها ويعرض لها وكيف علاجها وتطهيرها من آفاتها وعللها.

- تحدثت السورة في مطلعها عن القلب (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) ثم فصلت في أحوال القلوب وأعمالها فهي محل الإرادات والواردات.

- نفت السورة في مطلعها أن يكون للإنسان قلبان في جوفه وفيه تنبيه إلى أن هدايات القرآن لا يعقلها إلا من آمن به وأقبل عليه بكل قلبه.

- تحدثت آية ٥ عن عمل القلب (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم) فالأعمال بالنيات ولا مؤاخذة على الخطأ لعدم القصد .

- عبادات القلوب أصل الأعمال ومناط الحساب والجزاء كما في الصحيح (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم).

- أكثرت السورة من ذكر عبادة القلب كالتقوى (اتق الله) والتوكل (وتوكل على الله) والرجاء (يرجو الله واليوم الآخر) والتصديق (وصدق الله).

- ذكرت السورة أحوال الواردات على قلوب أهل الإيمان (قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما).

- من أجل عبادات القلب وأشرف مقامات التوحيد خشية الله وحده (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله) إذ لا رب سواه.

- جعل الله ظواهر الأعمال منوطة بالقلوب فلا عبرة بأعمال المنافقين وتظاهرهم بالإيمان إذ أضمرت قلوبهم نقيضه (والله يعلم ما في قلوبكم).

- تحدثت السورة عما يعتري القلوب حين الخوف (وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا) وضعف القلب حال الطمع (فيطمع الذي في قلبه مرض).

- يعتل القلب بأمراض الشبهات كالشك والريب كالمنافقين وأشباههم (إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا).

- من آفات القلوب أمراض الشهوات وما يعتري أهل المعاصي من حبهم لها (فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض) الشهوة والميل للفجور.

- قصدت السورة بأحكامها وتشريعاتها وآدابها تحقيق طهارة الظاهر (ليذهب عنكم الرجس... ويطهركم تطهيرا) وطهارة الباطن (ذلكم أطهر لقلوبكم).

- أمر الله عباده بإصلاح ظواهرهم وبواطنهم بالإيمان والعمل الصالح لاطلاعه عليهم (إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليما).

- اشتملت السورة على إصلاح قلب الإنسان ونفي الآفات عنه وحمايته وتطهيره كما عنيت بعلاج الأسرة وصيانتها وتطهيرها وحفظ الدولة وصيانتها.

- نكمل بإذن الله غدا (نظرات قرآنية) في سورة الأحزاب وهداياتها.

- بينت سورة الأحزاب حقوق النبي ومكانته وما يجب له على المؤمنين بعد أن وجهت له الخطاب في أولها بالنداء بوصف النبوة (يا أيها النبي).

- أول حقوق النبي ولايته على الأمة إلى قيام الساعة (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم) فلا ولي ولا ولاية لأحد مع ولايته.

- ولاية النبي على الأمة ولاية عامة دائمة لازمة توجب طاعته مطلقا وكل ولاية في الأمة في حياته وبعد وفاته دون ولايته وتابعة لولايته.

- أكدت السورة عموم ولايته (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا).

- قضاء النبي فرع عن ولايته المطلقة على الأمة التي هي فرع عن نبوته الخاتمة فكل قضاء يقضي فيه فهو نافذ على الأمة في حياته وبعد وفاته.

- كل أمر يخالف أمر النبي وكل قضاء يخالف قضاءه فهو باطل ومردود ولا يترتب عليه أثر وكل نزاع فهو الحاكم فيه (فردوه إلى الله والرسول)[1].

---

(١) النساء : ٥٩

- أوجبت السـورة توقير النبي وإجلاله وحرمت إيذاءه في نفسـه أو أهله أو دينه أو أمته (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا...).

- حرمت السورة إيذاء النبي في أهله (إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق... وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله).

- حرمت السـورة إيذاء النبي في أمته وأسـرته الكبيرة (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا).

- لا فرق بين أسرة النبي وأهله وأمته ولا فرق بين النبي والمؤمنين (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) فعدوهما واحد ووليهما واحد.

- ذكرت السورة كل صور الأذى التي تعرض لها النبي في حرب الكفار له وحصارهم للمدينة وتكذيب المنافقين له وسخريتهم منه وتآمر اليهود عليه.

- وذكرت الأذى الذي يتعرض له المؤمنون في المدينة كما ذكرت الأذى الذي يتعرض له النبي في بيته وفي أهله وكأنما لا فرق بين أمته وأسرته.

- حـذرت السـورة الـذين يؤذون النبي (ليعـذب الله المنـافقين والمنـافقـات والمشـركين والمشركات) وبشرت (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات).

- ذكرت السـورة الأذى الذي لحق موسـى (لا تكونوا كالذين آذوا موسـى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها) وكذا النبي برأه الله وجعل له أعظم جاه.

- ونكمل غدا بإذن الله (نظرات قرآنية) في سورة الأحزاب وهداياتها.

- ورد في سـورة الأحزاب آيتان هما من أعظم ما ورد فيها من تكريم (هو الذي يصـلي عليكم وملائكته) و (إن الله وملائكته يصلون على النبي).

- ذكر الله هو سـبب صـلاتـه على المؤمنين حيث أمرهم بـه قبلـها (اذكروا الله ذكرا كثيرا. وسبحوه بكرة وأصيلا. هو الذي يصلي عليكم وملائكته).

- الصلوات أشرف مواطن ذكر لله وتسبيحه بكرة وأصيلا ولهذا جاء في الصحيح (الملائكة تصلي على أحدكم مادام في مصلاه تقول اللهم اغفر له...)(١).

- إذا كان ذكر الله سببا لصلاته على عباده فإن النتيجة هي هدايتهم (يصلي عليكم... ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما).

- صلاة الله على المؤمنين رحمته بهم ومغفرته لهم وبركته عليهم وهدايته لهم وصلاة الملائكة هي استغفارها للمؤمنين وسؤال الله لهم الرحمة.

- تتجلى بالذكر والصلوات من المؤمنين لربهم ومن الله وملائكته على عباده حقيقة الوجود وارتباط عالم الشهادة المحدود بعالم الغيب الممدود.

- بذكر الله كثيرا تتحقق للمؤمن مرتبة الولاية وثمرتها الهداية والوقاية (وما يزال عبدي يتقرب إلي حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه...)(٢).

- حاجة المؤمن لهداية الله له إلى كل خير دائمة متجددة سواء قبل الإيمان وبعده لهذا عبر بالفعل المضارع (ليخرجكم من الظلمات إلى النور).

- الإنسان خلق (ظلوما جهولا) حتى يعلمه الله ويهديه صراطه المستقيم وفي الحديث القدسي (يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم)(٣).

- كلما اتصل المؤمن بالسماء بذكر الله كثيرا والصلوات استمد بقدر اتصاله من هداياتها ونورها ما يضيء له ظلمات الأرض ويدفع عنه شرورها.

- لما كان النبي ﷺ هو سبب الهداية التي تخرج المؤمنين من الظلمات إلى النور في كل شئون حياتهم أمر الله بالصلاة عليه.

- قدم الله ذكر صلاته وملائكته على المؤمنين جميعا وأولهم محمد ﷺ ثم خصه بالشرف والتكريم بإفراده تنويها بحقه عليهم.

- وغدا نكمل بإذن الله (نظرات قرآنية) في سورة الأحزاب وما ورد فيها من الأمر بالصلاة على النبي ﷺ وما فيه من هدايات.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه مسلم.

- أكرم الله نبيه جزاء صبره على إبلاغ رسالته ورحمته بأمته أن شرفه بالذكر في السماء والأرض (ورفعنا لك ذكرك)[1] ولهذا أوجب الصلاة عليه.

- كان يوم الأحزاب أشد أيام المحن على النبي ﷺ وعلى المؤمنين فكان الجزاء تكريم الله لهم بصلاته وملائكة السماء عليهم.

- أخبر الله في سورة الأحزاب (إن الله وملائكته يصلون على النبي) وهو بشر من ذرية آدم بلغ هذا المقام بكمال عبوديته لله واختيار الله له.

- قدم الله ذكر صلاته وملائكته على نبيه قبل أمر المؤمنين بالصلاة عليه تعظيما لمقامه عند ربه فإذا كان هذا شأنه في السماء فالأرض أولى.

- إذا كانت السماء كلها تصلي على محمد ﷺ بالرحمة والحمد والهداية والنصرة والدعاء فلن يبلغ أهل الأرض بصلاتهم وفاء حقه.

- أمر الله المؤمنين أن يصلوا ويسلموا على نبيه (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) فوصفهم بالإيمان يقتضي منهم صلاتهم عليه.

- علم النبي أمته كيف يصلون عليه ومن ذلك في التشهد (اللهم صل على محمد) فهم يسألون الله أن يصلي عليه لأنهم لا يستطيعون أداء حقه عليهم.

- من الأذكار المشروعة المطلقة بلا عدد ولا وقت الصلاة على النبي فهي عبادة وذكر في حد ذاتها (من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا)[2].

- تشرع الصلاة على النبي في مواطن كثيرة كما في:
  - التشهد في الصلوات وهو واجب.
  - بعد التكبيرة الثانية في الجنازة.
  - بعد كل أذان.
  - عند ذكر اسمه ﷺ.

- من مواطن الصلاة على النبي أيضا:

---

(١) الشرح : ٤

(٢) رواه مسلم.

- عند دخول المسجد.
- وبعد الدعاء.
- وعند الصفا والمروة.
- وفي خطبة الجمعة.
- والإكثار منها يوم الجمعة وليلته.

❁ كثرة الصلاة على النبي تعني استحضاره الدائم ذهنيا مما يورث محبته وهي شرط الإيمان (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده)[١].

❁ شرط الله لتحقق محبته اتباع رسوله (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)[٢] ولا يتحقق كمال الاتباع إلا بكمال المحبة والصلاة سبب.

❁ جعل الله الإكثار من الصلاة على نبيه سببا لمغفرة الذنوب وكشف الهموم كما قال كعب (أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: إذا تكفى همك ويغفر ذنبك)[٣].

❁ كفاية الهموم وتفريج الكروب أمر مجرب لمن داوم على الصلاة على النبي لأن من صلى عليه مرة صلى الله عليه عشرا وصلاة الله رحمته وسكينته.

❁ الصلاة على النبي بمعناها المخصوص دعاء له وثناء عليه وردت بصيغ كثيرة حيث علم النبي أصحابه كيف يصلون عليه كما أمرهم ربهم ومن ذلك.

❁ (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد)[٤].

❁ الاتصال الدائم بين أهل السماء والأرض والواسطة بينهما وهو النبي بالصلوات منهم لله بالحمد ومنه عليهم بالرحمة يعبر عن حقيقة السلام.

❁ غدا بإذن الله نتحدث عن حقيقة السلام في قوله تعالى: (صلوا عليه وسلموا تسليما) في (نظرات قرآنية) في سورة الأحزاب.

---

(١) البخاري ومسلم.
(٢) آل عمران : ٣١
(٣) الترمذي.
(٤) الصيغة الكاملة للصلاة على رسول الله ﷺ كما وردت في صحيح البخاري، والتغريدة الأصلية كان فيها بعض الاختصار فرضه التغريد.

- أمر الله المؤمنين بعد أن يصلوا على النبي بالدعاء له والثناء إجلالا لمقامه وتوقيرا وحبا و تعزيرا أن يسلموا تسليما (وسلموا تسليما).

- حذف المتعلق والمعمول في (وسلموا تسليما) فلم يحدد بماذا يكون التسليم وكيف يكون ليفيد العموم لكل صور السلام والتسليم على النبي وله.

- وردت صيغة التسليم هنا في سورة الأحزاب آية ٥٦ (وسلموا تسليما) وفي النساء آية ٦٥ (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك... ويسلموا تسليما).

- ورد التسليم كشرط لتحقق الإيمان (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك... ويسلموا تسليما)[١] وكقسيم له وهو العمل (وما زادهم إلا إيمانا وتسليما).

- (سلموا تسليما) تشمل كل معانيها فتعني:
  ١- سلموا عليه وحيوه إجلالا وتوقيرا.
  ٢- سلموا له وأذعنوا وانقادوا لأمره ونهيه وحكمه إيمانا وتعزيرا.

- (سلموا تسليما) أمر من الله يوجب على عباده التسليم المطلق بالطاعة وسلم نفسه لله وأسلمها له جعلها خالصة له سالمة من شرك لغيره فيها.

- اقترن التسليم بالإيمان في سورة الأحزاب (وما زادهم إلا إيمانا وتسليما)
  فالإيمان بالغيب والوعد الحق
  والتسليم للأمر والنهي والحكم.

- أمر الله المؤمنين بالدخول في الإسلام كله (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة)[٢] فالإيمان يقتضي العمل ولزوم شرائع الإسلام كلها.

- أمر الله المؤمنين أن يسلموا له (تسليما) كاملا لا نقص فيه ولا خلل وشاملا لا تحرج فيه ولا تردد فيشترك في ذلك العقل والقلب والبدن.

- الله هو (السلام) ومنه (السلام) ويدعو (إلى دار السلام)[٣] ودينه (الإسلام) وتحيته (السلام) وعباده (المسلمون) وأمرهم أن يسلموا ليسلموا.

---

(١) النساء : ٦٥
(٢) البقرة : ٢٠٨
(٣) يونس : ٢٥

❁ تعبر (وسلموا تسليما) عن حقيقة (الإسلام) وهو الاستسلام لله والوسيلة إلى تحقيق (السلام) في الأرض والدخول إلى (دار السلام) في الآخرة .

❁ نكمل بإذن الله غدا (نظرات قرآنية) في سورة الأحزاب في أوصاف النبي ﷺ صلاة وسلاما يرضى الله بها عنا وتشفع لنا عنده.

❁ ورد في سورة الأحزاب أشرف أوصاف النبي وأعظمها (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا).

❁ جاء قبل هذه الأوصاف في آية ٤٠ ذكر اسمه ووصفه الجامع (محمد... رسول الله وخاتم النبيين) واسمه هو وصفه المحمود الذي بشرت به الأنبياء.

❁ اشتملت الآيتان على وصف
النبوة
والرسالة
والشهادة
والبشارة
والنذارة
والدعاية
والهداية.

❁ ووردت بالتسلسل المنطقي العقلي على نسق فريد
النبوة هي أول ما بدأ به الوحي ثم أمر بالرسالة والبلاغ ثم كان شاهدا بالبشارة لمن آمن والنذارة لمن كفر ثم داعيا وهاديا لمن اتبعوه.

❁ بشرت جميع الرسل بمحمد وبرسالته وبأمته كما قال عيسى (ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد)[١] وهو دعوة إبراهيم (ابعث فيهم رسولا منهم)[٢].

❁ بشرت التوراة والإنجيل بمحمد (النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف... ويضع عنهم إصرهم والأغلال)[٣].

---
(١) الصف : ٦
(٢) البقرة : ١٢٩
(٣) الأعراف : ١٥٧

- وصفت التوراة والإنجيل النبي وأصحابه (محمد رسول الله والذين معه... سيماهم في وجوههم... ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل...)[1].

- إنجيل عيسى هو البشارة بمحمد النبي الخاتم الذي يملأ الأرض رحمة وعدلا بعد أن ملئت جورا وقسوة وظلما (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)[2].

- وصف النبي بالشهادة من أشرف أوصافه وقد جاء صيغة اسم الفاعل (شاهدا) مطلقا غير مقيد فهو شاهد عدل صادق مصدق في شهادته تحملا لها وأداء.

- أقام الله رسوله شاهدا على الأمم إلى قيام الساعة شهادة من الله له بأنه الصادق بالشهادة الأمين على أدائها وهي أبرز صفات الشاهد.

- اشتهر النبي ﷺ بين قومه قبل النبوة بالصادق الأمين واشتهر بمحمد وبأحمد الصفات وشهدوا له بذلك أربعين سنة.

- النبي الخاتم هو الشاهد لله بالوحدانية بما أراه الله رأي العين من ملكوته وعرج به إلى السماء حتى كلم ربه (ما كذب الفؤاد ما رأى)[3].

- بعثة النبي محمد هي شهادة على صدق الأنبياء قبله الذين بشروا به أممهم وأخبروهم به وبأوصافه حتى أنهم (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم)[4].

- بعث الله النبي فكانت بعثته في ذاتها شاهدا على أن ما بشرت به الأنبياء قبله صدق وحق فتحقق له بذلك وصف الشهادة والشاهد على ما غاب .

- والنبي كذلك الشاهد على أمته (ويكون الرسول عليكم شهيدا)[5] بما أقام لهم وعليهم من حجج الله بالقرآن (لئلا يكون للناس على الله حجة)[6].

- والنبي هو الشاهد على عالم الغيب بما أشهده الله عليه بالمعراج وبما اطلع على ملكوت الله مما لم يطلع الله عليه أحدا من أنبيائه قبله.

---

(١) الفتح : ٢٩
(٢) الأنبياء : ١٠٧
(٣) النجم : ١١
(٤) البقرة : ١٤٦
(٥) البقرة : ١٤٣
(٦) النساء : ١٦٥

- النبي هو الشـاهد العدل على وحدانية الله (شـهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط)[1] وأكملهم علما وأعلمهم محمد.

- النبي هو الشاهد بوحدانية الله بالوحي
  والشاهد على عالم الغيب بالاطلاع
  والشاهد للأنبياء ببعثته
  والشاهد على أمته يوم القيامة برسالته.

- ونكمل غدا بإذن الله في بيان صفات النبي في سورة الأحزاب.

- أخبر الله بأنه بعث رسوله محمدا (مبشرا) ووصف كتابه الذي أنزله (هدى وبشرى) والبشارة الإخبار بما يسر مما لا يعلم به السامع قبل ذلك.

- جاء تقييد البشرى بالقرآن تارة (بشرى للمسلمين)[2] وتارة (بشرى للمؤمنين)[3] وتارة (بشرى للمحسنين)[4] كما في مراتب الدين الثلاث في حديث جبريل.

- مراتب الدين ثلاث:
  الإسلام وهو أولها وأوسعها
  ثم الإيمان أرفع منها
  ثم مرتبة الإحسان أعلاها جميعا.

- وكل الثلاث مشمولون أهلها بالبشرى
  النبي مبشر
  والقرآن بشرى.

- والمسلمون والمؤمنون والمحسنون كلهم مبشرون بما يسرهم وبما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

- أول بشارة في سورة البقرة الخلود بالجنة (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار... وهم فيها خالدون)[5].

---

(١) آل عمران : ١٨
(٢) النحل : ٨٩
(٣) النمل : ٢
(٤) الأحقاف : ١٢
(٥) البقرة : ٢٥

- البشرى الثانية في سورة آل عمران بالنصر والمدد بالملائكة (وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله)[١].

- البشرى الثالثة بالنعمة من الله والفضل (يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين . الذين استجابوا لله والرسول)[٢].

- البشارة الرابعة رحمة الله ورضوانه (يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم)[٣].

- البشارة الخامسة المكانة العظيمة عند الله يوم القيامة (وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم)[٤] وهم (في مقعد صدق عند مليك مقتدر)[٥].

- البشـــارة الســـادســـة الحياة الطيبة في الدنيا بالإيمان (لهم البشـــرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة)[٦] ففي الدنيا جنة للمؤمنين قبل جنة الآخرة.

- من البشرى في (لهم البشرى في الحياة الدنيا)[٧] الرؤيا الطيبة حالا ومشاهدة بالذكر الحسن الجميل بين المؤمنين (تلك عاجل بشرى المؤمن)[٨].

- الرؤيا الصادقة مناما كالرؤيا الطيبة يقظة كما في الصحيح (لم يبق من النبوة إلا المبشرات الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له)[٩].

- البشارة السابعة الأجر الحسن الكبير من ربهم (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا)[١٠] و (أجرا حسنا. ماكثين فيه أبدا)[١١].

- البشـــارة الثامنة المغفرة للذنوب والســـتر للعيوب والتجاوز عن الســـيئات (من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم)[١٢].

---

(١) آل عمران : ١٢٦
(٢) آل عمران : ١٧١ - ١٧٢
(٣) التوبة : ٢١
(٤) يونس : ٢
(٥) القمر : ٥٥
(٦) يونس : ٦٤
(٧) يونس : ٦٤
(٨) رواه مسلم.
(٩) رواه البخاري.
(١٠) الإسراء : ٩
(١١) الكهف : ٢ - ٣
(١٢) يس : ١١

- **البشارة التاسعة ولاية الله للمؤمنين في الدنيا والآخرة (وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون . نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة)[1].**

- **الله الرحمن هو صاحب البشارة لعباده المؤمنين (في روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم... ذلك الذي يبشر الله عباده)[2] فأكرم به ربا.**

- **بشر النبي المؤمنين بكل خير**
  بالحياة الطيبة
  النصر
  مغفرة السيئات
  الثواب العظيم
  ولاية الله
  رضوان الله
  النجاة
  الفوز
  الجنة
  الخلود.

- **تحقق بكل هذه البشارات وصف النبي بأنه النبي المبشر بأعظم البشارات وأجلها وأكرمها ونكمل بإذن الله غدا باقي صفاته في سورة الأحزاب.**

- **بعث الله رسوله محمدا (نذيرا) وقال كما في آيات أخر (إني لكم منه نذير مبين)[3] وفي آيات (النذير المبين)[4] الذي أكمل الله به الحجة على الخلق.**

- **النذير المبين وصف فيه كمال النذارة ووضوحها وهي الإعلام بما سيقع من السوء في المستقبل لمن أعرض عن الله وهداياته وعن النبي وطاعته.**

- **كما بشر الله بالحياة الطيبة في الدنيا والآخرة لمن آمنوا به أنذر من أعرضوا (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا)[5] في الدنيا والآخرة.**

---

(١) فصلت : ٣٠ - ٣١
(٢) الشورى : ٢٢ - ٢٣
(٣) الذاريات : ٥٠
(٤) الحجر : ٨٩
(٥) طه : ١٢٤

۞ قوله (إني أنا النذير المبين)[1] فيه حصـر وقصـر بأقوى أدوات القصـر وهي إن وضـمير الفصل أنا ودخول أل على نذير فليس بعده نذير ولا مثله نذير.

۞ وصف النذير بالمبين فجمع بين صيغة المبالغة في نذير
فهو بالغ الغايــة والاجتهاد في نذارته لكم
ومبين بالغ الغاية في وضـــوح بيانه لكم.

۞ المبين صـــفة للنذير ولم يذكر معموله ليفيد الإطلاق فهو مبين ظاهر بأنه نذير من الله بلا شك وهو أيضا مبين في كلامه وبيانه لتفهموه.

۞ جاءت النذارة بما سيقع لكل إنسان وحده وبما سيقع للناس جميعا ومن ذلك :

١- النذارة من عقاب الله لمن عصاه (لينذر بأسا شديدا من لدنه)[2].

٢- النذارة من عاقبة الظلم (لينذر الذين ظلموا وبشـرى للمحســنين)[3] وقد توعد الله الظالمين فقال (لنهلكن الظالمين)[4] في الدنيا والآخرة.

٣- وقوع المصـــيبة في الدنيا بالموت وعذاب القبر والقيامة (وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب)[5].

٤- إنذارهم أهوال يوم القيامة (وأنذرهم يوم الحسـرة إذ قضـي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون)[6] و (قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا)[7].

٥- إنذارهم ســاعة وقوفهم للحســاب بين يدي الله (وأنذرهم يوم الأزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع)[8].

۞ لم يترك القرآن شـيئا مما سيقع لكل إنسـان حين تقوم قيامته عند الموت وعذاب القبر وما بعده ولكل الناس كافة يوم بعثهم وحسابهم إلا بينه.

---

(١) الحجر : ٨٩
(٢) الكهف : ٢
(٣) الأحقاف : ١٢
(٤) إبراهيم : ١٣
(٥) إبراهيم : ٤٤
(٦) مريم : ٣٩
(٧) المؤمنون : ١٠٠
(٨) غافر : ١٨

- كان النبي حقا هو النذير المبين من كل ما يخشــى على كل إنســان وحده والخلق كافة فلم يقصر في نذارتهم حتى قال لهم (أنا النذير العريان[1])[2].

- ونكمل بإذن الله غدا الحديث عن صــفته ﷺ في ســورة الأحزاب (شــاهدا ومبشــرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا).

- خاطب الله محمدا بالنبوة (يا أيها النبي) وكلفه بالرســالة (إنا أرســلناك) وجعله حجة على الخلق (شاهدا) بالبشارة (مبشرا) والنذارة (نذيرا).

- بعد وصف الله لمحمد ﷺ بالنبوة ثم الرسالة ثم الشهادة ثم البشارة والنذارة وصفه بالغاية من ذلك (وداعيا إلى الله).

- كل ما جاء به الرســول هو بيان للدعوة التي بعث داعيا إليها وهي الصــراط المســتقيم الموصل إلى الله (وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم)[3].

- دعوة النبي هي في ذاتها هداية للخلق لمن أراد الاهتداء (وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم . صراط الله)[4] وهي الدعوة لتوحيد الله وطاعته وحده.

- الداعي هو خاتم الرسل وأكرمهم والدعوة للإسلام والصراط المستقيم والمدعو إليه هو الله (داعيا إلى الله) (الذي له ملك السموات والأرض)[5].

- تقييد الدعوة بأنها إلى الله (داعيا إلى الله) تنفي عنه كل غرض آخر (قل لا أســألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى)[6] إلى الله بالتقرب له.

- قوله (داعيا إلى الله) فيه نفي الشــريك عن الله في الدعوة كلها ابتداء وانتهاء فهو الذي يدعى إليه الخلق لعبادته وحده وطاعته لا شريك له.

- بين الله لرسوله سبيل الدعوة إليه (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)[7] فقيدهما بالحسنة والأحسن.

---

(١) النذير العريان: كناية عن الاجتهاد غاية الاجتهاد في التحذير، كما يفعل النذير عند العرب قديما يأتيهم صارخا متجردا من ثيابه. (من تغريدات الدكتور)
(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) المؤمنون : ٧٣
(٤) الشورى : ٥٢ - ٥٣
(٥) البروج : ٩
(٦) الشورى : ٢٣
(٧) النحل : ١٢٥

- أمر الله رسوله بأن يدعو إليه بالموعظة الحسنة ويجادل بالتي هي أحسن لأن الجدل محل الخصومة فتحرى له أحسن أسلوب رحمة ورأفة بالمعاندين.

- لم يقيد الدعوة بالحكمة بوصف كما في الموعظة الحسنة والجدل بالأحسن لأن الحكمة في حد ذاتها تقتضي اختيار أنسب الأساليب لتحقيق الأغراض.

- قيد الله وصف الداعي إليه بإذنه (وداعيا إلى الله بإذنه) تأكيدا لربوبيته سبحانه وعبودية رسوله وأنه ليس للرسول أن يأتي بشيء من عنده.

- النبي داع إلى الله وصراطه المستقيم وهو الإسلام (بإذنه) ووحيه وأمره وقضائه وقدره فلا يجيب الدعوة إلا من هداه الله لهداه بفضله وكرمه.

- نكمل غدا (نظرات قرآنية) في سورة الأحزاب وهي خاتمة النظرات القرآنية الرمضانية بإذن الله تعالى.

- ختم الله صفة رسوله بقوله (وسراجا منيرا) والسراج في القرآن جاء وصفا للشمس والمنير للقمر (وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا)[١] فجمع الوصفين.

- وصف الله الشمس في القرآن فقال (وجعل الشمس سراجا)[٢] وقال (سراجا وهاجا)[٣] بينما قال (وقمرا منيرا) وجمع الوصفين لرسوله (سراجا منيرا)[٤].

- يحتاج الخلق لوهج الشمس وحرارتها لتمدهم بالطاقة والحياة نهارا وإلى نور القمر للاهتداء ليلا فكان النبي حياة للقلوب ونورا للأبصار.

- جعل الله رسوله محمدا ﷺ
  كالشمس ووهجها في حاجة الخلق إليها لصلاح حياتهم
  وكالقمر ونوره في ظلمات الليل لهدايتهم.

- لما كانت الشمس سراجا وهاجا وقد يضر شدة وهجها الأبصار نهارا جاء بوصف (منيرا) لينفي ذلك فهو سراج منير في نفسه ولغيره لمن اهتدى به.

---

(١) الفرقان : ٦١
(٢) نوح : ١٦
(٣) النبأ : ١٣
(٤) الفرقان : ٦١

- الجمع بين وصفي الشمس والقمر وتوحيدهما في محمد إشارة إلى أنه هو مصدر الهداية إلى الله فلا حياة إلا باتباعه ولا اهتداء إلا بنوره.

- لا طريق إلى الله إلا صراطه المستقيم الذي بعث به محمدا وهو الإسلام وكل طريق إلى الله سواه مسدود وكل سائر إلى الله في غيره مردود.

- لا طريق إلى الله إلا باتباع محمد خاتم النبيين واتخاذه (أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) فهو الهدى والهادي والدال والدليل.

- جعل الله الواسطة بين رسوله الخاتم والأمم إلى قيام الساعة أصحابه وأتباعه (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني)[١].
- جعل الله أصحاب رسوله (خير أمة أخرجت للناس)[٢] وشهداء على الأمم (جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)[٣].

- بعد أن تحدثت سورة الأحزاب عن النبي والرسالة والبشارة والنذارة وحال الخلق فيها بين مؤمن وكافر ومنافق ذكرت ابتداء الإنسان ونهايته.

- قال (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها) وهي أمانة التكليف فأطاعت المخلوقات وخفن حمل الإثم.

- جاء التكليف للسموات والأرض في قوله (ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين)[٤] فأبين العصيان ورضين بالأداء (وحملها الإنسان) بالمعصية.

- وسبب تحمل الإنسان جريرة التفريط في أداء الأمانة (إنه كان ظلوما) لنفسه ولغيره بالمعصية والظلم والعدوان (جهولا) بعاقبة عصيانه لربه.

- اللهم فصل وسلم على رسولك محمد وعلى آله وأصحابه (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان)[٥].

---
(١) يوسف : ١٠٨
(٢) آل عمران : ١١٠
(٣) البقرة : ١٤٣
(٤) فصلت : ١١
(٥) الحشر : ١٠

نظرات في سورة الكهف

- سورة الكهف بهذا سماها النبي ﷺ ككل السور؛ للإشارة للمغزى الأسمى فيها وهو هنا كهف سيكون أرحب من الأرض كلها كما غار حراء.

- إذا كانت قصة كهف الفتية معجزة، فإن قصة نبي غار حراء الذي كان يأوي إليه باحثا عن الهداية ستكون النبأ العظيم الذي سيهدي الله به العالمين.

- سيكون الكهف للفارين من فتنة مجتمعهم المأوى الآمن ومحل نزول الرحمة والهداية وتهيئة الرشد لهم حين ضاقت بهم الأرض {إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا}.

- حذرت سورة الكهف من فتنة:
  ١- المجتمع كما في قصة الفتية
  ٢- والمال كقصة صاحب الحديقة
  ٣- والعلم كقصة موسى والخضر
  ٤- والسلطة كقصة ذي القرنين

- ورد في الصحيح أن سورة الكهف عصمة من الفتن لمن حفظ فواتحها أو خواتيمها لما فيها من بيان حقيقة الفتن والمخرج منها.

- بدأت السورة بالحمد لله وهو إفراد الله وحده لا شريك له بكل المحامد على كل نعمة عم بها الخلق كلهم أو خص بها بعضهم {الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا}.

- دخول (أل) في (الحمد) يفيد استغراق المحامد ويعم أفرادها
- والجار والمجرور (لله) يفيد الحصر والقصر بلام الاختصاص
- {الْحَمْدُ للهِ}.

- الحمد هو فاتحة التوحيد وأول مقاماته بالإيمان بالله وحده منعما ابتداء
- وهو خاتمته بالشكر لله وطاعته وحده انتهاء.

- الحمد هو الاعتراف والاقرار بالفضل والجميل وشكر صاحبه بالثناء عليه بما هو أهله ويقابل الحمد كفر النعمة وجحدها.

- **حقيقة الحمد:**

١ـ معرفة المنعم بأسمائه وصفاته وأفعاله

٢ـ والاعتراف بنعمه

٣ـ وتوحيده بشكره قولا وفعلا

٤ـ والثناء عليه

- *{الْحَمْدُ للهِ}
- **جملة اسمية تفيد الثبوت كحقيقة لا تحتاج إلى دليل أو اعتراف من الخلق، فالحمد له وحده شكره الخلق أم كفروه.**

- **مقام الحمد أشرف مقامات العبودية؛ ولذا اشتق منه اسم أشرف الخلق وسيدهم (أحمد)، فهو أكثرهم شكرا لله وتوحيدا له وحمدا.**

- **غدا بإذن الله**
- **نكمل نظرات قرآنية**
- **فاللهم إنا نسألك**
- **الثبات على الأمر**
- **والعزيمة على الرشد**
- **والهداية لكل خير.**

- **نستكمل نظرات قرآنية في سورة الكهف وبيان حِكمها وأحكامها وهداياتها بدلالة عباراتها وإشاراتها.**

- **ابتدأت السورة بالحمد لله للإشارة إلى عظيم النعمة التي امتن بها على عباده بإنزال القرآن هداية لهم فأوجبت عليهم له الحمد كله وشكره وحده.**

- **وصف الله نفسه بأنه {الَّذِي أنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ} تنويها بعظيم شأن الرسول {عَبْدِهِ} وشأن الرسالة {الْكِتَابَ}، فلا عبد لله كأحمد ولا كتاب كالقرآن.**

- **وصف النبي ﷺ بصفة العبودية وإضافته لله {عَبْدِهِ}، فيه تجريد التوحيد لله بإفراده وحده بالربوبية المطلقة، وتشريف رسوله محمد بمقام العبودية الحقة.**

- **قوله: {أنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ... مِن لَّدُنْهُ} تأكيد على إنزال القرآن من عند الله سبحانه، ونفي لما ادعاه المشركون من أنه أساطير افتراها محمد.**

- قوله: {مِن لَّدُنْهُ} متعلق بقوله: {أنزَلَ} ففيه تقديم وتأخير، أي: أنزل الكتاب من لدنه على عبده، كقوله: {وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا}.

- وصف الله {الْكِتَابَ} بأنه {وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا . قَيِّمًا} والقيم المستقيم الواضح في هداياته الذي لا اختلاف فيه ولا اضطراب والمهيمن على كل ما سواه.

- ذكر الله الغاية من إنزال الكتاب وهي:
  ١- لينذر العباد جميعا يوم الحساب
  ٢- ويبشر المؤمنين منهم حسن الثواب
  ٣- ويحذر المشركين به سوء العقاب

- خص الله بالوعيد من نسبوا إليه الولد وأبطل دعواهم؛ لأنها كذب عظيم لا يتجاوز أفواههم بلا علم صريح ولا نقل صحيح {وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا}.

- قوله: {وَلا لآبَائِهِمْ} إشارة إلى سبب انحراف الناس عن الفطرة بتقليدهم لآبائهم والتمسك بعادات مجتمعاتهم مع بطلانها {مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إلا كَذِبًا}.

- فتنة الآباء للأبناء وفتنة المجتمعات للأفراد هي أول الفتن التي تصرف الخلق عن الحق بعد فتنة الجهل وعدم العلم وهذا ما جرى لفتية الكهف.

- قوله: {كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ} فيه إشارة إلى عظم شأن الكلمة التي تخرج من الفم، وأنها قد تكون سببا لسخط الله وشديد عقابه وأليم عذابه.

- في قوله: {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا} بيان شدة شفقة النبي ﷺ على أمته، وحرصه على هدايتهم ليقتدي به المؤمنون في دعوتهم.

- خاطب الله رسوله ﷺ مباشرة {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا}؛ تسلية له وتكريما، ليأنس بمعية الله وقربه منه حين هجره قومه، فما فقد من وجد الله.

- ثم بين الله لنبيه ﷺ حقيقة الدنيا التي افتتن الخلق بها والغاية منها والنجاة فيها {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلا}.

- قوله تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ} الزينة كل ما كان لتجميل الشيء وتحسينه في النفس، وتلك حقيقة الدنيا الفانية ليتحقق فيها الاختبار.

- {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً}
- التعليل بزينة الدنيا لابتلاء الناس أيهم أحسن عملا يؤكد أنها أشد الفتن التي تصرفهم عن هداية الله وعن إحسان العمل.

- أمر الله نبيه ﷺ بالزهد في الدنيا وزينتها {وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ} لأنه هو أحسنهم عملا.

- يتفاضل الناس يوم القيامة بحسب تفاضلهم في إحسانهم للعمل {أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً}، وكلما كان العبد بالدنيا وزينتها أزهد، كان بالفوز بالآخرة أسعد.

- أخبر الله بأن الأرض وزينتها التي صرفت الخلق عن ربهم وهداياته وعن آخرتهم ستنتهي {صَعِيدًا جُرُزًا} لتظهر الدنيا كقفر موحش بلا زينة ولا زخرف.

- جاءت قصة أهل الكهف بعد بيان حقيقة الدنيا وزينتها وكيف آثر الفتية الإيواء إليه مع ضيقه فرارا بدينهم من فتنتها.

- {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً. وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا. أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا}

- جعل الله أهل الكهف آية لمن بعدهم حيث كانوا شبابا فلم يفتتنوا بفتوتهم وهم أحوج إلى الدنيا وزينتها وفروا إلى الله من مجتمعهم وطغيانه.

- نكمل بإذن الله غدا نظرات قرآنية في قصة أهل الكهف، وكيف تحقق لهم فيه مع ضيقه الأمن والإيمان وهو ما لم يتحقق لهم في وطنهم كله!

- ذكر القرآن قصة أهل الكهف وبعثهم؛ إشارة لما هو أعجب، وهو قصة غار حراء ونزول الوحي على محمد ﷺ ليحيي به الإنسانية كلها.

- جعل الله فتية الكهف آية لقومهم بعد بعثهم حتى اهتدوا بسببهم
- كما جعل محمدا ﷺ وقرآنه آية ونبأ عظيما وهداية للعالم وبعثا له بعد موته الروحي.

- أوى فتية الكهف إليه
- فرارا إلى الله، وحبا له، فهداهم الله
- وأوى النبي ﷺ إلى غار حراء

- لعبادة الله بعيدا عن قومه وشركهم، فاجتباه ربه واصطفاه.

- كانت دعوة الفتية {رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا} جامعة لكل خير فسألوا الله رحمته بهم وهدايته لهم.

- استجاب الله دعاء الفتية وألهمهم رشدهم فقال: {فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا} فأمّنهم برحمته ويسر أمرهم.

- نشر الله رحمته على الفتية كلهم وعم بالرحمة مكانهم، ويسر لهم مقامهم في كهفهم، فكانوا مع ضيقه في أرفق عيش وأنعمه حتى غشيهم النوم أمنةً.

- {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى. وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا. هَؤُلاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءالِهَةً لَّوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا. وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا}

- ذكر القرآن أن أهل الكهف:

  ١- فتية وهو جمع قلة لعددهم، فلم تضرهم قلتهم وصغر سنهم عن رفض الباطل.

  ٢- آمنوا بربهم، فآثروا الله على رضا قومهم.

  ٣- وزادهم الله هدى بعد إيمانهم، وذلك بإلهامهم فعل الصواب والتوفيق للرشاد في شأنهم مع قومهم.

  ٤- وربط على قلوبهم بالثبات على الحق مع ضعفهم.

  ٥- قيامهم بدعوة قومهم إلى الإيمان بالله وحده، ونبذ ما يعبدون من دونه من الأنداد والأوثان.

  ٦- محاججتهم قومهم بالأدلة على بطلان دينهم.

  ٧- براءتهم من قومهم بعد إصرارهم على شركهم.

  ٨- اعتزالهم مجتمعهم وهجرتهم إلى الله.

  ٩- إيواؤهم إلى كهف فرارا بدينهم.

- بينت قصة أهل الكهف أسباب العصمة من فتن المجتمع والسلطة وهي:

  ١- الإيمان بالله والثبات على أمره والتوكل عليه وحده.

  ٢- اعتزال الفتن واجتنابها.

  ٣- اعتزال أهل الفتن وهجرهم.

  ٤- الزهد بالدنيا وزينتها.

٥- الهجرة إلى الله والخلوة إليه.
٦- اتخاذ الرفقة الصالحة.
٧- الأخذ بأرشد الرأي.

- تحقق وعد الله لفتية الكهف؛ بأن ينشر رحمته عليهم وييسر لهم أمرهم، ويهيأ لهم مرفقا يرتفقون ويأمنون فيه فلم يصل إليهم عدوهم مع قربهم منه.

- ذكر الله أن قصة أهل الكهف {مِنْ آيَاتِ اللهِ} المعجزة سواء آياته القدرية فيما حدث للفتية أنفسهم أو آياته الخبرية بما قصه على نبيه كأنه معهم.

- تظهر آيات الله القدرية فيما جرى للفتية:
١- حالا؛ بنجاتهم ونومهم بأمن ورفق ويسر.
٢- ومكانا؛ بإيوائهم في كهف.
٣- وزمانا؛ بمكثهم ٣٠٠ سنة.

- {وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ ءايَاتِ اللهِ مَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا. وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا}

- سخر الله الشمس للفتية في كهفهم، فتميل عند طلوعها عن يمينهم، فلا يضرهم حرها نهارا وتقرضهم بعض شعاعها عند غروبها عن شمالهم؛ لتدفئتهم مساء.

- هيّأ الله للفتية فجوة داخل كهفهم، فهم فيها في سعة مع ضيقه، وفي أمن من العدو؛ فلا يراهم وفي ظل من حر الشمس، وفي كنٍ من لفح البرد؛ فلا يضرهم.

- ومن آيات الله المعجزة في قصة الفتية أنه ضرب على آذانهم فأصمهم فلا يسمعون صوتا يوقظهم من نومهم فانقطعوا عن العالم الخارجي والإحساس به.

- من آيات الله أن الفتية بعد أن ضرب على آذانهم رقدوا وظلت أعينهم شاخصة وهم يتقلبون جلوسا ويتكئون يمنة ويسرة {وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ}.

- الرقود هو النوم ولا يقتضي الاضطجاع بل قد يرقد الجالس ويؤيده {وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ} وهذا الوصف يصدق على الراقد القاعد لا المضطجع.

- ومن آيات الله حمايته لمكان الفتية بكلبهم وبالرعب {وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا}.

- حمى الله الفتية في كهفهم بسبب حسي وهو كلبهم أمام بابهم، وبسبب معنوي نفسي وهو الرعب؛ فلم يجرؤ أحد على الاقتراب من مكانهم ٣٠٠ سنة مع ظهوره.

- تحقق للنبي ﷺ من آيات الله ما هو أعجب مما جرى للفتية في كهفهم وذلك:

١- نزول الوحي بالهدى في غار حراء.

٢- وحمايته في غار ثور.

٣- ونصره بالرعب.

- ونستكمل نظرات قرآنية غدا بإذن الله
- اللهم إنا نسألك الثبات على الأمر
- والعزيمة على الرشد والفوز برضاك
- آمين

- {وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ۞ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا}

- كما كانت نجاة الفتية من قومهم ونومهم ٣٠٠ سنة أمرا معجزا، كذلك كان بعثهم حين استيقظوا كأن لم يتغير عليهم شيء {وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ} على نحو معجز.

- بلغ الأمر بالفتية وعدم تغير حالهم حتى أنهم تساءلوا بينهم {كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ} أي قدروا نومهم ما بين ٦ إلى ١٢ ساعة.

- لا صحة للإسرائيليات التي تؤكد تغير حال الفتية وأشكالهم وطول شعورهم، فهذا ينافي ظاهر القرآن الذي قال في شأنهم {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ}.

- تقدير الفتية للمدة {أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ} يدل دلالة ظاهرة أنه لم يتغير عليهم من حالهم شيء، وهو من الأمر المعجز في قصتهم مع طول المدة التي قضوها.

- ثم تشاوروا فقالوا {فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ} وفيه حسن أدب الفتية وسمو خلقهم.

- **عطف بالفاء في {فَابْعَثُوا}، {فَلْيَنظُرْ}، {فَلْيَأْتِكُم}**
- **ثم عطف بالواو في {وَلْيَتَلَطَّفْ}، {وَلا يُشْعِرَنَّ}**
- **لإفادة الفاء للتعقيب، وإفادة الواو لمطلق التشريك.**

- **{فَابْعَثُوا}: بعد تشاوركم بدراهمكم الفضة من يشتري من المدينة**
- **{فَلْيَنظُرْ}: بعد ذلك طعاما**
- **{فَلْيَأْتِكُم}: وكلها أفعال يعقب بعضها بعضا فعطفها بفاء الترتيب**

- **بينما قال {وَلْيَتَلَطَّفْ} {وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا} بكل أفعاله حين يذهب إلى المدينة، وحين ينظر الطعام، وحين يأتيكم به يتلطف في كل ذلك، ولا يشعر أحدا.**

- **استدل بعض أهل التفسير على كون الفتية من أشراف أهل المدينة؛ لقولهم {فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا} مما اعتادوا أكله من أطيب الطعام قبل إيمانهم.**

- **الظاهر في قولهم {أَزْكَى طَعَامًا} أي: أزكاه من حيث الحل وعدم اشتباهه بأي محرم، وهذا دليل على تقواهم وشدة تحريهم للحلال الطيب الذي لا شبهة فيه.**

- **في قولهم {إِلَى الْمَدِينَةِ} دليل على قرب كهفهم من قومهم وإمكان اطلاعهم عليهم، ويؤكده قولهم {إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ} لشدة طغيانهم.**

- **في الحادثة من الفوائد:**
  - صحة الشركة حيث جمعوا دراهمهم والتوكيل بالشراء
  - والاشتراط على الوكيل
  - وتحري أطيب الحلال
  - والحذر بالاختفاء لحفظ النفس

- **ورد سؤال عن سبب تقديم الفرار في قوله {لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا} على {وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا} مع أن الرعب قبل الفرار.**

- **لا دلالة في الآية على أن الفرار قبل الرعب، فالعطف بالواو لا يقتضي التعقيب والترتيب، ولا يتصور حدوث الفرار منهم بلا سبب وهو الرعب والخوف.**

- **سياق الآية فيه تقديم وتأخير؛ لما كان الرعب يحدث ابتداء وهو سبب التولي والفرار، ثم يبقى الرعب في النفس حتى بعد التولي حسن تأخيره بالذكر.**

- **علل الفتية سب فرارهم واختفائهم خوفا على دينهم وحفاظا على إيمانهم {إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا}**

- **قولهم: {يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ} يؤكد خطورة الطغيان المجتمعي وظلم الإنسانية عند انحرافها عن هداية السماء والحق الذي جاء به الأنبياء.**

- **قول الفتية: {أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا} يفيد أن التقية غير مشروعة في دينهم ولا العذر بالإكراه، وقد جاء الإسلام بالتيسير.**

- **رفع الله عن هذه الأمة الإكراه فقال: {إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ} وفي الحديث: (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما أكرهوا عليه) رحمة بهم.**

- **وفيه بيان خطورة العودة إلى الكفر لمن عرف الإيمان وأنه لا يفلح أبدا، كما قال الله فيمن فعل ذلك {لَّمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً}.**

- **آثر الفتية الفرار بدينهم والاختفاء عن قومهم على أن يعودوا لملتهم حين وجدوا (حلاوة الإيمان) (وكذلك الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب).**

- **جاء في الحديث الصحيح: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان... وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار).**

- **استدل هرقل الروم على صحة الإسلام بذلك حين كان في الشام وسأل أبا سفيان: هل يرتد أحد عن دين محمد سخطة؟ قال: لا**
  - **(فقال للترجمان: ... قل له: وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت: أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب) البخاري (١/٨)**

- **{وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا . سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلا قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا. وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا . إِلا أَن يَشَاءَ اللهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا . وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا . قُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا}**

- شك بعض أهل المدينة بالفتى في السوق أثناء شراء الطعام حين رأوا دراهمه القديمة مع اختفائه وتلطفه، فتتبعوا أثره إلى كهفهم حتى عثروا عليهم.

- كما كان اختفاء الفتية أمرا عجبا، وبعثهم بعد نومهم أمرا معجزا، كذلك كان أمر الاعثار عليهم أيضا {وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ}.

- جعل الله الفتية آية ومعجزة ليس لقومهم الذين في عصرهم، بل لمن عثروا عليهم في وقت كانوا يتجادلون في إمكان البعث ودليله، فكان الفتية الدليل.

- لفظ {أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ} يدل أن أهل المدينة لم يستخبروا الفتى عن قصته ولا أشعرهم بشيء، بل تبعوه وهو لا يعلم حتى عثروا على الفتية وتفاجأوا بهم.

- وقع الإعثار عليهم في وقت كان القوم {يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ} في قدرة الله على بعث الأموات {لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا}.

- في سياق الآية تقديم وتأخير والمعنى {وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ} {إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ} {لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ... }.

- ويحتمل أن التنازع المذكور هنا هو تنازع أهل المدينة فيما يجب فعله لتكريم الفتية، فقال بعضهم: نبني عليهم بنيانا، وقال الملأ: بل نبني مسجدا.

- بلغ الحال بالفتية وظهور أمرهم كمعجزة على إمكان البعث أن آمن بدينهم أهل المدينة التي طردتهم حتى أجمعوا على تعظيمهم وتكريمهم بعد تشريدهم.

- من آيات الله أنه بعد أن كان الفتية فارين بدينهم خائفين من قومهم إذا الحال يبلغ بهم حد الغلو فيهم وبناء المسجد عليهم بأمر الملأ أنفسهم.

- أراد القوم البناء على قبور الفتية بناء يسترهم بعد وفاتهم {فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا} فقال الملأ {لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا} استبدادا بالأمر.

- لفظ {قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا} يؤكد بأن الملأ هم الذين أرادوا ذلك كما يفيده لفظ {غَلَبُوا} و{لَنَتَّخِذَنَّ} لما لهم من سلطة.

- مما يرجح أن الملأ هم الذين عزموا على بناء المسجد على قبور الفتية صيغة {غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ} و{لَنَتَّخِذَنَّ}؛ لما فيه من التغلب والاستبداد بالرأي.

- كان رأي من غلبوا غلوا محرما إذ قالوا {لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا} كما في الصحيح: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد).

- الاستخدام القرآني الغالب لصيغة (اتخذ) في غير الأمر الإلهي لا يأتي عادة إلا فيما كان فعلا مذموما يتخذه فاعلوه من تلقاء أنفسهم بلا إذن.

- من أمثلة {اتَّخَذُواْ} للمذموم
{اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا} [التوبة:١٠٧]
{اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا} [التوبة:٣١]
{اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً} [المجادلة:١٦]
{اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً}
{اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا} [الأنعام:٧٠]

- أخبر القرآن بأن الفتية {لَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا} قال بعض أهل التفسير: ٣٠٠ سنة شمسية تساوي ٣٠٩ قمرية، وهو صحيح حسابيا.

- لفظ {وَازْدَادُوا تِسْعًا} تفيد أن الزيادة تسع سنين غير مدة اللبث الأولى في كهفهم قبل العثور عليهم، وأنهم قد يكونون لبثوا فيه بعدها ثم توفوا.

- في سيرة الفتية مقامات كسبية وأحوال وهبية في تزكية النفس؛ للنجاة من الفتن في الدنيا والآخرة، فأول المقامات الإيمان، وأول الأحوال الهداية.

- دل قوله {إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى} أن الإيمان بالله مقام كسبي للعبد والهداية حال وهبي من الرب، ومثله {وَمَن يُؤْمِن بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ} [التغابن:١١]

- من آمن بالله وتوجه إليه، هدى الله قلبه وأقبل عليه
- فمن حقق المقام الأول، تحقق له الحال الأول، كما قال إبراهيم: {إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ} [الصافات:٩٩]

- وعد الله من آمن به الهداية إلى صراطه المستقيم الموصل لرضوانه {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللهِ... فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ... وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا} [النساء:١٧٥]

- ويؤكده قوله: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ} [يونس:٩] فالهداية هي توفيق الله المؤمنين للحق في كل أحوالهم في الدنيا والآخرة

- **المقام الثاني:**
- **القيام بأمر الله مقام كسبي**
- **والربط على قلب العبد حال وهبي**
- **{وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ}**

- **ربط الله على قلوب الصحابة يوم بدر حين قاموا بأمر الله والجهاد في سبيله {وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ} [الأنفال:١١] وربط القلب تثبيت الله للعبد.**

- **كما ربط الله على قلب أم موسى حين امتثلت لأمر الله؛ بإلقاء موسى باليم فالتقطه عدوه {لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [القصص:١٠] بوعد الله.**

- **المقام الثالث للفتية:**
- **مقام العزلة وهو كسبي**
- **وتحققت لهم به الرحمة والتيسير وهي حال وهبي {وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ... يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته} الخاصة.**

- **العزلة المشروعة الانحياز إلى الله والانقباض عما سواه، وهي من مقامات الأنبياء، ولا يتحقق التوجه إلى الله الحق، إلا باعتزال أهواء الخلق.**

- **اعتزل أبو الأنبياء إبراهيم قومه فقال: {وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ... فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ... وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ} وقال عمر: (خذوا بحظكم من العزلة).**

- **شرع الله الاعتكاف في رمضان واعتزال الأهل والأصحاب ليأخذ المؤمنون حظهم من هذه العبادة النفسية بالخلوة بالله والأنس به ومناجاته وحده.**

- **للعزلة مراتب، فأشرفها: اعتزال الأنبياء بالانحياز إلى الله والقيام بأمره والجهاد فيه والخروج من حظوظ النفس حتى لا يكون في القلب غير الله.**

- **وأدنى مراتب العزلة: تجنب الإثم والعدوان والفتن وهجر المعاصي كلها كما في الحديث: (والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه) واعتزال أهلها ودعاتها.**

- **خير الناس أشدهم عزلة بروحه وقلبه، وأزهدهم بدنياهم، وأكثرهم خلطة لهم بجسده بدعوتهم إلى الخير، وإعانة محتاجهم ونصرة مظلومهم وجهاد ظالمهم.**

- **{سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلا قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلا**

تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا. وَلا تَقُولَنَّ لِشَىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا. إلا أن يَشَاء اللهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا. وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا. قُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا. وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا}

- نهى القرآن عن البحث في تفاصيل قصة الفتية وكهفهم في غير ما أوحى الله لنبيه في شأنهم {وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا}.

- أمر الله نبيه ﷺ حين قص عليه قصة الفتية وكيف تبرأوا من حولهم وقوتهم إلى حول الله وقوته وفوضوا إليه أمرهم أن يفوض أمره لربه في كل ما يفعله.

- قال الله مؤدبا نبيه ﷺ والمؤمنين {وَلا تَقُولَنَّ لِشَىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا. إلا أن يَشَاء اللهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ} فأمره بالتسليم المطلق لقضائه وقدره.

- أمر الله نبيه ﷺ والمؤمنين حال نسيانهم البراءة من حولهم وقوتهم فيما يشاءونه من أفعالهم أن يذكروه {وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ} ذكره يصلح لك عملك.

- عم التسليم المطلق لمشيئة الله ما يستقبله العبد من فعل {إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا} وما مضى من فعلٍ نسي العبد فيه تسليم أمره لله {وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ}.

- ألهم الله نبيه ﷺ سؤاله الهداية والرشد {وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا} بالتسليم المطلق لمشيئته كما سأل فتية الكهف الله {رَشَدًا}.

- أفعل التفضيل في قوله {عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا} أي: أقرب في الدلالة على المعجزة والهداية إلى الرشد مما هدى به الفتية وقومهم.

- تحقق للنبي ﷺ من:
- الآيات المعجزات في الهداية إلى الرشد
- والدلالة على صدق نبوته
- والفتح والنصر
- ما هو أظهر وأوضح حجة مما جرى للفتية.

- أخبر الله نبيه ﷺ قصة الفتية وأمره ألا يجادل فيهم ولا يسأل عن خبرهم أحدا من أهل الكتاب {وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا} فقد حسم القرآن الخلاف.

- أحال القرآن تفاصيل خبر الفتية إلى علم الله وحده {قُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ} فخبرهم من الغيب الذي لا يعلم إلا بالوحي.

- مجّد القرآن سعة علم الله وإحاطته بعالم الغيب فضلا عن الشهادة لسعة بصره وسمعه {أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ} فلا أبصر منه بهم سبحانه ولا أسمع منه لهم.

- قص الله خبر الفتية على نبيه للدلالة على صحة نبوته وصدقه ثم أكد الحقائق الإيمانية المطلقة {مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا}

- قوله: {مَا لَهُم} أي: أهل السماوات والأرض {مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ} يتولى شأنهم ويدبر أمرهم
- و{وَلِيٍّ} نكرة في سياق نفي فتفيد العموم وسبقها {مِن} فصارت نصا.

- قوله: {مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ} توحيد بإفراد لله وحده بالولاية المطلقة على خلقه ونفي قاطع لوجود ولي لهم معه أو دونه {فَاللهُ هُوَ الْوَلِيُّ} وحده.

- كما أن الله هو وحده الولي وله على عباده الولاية المطلقة خلقا وربوبية وتصرفا، فكذلك حكما وأمر ونهيا {وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا} قضاء وشرعا.

- في الآية إرشاد للنبي ﷺ أنه كما سلم الفتية أمرهم لله الولي وفوضوا الحكم إليه فهيأ لهم منه قضاء رشدا؛ ففوض أمرك إليه واصبر لحكمه وتوكل عليه.

- يؤكد هذا الإرشاد قراءة {وَلا تُشْرِك فِي حُكْمِهِ أَحَدًا} فهي خطاب للنبي ﷺ بتوحيد الله في حكمه وأمره ونهيه، كما يقتضي ذلك كونه الولي على أمر عباده.

- هذا ما تحقق للنبي ﷺ بعد سورة الكهف، فقد آذاه قومه وأخرجوه من مكة وهاجر ولجأ مع أبي بكر إلى غار ثور، وآواه الله وحماه ونصره كما جرى للفتية.

- كان حفظ الله لنبيه محمد ﷺ وحمايته له وهدايته له أقرب مما جرى لفتية الكهف رشدا وأوضح حجة وأظهر نصرا ولهذا أمره {وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ} باتباعه.

- نستأنف بإذن الله نظرات قرآنية في سورة الكهف
- وما فيها من هداية للنجاة من الفتن التي تحول دون السير إلى الله

۞ {قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا. وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا. وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا. وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا. إِنَّ الَّذِينَ ءامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلا. أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا}

۞ ذكرت السورة معالم الهداية والعصمة من الفتن التي نجا الله بها الفتية من قومهم وطغيانهم وسلطانهم وهي ذاتها التي نجا بها النبي ﷺ وأصحابه.

۞ تتمثل معالم الهداية للرشد والعصمة من فتن المجتمع بالتالي:

١- اتخاذ الله وحده وليا وحاكما {مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ} {وَلا تُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ}.

٢- اتباع الوحي والاهتداء به {وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا} ففي اتباعه النجاة والعصمة من الفتن.

٣- صحبة أهل الإيمان {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} كما كانت صحبة فتية الكهف من أسباب نجاتهم من الفتن.

۞ لفظ {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ} فيه إشارة إلى مشقة حبس النفس وحملها على ما تكره من لزوم العبادة وصحبة أهل الإيمان، ولما في ذلك من نجاة النفس وسعادتها.

٤- عدم الالتفات إلى الدنيا وفتنتها وزينتها {وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} وهذا ربط بين حال أصحاب النبي ﷺ وحال فتية الكهف.

۞ كما أوى فتية الكهف إلى الله فنصرهم، كذلك أوى أصحاب النبي ﷺ إلى كهف الله وكنفه يدعونه بالغداة والعشي يريدون وجهه فنصرهم.

٥- عدم طاعة أهل الباطل أو اتباع الأهواء {وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا}؛ إذ كان نجاة الفتية بمخالفتهم قومهم.

٦- الدعوة إلى الله وإلى الحق الذي نزل على رسله ولزوم أمره ونهيه {وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ}، فلا إكراه في دين الله.

- ورد في السورة بعد كل فتنة المخرج منها:
١- {وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا}
وفي قراءة {وَلا تُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا}
٢- {وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا}
٣- {وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}

- عند انتهاء قصة الفتية وما تعرضوا له من اضطهاد قومهم لهم وبما يتعرض له النبي ﷺ وأصحابه ذكر الله جزاء كلا الفريقين.

- {إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا. إِنَّ الَّذِينَ ءامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلا. أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا}

- نستكمل بإذن الله نظرات قرآنية في سورة الكهف
- وقصة صاحب الجنتين
- {وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا. كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا. وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَرًا. وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا. وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا. قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلا. لَّكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا. وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ إِن تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا. فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاء فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا. أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا. وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا. وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا. هُنَالِكَ الْوَلايَةُ للهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا. وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا. الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلا}

- تمثل قصة الفتية أول فتنة يواجهها الإنسان وهي فتنة مجتمعه وأسرته حيث يتشكل وعيه لدينه وفق تصوراتهم عن الوجود وعن الخالق وعن أنفسهم.

- جاء في الصحيح (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه..)؛ ليؤكد شدة أثر الأسرة والمجتمع على الفرد في أخص شئونه وهي عقيدته.

- الإنسان ابن مجتمعه أكثر منه ابن عقله، فتصورات الفرد وعقيدته وسلوكه هي أثر من آثار مجتمعه وقومه وأسرته أكثر منها تعبيرا عن عقله وإرادته.

- إذا كانت فتنة الإنسان في دينه بسبب قومه وأسرته، فإن فتنته في دنياه بسبب صاحبه وجاره حيث التكاثر {فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَرًا}.

- التكاثر في الأموال والأولاد {أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَرًا} من أشد الفتن التي تصرف المؤمن عن السير إلى الله {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ. حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ}.

- امتن الله على نبيه أنه آواه وهداه وهو يتيم فلا أثر لقومه عليه، وأغناه بلا تكاثر {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى. وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى. وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى}.

- ضرب الله المثل بصاحب الجنة في الفتنة الثانية بعد فتنة الدين والمجتمع وهي فتنة المال والدنيا وهي الاختبار الثاني.

- ذكرت سورة الكهف معالم الهداية للعصمة من فتنة الدنيا والاغترار بالمال والولد وهي:

١- تذكر الله المنعم والاعتراف بنعمته وشكره وعدم كفره:

قال له صاحبه {أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلا} فذكره بنعمة الله الحسية المادية في نفسه وأصل خلقه مما لا يمكن له جحده.

قوله {خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ} استدلال مادي لطيف، فإنه يموت ويدفن ويتحلل ترابا، وهذا أمر حسي لا يمكن جحده وكذلك يبدأ {مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ}.

٢- توحيد الله في ربوبيته وتصريفه للخلق وتنشئته وتربيته لعباده إيجادا من العدم وإمدادا بالنعم {لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا}.

٣- الافتقار إلى الله {وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ} للبراءة من حوله وقوته فكل نعمة من الله وحده وله الفضل وحده.

٤- تذكر غِيَر الله في الخلق وتبديله حالهم {فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاء فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا} فإما غنى للفقير أو افتقار للغني.

- بدأت السورة بقصة الفتية وإيمانهم، وفتنة قومهم لهم في دينهم؛ إذ هي أول اختبار يواجه الإنسان في الحياة غالبا، ثم ثنت بفتنة الدنيا والمال.

- ضرب القرآن المثل في فتنة الدنيا والتكاثر فيها بصاحب الجنتين الغني ومحاورته لصاحبه الفقير بأنه أكثر مالا وولدا، وهي فتنة عامة لكل إنسان.

- قصة صاحب الجنتين الغني وجاره الفقير، هي قصة كل إنسان يشغله التكاثر مع من هو أغنى منه هلعا وطمعا، أو مع من هو أفقر منه اغترارا وبطرا.

- أخبر النبي ﷺ عن حقيقة الغنى فقال: (ليس الغنى عن كثرة العرض وإنما الغنى غنى النفس) فمن افتقرت نفسه لم يغنه شيء، ومن اغتنت نفسه لم يحتج لشيء.

- غنى النفس هو بإيمانها بالله واغتنائها به عن كل ما سواه من عرض الدنيا
وفقر النفس هو بتعلقها بالدنيا (تعس عبد الدينار) بافتقارها إليه.

- ذكر الفقير لصاحبه الغني حقيقة الدنيا وتغير أحوالها بأنه إما أن يزيده الله فيرفعه {فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ} أو ينقص الغني فيضعه.

- قول الفقير {وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاء فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا} بمعنى أو يرسل فليس دعاء على صاحبه بالافتقار، بل تحذيرا له من عاقبة الاغترار.

- الواو في قوله {وَيُرْسِلَ} بمعنى أو كقوله بعد ذلك {أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا} والمعنى: لا تكاثرني بمالك وولدك، فقد يزيدني الله من فضله أو يفقرك بعدله.

- تحقق ما حذر منه الفقير صاحبه الغني {وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ} وذهبت جنته {أَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا} من مال وجهد.

- ذهبت جنة الغني الدنيوية وزينتها بكفره فإذا هي أوهام لا حقائق لها سواء ذهبت بافتقاره بعد غناه أو بموته بعد حياته أو بحرمانه جنة الآخرة.

- تجلت حينئذ الحقيقة فإذا الغني يتمنى لو آمن كصاحبه الفقير {وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا} وأفلح الفقير حين قال {لَّكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا}.

- انتهى مشهد الغني الكافر بربه أن خسر كل شيء {وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ} من ولد وخدم وحشم {يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا} فلا حول له ولا قوة.

- تأكدت الحقيقة المطلقة بعد هذه الفتنة التي تعرض للإنسان بماله وولده وجنته وحياته {هُنَالِكَ الْوَلايَةُ للهِ الْحَقِّ} فهو الملك الغني وأنتم الفقراء.

- الولاية بكسر الواو الملك والسلطان، وبفتح الواو الموالاة والنصرة؛ وكلاهما لله وحده على الحقيقة في الدنيا والآخرة.
(وأولى القراءتين في ذلك بالصواب، قراءة من قرأ بكسر الواو، وذلك أن الله عقب ذلك خبره عن ملكه وسلطانه، وأن من أحل به نقمته يوم القيامة فلا ناصر له يومئذ، فإتباع ذلك الخبر عن انفراده بالمملكة والسلطان أولى من الخبر عن الموالاة التي لم يجر لها ذكر ولا معنى ، لقول من قال: لا يسمى سلطان الله ولاية، وإنما يسمى ذلك سلطان البشر، لأن الولاية معناها أنه يلي أمر خلقه منفردا به دون جميع خلقه، لا أنه يكون أميرا عليهم) تفسير الطبري (٢٩/١٨)
(وقرأ الأعمش وحمزة والكسائي " الولاية " بكسر الواو، الباقون بفتحها، وهما بمعنى واحد كالرَضاعة والرضاعة. وقيل: الوَلاية بالفتح من الموالاة: كقوله {الله ولي الذين آمنوا}. ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا. وبالكسر يعني السلطان والقدرة والإمارة: كقوله {والأمر يومئذ لله} أي: له الملك والحكم يومئذ، أي: لا يرد أمره إلى أحد؛ والملك في كل وقت لله ولكن تزول الدعاوى والتوهمات يوم القيامة. وقال أبو عبيد: إنها بفتح الواو للخالق، وبكسرها للمخلوق) تفسير القرطبي (٤١١/١٠)

- تولي المؤمنين لله واتخاذهم إياه وحده {الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ} ربا وملكا وحاكما ومعبودا ونصيرا هو أصل التوحيد وسبب الهداية والعصمة من الفتن كلها.

- كما انتهت فتنة الدين بتوحيد الله في الولاية {مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا} انتهت فتنة الدنيا بها {هُنَالِكَ الْوَلايَةُ للهِ}.

- {وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا. الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلا. وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا. وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا. وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}

- بعد ذكر السورة فتنة صاحب الجنتين وعاقبة أمره، ضرب القرآن المثل للناس وأحوالهم وما هم فيه من تكاثر واغترار بالمطر وربيعه وخضرته ونهايته.

- حقيقة حياة الإنسان وزينتها {مَاء أنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ}، فأنبت الربيع {اخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ}، فازدانت به ثم انتهى {أَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ}.

- حقيقة الدنيا ببدايتها وزينتها ونهايتها يراها كل إنسان في كل من حوله، ويغفل عنها في نفسه؛ لشدة فتنتها حتى يموت فيصير قبرا تذروه الرياح.

- نبه المثل القرآني بأن {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} وبما أنه أضافهما للدنيا، فلا دوام للدنيا ولا لزينتها، فالدنيا للفناء لا للبقاء.

- لا يبقى من الدنيا وزينتها ومن الأولاد والأموال إلا {الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ} حيث يستعين المؤمن بالمال والولد على القيام بطاعة الله وطلب رضاه.

- الباقيات الصالحات من الأعمال هي خير ما يثاب عليه الإنسان في الدنيا والآخرة، وخير ما يؤمله ويرجوه فيهما {خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً}.

- ذكرت السورة مبتدأ الإنسان بمشهد الدنيا وحياته فيها وزينتها وفتنتها وثوابها ونهايتها، ثم ذكرت مشهد الآخرة وحسابها.

- أشارت السورة لأسباب الفتن التي تمنع من السير إلى الله وهي:
  ١- المال
  ٢- البنون
  ٣- اتباع الشيطان
  ٤- أولياء الشيطان

- سيقف العباد جميعا صفا واحدا بين يدي الملك الحق ذي الولاية المطلقة على الخلق؛ ليحاسب كلا على أعماله ولا يظلم أحدا {وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا. وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}.

- لن يندم يوم القيامة إلا المجرمون الظالمون {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا}.

- ثم ذكرت السورة كيف بدأت أول فتنة للإنسان عند بدء الخلق حين عصى إبليس ربه وحسد آدم وأزله عن طاعة الله ولزوم أمره {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ

مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً}

- ما زال سبب فتنة الخلق:
  ١- الاستكبار عن طاعة الله
  ٢- حسد الإنسان لأخيه الإنسان
  ٣- تولي الشيطان واتباع خطواته
  ٤- الاغترار بالدنيا وزينتها

- ثم ذكرت السورة بعده أسباب النجاة من الفتن وهي:
  ١- القرآن وهدايته
  ٢- الإيمان والاستغفار
  ٣- اتباع الرسل وطاعتهم

{وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْءانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلا. وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلاً. وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا ءايَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا. وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا. وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلا. وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا}

- نستكمل بإذن الله نظرات قرآنية في سورة الكهف
  وقصة موسى والخضر وما فيها من الحكم والعبر

{وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا ءايَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا. وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا. وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلا. وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا. وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا. فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا. فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ ءاتِنَا غَدَاءنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا. قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ

أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا. قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى ءاثَارِهِمَا قَصَصًا. فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا}

- تؤكد قصة الفتية حاجة الإنسان للإيمان بالله وفتنة المجتمع،
وقصة صاحب الجنة حقيقة الآخرة وفتنة الدنيا،
وقصة موسى حقيقة المعرفة وفتنة العلم.

- سبب عدم اهتداء الإنسان بالرسل والكتب والمعجزات هو الإعراض عن هدايات الله ونسيانها تجاهلا لها واغترارا بعلمه
{وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا ءايَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا. وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا}

- جعل الله جزاء الإعراض عن هداياته طمس القلوب وتغطيتها {جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً} وصمم الآذان وانغلاقها {وَفِي ءاذَانِهِمْ وَقْرًا} فلا سبيل للعلم بها.

- عقل هدايات الله والاهتداء بها إلى الحق لا يعود لعلم ولا ذكاء بل هو توفيق من الله واصطفاء {وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا}.

- الحكمة من عدم تعجيل العقوبة مع وقوع الإعراض من الإنسان ونسيان الذنب؛ حتى تتجلى صفات الرب {وَرَبُّكَ الْغَفُورُ} لمن أعرض عنه ثم تاب وأناب إليه.

- كما أن الله هو الرب الغفور فإنه أيضا {ذُو الرَّحْمَةِ} الواسعة؛ ولهذا أرسل رسله وأنزل كتبه رحمة بالناس لهدايتهم، وأجل العقوبة لعلهم يستغفرون.

- لولا رحمة الله بعباده لما نجا أحد ولا اهتدى إليه لا مؤمن ولا كافر للخطيئة التي لا ينفك عنها بشر {لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ}.

- ذكر الله الأمم التي ظلمت وعاقبتها {وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا} فاستثنى الظالمين وعجل لهم عقوبة الدنيا بعدله.

- قضاء الله في خلقه ـ وأسرار قدره وحكمته في اصطفاء من يشاء وهدايته بفضله وصرف من يشاء وعقوبته بعدله ـ مما تحار به العقول لذا أمر بالعلم.

- إذا كان المجتمع الفتنة والعقبة الأولى أمام الإنسان في السير إلى الله

ثم الدنيا وزينتها الفتنة الثانية
فالعلم والمعرفة الفتنة الثالثة

- **(الرسل، والكتب، والاهتداء، والإعراض، والنسيان، والقلوب، والأكنة، والآذان، والوقر، والقضاء، والقدر) كلها تدور حول مصادر المعرفة وحقيقتها وفتنتها.**

- **أشارت قصة موسى والخضر إلى الفتنة الثالثة وهي فتنة المعرفة وحقائقها وأسرار القدر وظواهره وبواطنه مما يجري في القضاء وتحار به عقول الخلق.**

- **سيتجلى في قصة موسى والخضر من المعارف الظاهرة والباطنة وأقدار الله وأسراره في الخلق ما يوجب الإيمان والتسليم فيما لا يحيط به العبد علما.**

- **نستكمل بإذن الله نظرات قرآنية في سورة الكهف وقصة موسى والخضر وما فيها من أسرار وعبر وحاجة الإنسان للمعرفة**
{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا. فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا. فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ ءاتِنَا غَدَاءنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا. قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا. قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى ءاثَارِهِمَا قَصَصًا. فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا}.

- **كان موسى من أولي العزم من الرسل وأنزل الله عليه التوراة هدى ونورا وقد رأى ما جرى له ولقومه من محن وفتن ومعجزات، ومع ذلك رحل لطلب العلم.**

- **سُئل موسى هل هناك أحد أعلم منك؟**
قال: لا.
فأوحى الله إليه بأن لي عبدا لا يعرفه أحد هو أعلم منك، فاذهب إليه وتعلم منه.

- **رحل موسى ومعه تلميذه حيث أمره الله، يبحث عن العبد الصالح؛ ليتعلم منه ليزداد معرفة وحكمة فكان النسيان أول عوارضه {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا. فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا. فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ ءاتِنَا غَدَاءنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ}.**

- **عرض لموسى أول عوارض نقص العلم وهو النسيان وصرف الشيطان للنفس ليشغلها {نَسِيَا حُوتَهُمَا... فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ}.**

- النسيان أول آفة تعرض للإنسان {وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى ءادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا} ومنه ما يكون جهلا ومنه ما يكون تجاهلا وإعراضا {نَسُواْ اللهَ}.

- ورد في السورة التحذير من النسيان بنوعيه سواء نسيان الغافل لعزوب علمه {وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ} أو نسيان الإعراض والتجاهل {وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ}.

- جعل الله نسيان الحوت الدليل الذي سيهتدي به موسى إلى موضع الخضر {قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى ءاثَارِهِمَا قَصَصًا} وفيه إشارة إلى أسرار القدر.

- كان نسيان موسى وفتاه للدليل والمضي في السير حتى التعب {لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا} شرا ظاهريا إلا أن الله جعله سببا لهدايتهما للمعرفة.

- عدم الإحاطة بالحسيات هو العارض الثاني من عوارض العلم والمعرفة، حيث فقد موسى وفتاه الحوت وهو بين أيديهما {وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا}.

- كشف الله لموسى في أول طريق السير إلى المعرفة عن قصور علمه البشري بالنسيان وعدم الإحاطة حتى عما جعله الله دليلا حسيا لهما وهو طعامهما.

- الوصول إلى العلم والمعرفة والهداية لا يكون إلا بالاجتهاد والسير والسفر والبحث والتحري والتعب {ءاتِنَا غَدَاءنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا}.

- مما يزيد المشقة في الوصول إلى الهداية صرف الشيطان للنفس بإشغالها بالأوهام عن الحقائق حتى لا تتذكرها {وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ}.

- في قوله {فَارْتَدَّا عَلَى ءاثَارِهِمَا قَصَصًا} إشارة إلى أن الرجوع إلى الدليل للاهتداء به خير من المضي في الطريق على غير هدى وهذا هدي الله للأنبياء.

- نستكمل قصة موسى والخضر وما فيها من حكم وعبر
{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا. فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا. فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ ءاتِنَا غَدَاءنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا. قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا. قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى ءاثَارِهِمَا قَصَصًا. فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا. قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا. قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا. وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ

بِهِ خُبْرًا. قالَ سَتَجِدُنِي إن شَاء اللهُ صَابِرًا وَلا أعْصِي لكَ أمْرًا. قالَ فَإنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْألْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أحْدِثَ لكَ مِنْهُ ذِكْرًا}.

- تعبر قصة موسى والخضر عن حاجة الإنسان للعلم دائما وحاجته للتسليم للأقدار الكونية ففي كل ما يحدث في الوجود لله حكمة وإن لم تدركه العقول.

- سيتعلم موسى من الخضر كيف تبدو أقدار الله في الخلق على ظواهر كأنها شر وعواقبها خير وعلى أفعال غير معقولة ظاهرا وهي غاية الحكمة باطنا.

- كان علم موسى بأحكام الله ومراداته الشرعية التي أوحاها الله إليه، وسيتعلم من العبد الصالح أحكام الله ومراداته القدرية وحِكمه الكونية.

- عالج موسى قومه حتى ضاق بهم ذرعا؛ لشدة اعوجاجهم وسرعة ضلالهم مع ما رأوا من آيات الله ومعجزاته، فأراد الله إطلاعه على أسراره وحكمه القدرية.

- ليس العبد الصالح نبيا كما قيل، فالمقام يقتضي التنويه بذكر اسمه لولا إنه فعلا عبد مغمور لا يعرفه أحد تولاه الله بالعناية واختصه بالولاية.

- قوله تعالى {عَبْدًا} تنكير إشارة لعدم معرفة الناس به {مِّنْ} تبعيض للإشارة إلى من هم مثله من الأولياء الأخفياء {عِبَادِنَا} إضافة تشريف وتكريم.

- قول الله {ءاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا} هي رحمة اللطف والعناية والاختصاص بالولاية {وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا} هو الوحي بالإلهام والتوفيق إلى الرشاد.

- رجح السعدي أن الخضر ولي، ورجح الشنقيطي أنه نبي إذ كيف يفعل ما ظاهره شر بلا وحي، وفاته أن الله أوحى إلى أم موسى بالإلهام بإلقائه في البحر.

- سأل موسى العبد الصالح {هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا} والرشد أثر الحكمة والتوفيق بالإلهام إلى الحق في كل فعل، فصار موسى متعلما.

- يجاب عما استشكله الشنقيطي بأن الخضر اختص عن سائر الأولياء بأن الله أوحى إلى موسى بالتعلم منه فصارت أفعاله معصومة بوحي ظاهر لا بالإلهام.

- ليس الإلهام مصدرا لتشريع الأحكام بل هو سبب للتوفيق إلى الرشد وإصابة الحق في الأفعال كما وصف الله أصحاب رسول الله {هُمُ الرَّاشِدُونَ} [الحجرات:٧].

- ورد سؤال الله الإلهام إلى الرشد في حديث ابن عباس: (اللهم إني أسألك رحمة .. وتلهمني بها رشدي) وعن عمران بن حصين: (اللهم ألهمني رشدي).

- لم يصحب الفتى موسى والخضر وهو من الأدب ألا يرى التلميذ أستاذه وهو يتعلم ممن هو أعلم منه تعظيما لمقام النبوة من جهة والأستاذية من جهة.

- قال العبد الصالح لموسى {إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا} كما لم تصبر على قومك وانحرافهم لجريان أقدار الله فيهم {وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا}.

- توقع الخضر أن موسى لن يستطيع معه صبرا؛ لأنه غاب عنه العلم والخبر بأسرار القدر وقد أكد موسى بأنه سيصبر ويطيع ومع ذلك تحقق ما توقعه الخضر.

- قال موسى {سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا} وهذا أول اختبار بين موسى والخضر وصدق رأي الخضر في موسى وفراسته إذ لم يصبر بعد ذلك

- اشترط الخضر على موسى {فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا} فأمره بالصبر على التعلم وعدم الاستعجال؛ لمعرفة حكمة أفعاله.

- {فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا. قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا. قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا. وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا. قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًقَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا. فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا. قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا. قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا. فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا. قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا. قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا. فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا. قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا. أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا. وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا. فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا. وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا}

- كان موسى شديد المراعاة لخطاب الأمر الشرعي أشد منه لحكم القدر حتى حاج آدم كيف عصى وخرج من الجنة فاحتج آدم بالقدر. قال رسول الله ﷺ: (احتج آدم وموسى، فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة؟ فقال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله عز وجل برسالته وبكلامه، ثم تلومني على أمر قدر علي قبل أن أخلق)، فقال رسول الله ﷺ: (فحج آدم وموسى مرتين). صحيح البخاري

- بلغ من شدة تعظيم موسى للأمر الشرعي أن ألقى ألواح التوراة غضبا على قومه حين عصوا وحتى أخذ يشد أخاه هارون برأسه ولحيته ولم يراع القدر.

- إذا كان حكم الله الشرعي يقتضي لزومه والعمل به، فحكم الله القدري يقتضي الصبر والتسليم له؛ ولهذا قرن بين التقوى والصبر {إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ} [يوسف:٩٠]

- التقوى تقتضي لزوم إرادة الله الشرعية في فعل المأمور وتجنب المحظور
والصبر يقتضي الإيمان بإرادة الله القدرية في الوجود والتسليم للمقدور.

- احتج آدم أبو البشر على موسى بالقدر حين نسي الأمر وعصى {فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا} وهذا ما اعتذر به موسى نفسه للخضر {لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ}.

- عرف الخضر هذه الطبيعة في موسى وتوقع أنه لن يصبر على ما لم يحط به خبرا فقال موسى {سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا} فلم يصبر!

- كان أول اختبار بين حكم الله الشرعي وحكمه القدري الخفي قصة السفينة {حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا} فاعترض موسى.

- لم يصبر موسى على خرق الخضر للسفينة إذ بدا الفعل ظاهريا شرا لا يصبر عليه {قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا} فلم ينتظر ظهور الحكمة.

- ذكّر الخضر موسى بحكمه عليه سلفا {أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا} على تأمل أقدار الله الكونية في الخلق وأسراره في الوجود حيث حكمه الخفية.

- اعتذر موسى من الخضر واحتج بالقدر وهو طروء النسيان للأمر وذهول الفكر {لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا} تماما كما اعتذر آدم.

- ثم أكملا المسير {فَانطَلَقَا} في رحلة المعرفة لاكتشاف أسرار القدر {حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا}.

- كان موسى يعبر عن حكم الله الأمري حيث تحريم الله قتل النفس بغير حق، وكان الخضر يعبر عن حكمه القدري فيما قضى الله على الغلام بالموت لحكمة.

- ما زالت العقول في حيرة كيف يبتلي الله الإنسان بالحياة بالتكليف ويقبض بعض النفوس قبل البلوغ فلم يتحقق اختبارها ولا قامت حجة الله عليها؟

- ما زال الموت يكدر الحياة فلا تسعد نفس وهو وراءها حتى صار الموت ذاته فتنة للعقول والنفوس قبل وفاتها وحتى قيل ما الحكمة من الحياة ذاتها!

- لم يسأل موسى الخضر عن الحكمة من قتل الغلام ولماذا؟
- بل سأله كيف فعل مثل هذا؟
- فنظر موسى لظواهر الأقدار لا لحكمتها وللبدايات لا للغايات.

- اعتذر موسى للخضر عن عدم الصبر وأن تكون هذه آخر مرة يسأله أو يعترض عليه ثم انطلقا للاختبار الثالث مع أهل القرية.

- بنى الخضر جدار القرية قبل انهياره مع أن أهل القرية لم يطعماهما، فعجب موسى من فعله فقال {لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا} لنشتري طعاما نأكله.

- بدا موسى في المرة الأخيرة أكثر تريثا فلم ينكر على الخضر كما فعل في المرتين الأوليين، وكان اعتراضه اقتراحا يرى أنه أكثر حكمة وأحسن تصرفا.

- هنا كان الخضر قد وفى بوعده لموسى باصطحابه في رحلته ليكشف له عن أسرار إرادة الله القدرية كما في الأثر (القدر سر من أسرار الله) وحكمته.

- بعد الاختبار الثالث أعذر الخضر من موسى {قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ} وأخبره عن الحكمة والغاية من وراء خرق السفينة وقتل الغلام وبناء الجدار.

- الفراق مشتقة من فرق الشيء فصله وأبانه وميزه عن غيره، وقد أبان الاختبار في المرات الثلاث عن طبيعة علم موسى بأحكام الله وعلم الخضر بحِكمه.

- قال الخضر لموسى {هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ} فلا نستطيع الوقوف على أسرار الله في قدره ومعرفة حِكَمه في قضائه في خلقه إلا بالصبر على تأملها.

- **قال الخضر لموسى {سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا} وآل الشيء يؤول انتهى إلى غايته ومآله والحكمة منه والتي قد تختلف عن بوادره وظواهره.**

- **أخبر الخضر بأنه خرق السفينة لأنها {فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا} ولا يأخذ ما يعاب.**

- **بدا خرق السفينة في ظاهره شرا سيؤدي إلى غرقها وغرق أهلها، وانتهى بها إلى إنقاذها وإنقاذ أهلها من الملك الظالم الذي يغتصب السفن الصالحة.**

- **أخبر الخضر بأن الغلام كان {أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا} بحق والديه {فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا}.**

- **بدا قتل الغلام شرا في نظر والديه وقدرا سيئا، مع أنه لو عاش لكان شقاء لهما فكانت وفاته صغيرا رحمة من الله بهما حين أبدلهما الله خيرا منه.**

- **بنى الخضر الجدار بلا أجرة؛ لأنه ليتيمين بالقرية، وكان تحته كنز تركه لهما أبوهما الصالح حتى يبلغا ويأخذاه ولو انهار الجدار لنهبه الناس.**

- **بدا بناء الخضر لجدار غير معروف صاحبه بلا أجرة مع شدة جوعهما وحاجتهما للأكل وعدم إكرام أهل القرية لهما فعلا بلا حكمة وانتهى غاية الحكمة.**

- **خرق السفينة يمثل ما يصيب كل إنسان من سوء ظاهر في بدنه وماله وملكه**
  وقتل الغلام يمثل فقد الإنسان لولده
  وقصة اليتيمين تمثل فقد الوالدين.

- **تستغرق الصور الثلاث كل أقدار الله للإنسان من عوارض سوء وشر في حياته، من خسارة ونقص في مال أو نفس أو ولد أو والد وكلها تنتهي بحكمة وغاية.**

- **أقدار الله هي أفعاله وأحكام الله هي كلماته**
- **وكلها حق وعدل وصدق وكلها في غاية الحكمة**
- **وإن لم تحط العقول بأحكامه علما ولم تطق لأقداره صبرا.**

- **أراد الله أن يري موسى بعض أسرار أحكامه القدية الكونية بعد أن أوحى إليه ببعض أحكامه الشرعية إذ كلاهما تأولان إلى غاية الحكمة وإن خفيت.**

- **ألقت أم موسى وليدها بالبحر وخشيت عليه الغرق فأخذه آل فرعون فكانت نهايتهم**

- وخرق الخضر السفينة فخشي موسى غرق أهلها فكان ذلك سبب نجاتهم.

- ضرب موسى المصري فقتله بلا قصد وشق عليه فكان نجاته {فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا} وقتل الخضر الولد وكان فتنة لوالديه، فصار نجاة لوالديه.

- سقى موسى غنم المرأتين بلا أجرة وتولى إلى الظل فقيرا فكان عاقبة ذلك خيرا وكذا بنى الخضر الجدار بلا أجرة في أشد الحاجة فكان عاقبته خيرا.

- قال الخضر معللا ما فعله في المرات الثلاث من خرق وقتل وبناء {وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي} بل عن أمر الله بإلهامه؛ لإعلام موسى بسعة علم الله.

- كل ما يحدث في الوجود من موت وفناء وهدم وبناء وإفساد وإصلاح وخير وشر وإيمان وكفر مهما احتارت في فهمه العقول هو بقدر الله وبعلمه وحكمته.

- قوله: {وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي} تنبيه لموسى بأن الله يلهم أولياءه الرشد {تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا} بأنواع من الوحي الخفي كما أوحى إلى أم موسى نفسه.

- الإلهام وحي خفي وتحديث من الله لأوليائه بتوفيقهم الرشد، ففي الصحيح: (كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به) (إن يكن منكم محدثون فعمر).

- قصة الخضر تجيب عما قبلها {وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا} الذي يثير سؤالا مشكلا وهو ما الغاية من دعوتهم وإرسال الرسل إليهم إذا.

- في القصة تسلية للنبي ﷺ وتنبيه له على الغاية من ابتلاء الله للمؤمنين والمستضعفين وإملاء الله للمشركين والظالمين وأن ذلك اختبار وفتنة لهم.

- {فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا}
{وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ
وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ
وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}

- في قصة الخضر إشارة إلى أن العلم كما يستفاد من وحي الله للأنبياء في الكتاب المسطور يستفاد أيضا بتأمل أفعال الله في كتاب الكون المنظور.

- استفادة موسى المعرفة ممن هو أدنى منه إشارة لقصور علم البشر وحاجتهم للعلم {وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا} خاصة الدنيوي (أنتم أعلم بأمور دنياكم).

- اغترار الإنسان بعلمه من أسباب إعراضه عن الحق {ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ} {فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ} {إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ} واختبار.

- ونكمل قصة ذي القرنين وهي الفتنة الرابعة وهي فتنة الملك والسلطة!
{وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا. إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَءاتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا. فَأَتْبَعَ سَبَبًا}

- قوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا} من الإعجاز الخبري إذ سأل علماء أهل الكتاب محمدا الأمي عن خبر لا يحيط به إلا نبي!

- قص القرآن خبر ذي القرنين في سورة الكهف وهي فتنة الملك بعد أن تحدث عن خطر فتنة المجتمع والبيئة ثم فتنة المال والدنيا ثم فتنة العلم والمعرفة!

- تدرجت سورة الكهف في تفصيل أنواع الفتن من أول ما يعرض للإنسان وهو فتى بالافتتان بمجتمعه ثم بالمال بعد كسبه ثم بالعلم بعد تحصيله ثم السلطة!

- ذو القرنين هو الملك الفارسي قورش الكبير الذي كانت أمه يهودية فآمن وكان اليهود يعظمونه حين من عليهم وأطلقهم من الأسر البابلي وأعادهم لديارهم.

- قال تعالى عن ذي القرنين {إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ} وهو تمكين الملك وقد يكون تمكينا كليا كما هنا أو جزئيا كيوسف {مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ} بالوزارة.

- التمكين بالملك كله بقدر الله سواء مكن المؤمنين به أو الكافرين كما قال عن النمرود {أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ} مع أنه تمكن بغير إذن من الله فهو طاغية؟

- التمكن بالملك قد يكون مشروعا وهو ما كان بوحي من الله كملوك بني إسرائيل {قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا}، وما كان بإذن الله وشرعه كخلافة النبوة بالشورى.

- جاء في الصحيحين: (إن بني إسرائيل كانت تسوسهم الأنبياء وإنه لا نبي بعدي وسيكون خلفاء) فكل ملك بوحي من الله أو بشرعه فهو تمكن وملك مشروع.

- كل تمكن وملك في الأرض بغير وحي من الله وبلا إذنه وشرعه كحال فرعون إذ قال: {أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ} فهو تمكن جبري طاغوتي وملك ممنوع غير مشروع.

- مكن الله ذا القرنين بالملك في الأرض حتى بلغ سلطانه أقصى الغرب وأقصى الشرق {وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا. فَأَتْبَعَ سَبَبًا} وأخذ بالعلوم وأسباب القوة.

- لم يقتصر ذو القرنين على ما آتاه الله من الإمكانات وهيأ له من الثروات الطبيعية، بل أخذ الأسباب العلمية التي تعين على اكتشاف خصائصها واستثمارها.

- في سورة الكهف إشارة للنبي ﷺ وأصحابه بأن حالهم بدأ بمكة كحال فتية الكهف مضطهدين فارين بدينهم وسينتهي بالظهور والتمكين في الأرض كحال ذي القرنين!

- تطابق حال الصحابة في بداية الدعوة في مكة وحال فتية الكهف واستضعافهم، وفي المدينة بحال ذي القرنين وما مكن الله لهم في الأرض باستخلافهم.

- أشارت سورة الكهف في أولها إلى آداب المؤمنين في مواجهة الفتن وأحكام الاستضعاف، وفي آخرها إلى آدابهم في حال التمكين لهم وأحكام الاستخلاف.

- بلغ ذو القرنين مشارق الأرض ومغاربها، وهو ما بشر به النبي ﷺ أصحابه (إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي منها).

- أخذ ذو القرنين بكل أسباب القوة التي مكنه الله منها واتبع طرق العلم والمعرفة التي سخرت له استخدام أهم المعادن آنذاك وهي الحديد والنحاس.

- مكن الله ذا القرنين بالعلم والقوة فامتد سلطانه إلى أقصى المغرب {حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ} حيث البحر المحيط والأفق البعيد.

- بلغ ذو القرنين أقصى مكان في جهة الغرب وانتهى إلى البحر حيث تبدو الشمس في الأفق البعيد حين غروبها وهي تتوهج كأنما تغوص في عين ماء تغلي.

- غروب الشمس وهي أكبر الظواهر الكونية الفلكية المشاهدة وتواريها خلف الأفق على هذا النحو المدهش كل يوم دليل على عظمة خالقها وعلى بطلان عبادتها.

- افتتن البشر قديما بعبادة الظواهر الفلكية خاصة الشمس ظنا منهم أنها أصل الوجود والحياة فشاهدها ذو القرنين كيف تغيب وتأفل في عين حمئة أكبر منها.

- وجد ذو القرنين في أقصى الأرض غربا حيث مغرب الشمس شعوبا همجية بعيدة عن أسباب العلم والهداية تحتاج إلى من يسوسها ويقيم فيها أحكام العدل.

- قوله تعالى: {قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا} دليل على أنه ملك مؤمن يتبع نبيا يوحى إليه من أنبياء بني إسرائيل في عصره.

- شرع الله الأحكام التي تساس بها تلك الشعوب لتستقيم أحوالهم بالثواب والعقاب بالعدل {قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا}.

- أقام ذو القرنين حكم الله في القوم وبدأ بالظالمين منهم وما يستحقونه من عقاب بحزم {قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا}.

- عامل ذو القرنين أهل الإيمان والإصلاح معاملة حسنة كما هو جزاؤهم في الآخرة {وَأَمَّا مَنْ ءامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاء الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا}.

- {ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا. حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا. كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا}.

- بعد أن امتد سلطان ذي القرنين غربا وبسط في شعوبه العدل اتجه لشمال الشرق {حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرا}.

- الحديث عن الشمس {وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ} {وَجَدَ عِندَهَا قَوْما} {بلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُع} يؤكد أن رحلة ذي القرنين أول رحلة علمية استكشافية للأرض.

- عرف ذو القرنين في رحلته الاستكشافية بما آتاه الله من سلطة وقوة وعلم:
  جغرافيا الأرض
  وطرقها غربا وشرقا
  وحياة شعوبها وأحوالهم
  والظواهر الفلكية.

- كما قص القرآن بالحق خبر أهل الكهف وبالعلم {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِ} {قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا} {كَذَلِك} ذو القرنين {وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرا}.

- ظل شروق الشمس وغروبها أهم الظواهر الكونية حتى عبدتها الأمم {وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ} فكان الاستكشاف واتباع الأسباب طريق للعلم والمعرفة.

- امتن الله على الخلق بالشمس وتسخيرها {وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ} وفق سنن ونواميس لا تتخلف عن وقتها {الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ} وبلا حول ولا قوة من الإنسان.

- أمر الله عباده بشكره وتوحيده والتفكر في عظمة خلقه وتسخيره كل شيء لهم {لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا للهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إن كُنتُمْ إيَّاهُ تَعْبُدُون}.

- هذه الشمس -التي تمد الأرض بأسباب الحياة ضوءا وطاقة ودفأ ولا يستطيع البشر كلهم مهما أوتوا من قوة أن يؤثروا في حركتها وهي سر بقائهم- مسخرة لهم!

- حين حاج الملك الطاغية إبراهيم وزعم أنه يحيي ويميت قال له إبراهيم {فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَر} وظهر عجزه.

- كما سخر الله الشمس لكل أهل الأرض مع اتساعها سخرها لأهل الكهف في أضيق مكان {وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِم} {وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَال}.

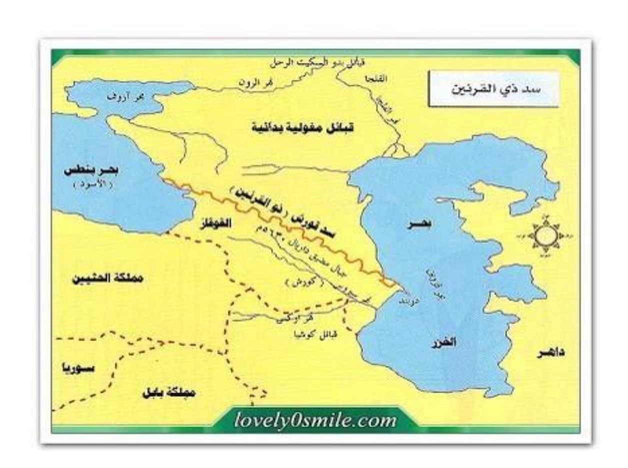
- وجد ذو القرنين في أقصى الشمال الشرقي حيث تطلع الشمس دائما شعوبا بدائية تعيش في العراء {لَمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرا} فهم بلا ليل يسترهم منها.

- أخبر الله بأنه جعل {اللَّيْلَ لِبَاسًا} يستر عن الشمس ونورها ويحجب حرها بينما قال هنا {لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا} فلا ليل لهم يسترهم بل نهار دائم.

- نكمل قصة ذي القرنين وبناء الردم.
{حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا. كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا. ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا. حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلا. قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا. قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا. آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا. فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا. قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا}.

- لم تذكر سورة الكهف ما عمل ذو القرنين مع القوم الذين لم يكن لهم من دون الشمس سترا، ما يرجح أنهم أمم بدائية لا تسعفهم البيئة لبناء حضارة ومدنية.

❁ رجع ذو القرنين من أقصى شمال الشرق {حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ} أي: جبلين في سلسلة جبال أرمينيا بين بحر قزوين والبحر الأسود، روى محمد بن جرير الطبري بسنده عن ابن جريج عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس {حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ} قال: (الجبلين الردم الذي بين يأجوج ومأجوج، أمتين من وراء ردم ذي القرنين: قال: الجبلان: أرمينية وأذربيجان) (تفسير الطبري ١٨ / ١٠٢).



❁ وصل ذو القرنين لجبلين كانا يشكلان سدا وحاجزا طبيعيا و{وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا}؛ لتخلفهم عن أسباب العلم والحضارة؛ لبدائيتهم.

❁ قالوا يا ذا القرنين {إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ} وهي أمم في الشمال الشرقي {مُفْسِدُونَ} بالحروب {فِي الْأَرْضِ} أي: على الأرض؛ فهم من البشر.

❁ طلبت الشعوب الضعيفة من ذي القرنين أن يبني بينهم وبين شعوب يأجوج ومأجوج سدا {فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا} يمنع من عدوانهم.

❁ رفض ذو القرنين أن يأخذ من الشعوب الضعيفة مالا مقابل بناء السد {قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ} وهو العلم {فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ} فأراد منهم الأيدي العاملة.

❁ قام ذو القرنين ببناء ردم لا بناء سد كما طلبوا {أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا} لا تؤثر فيه الزلازل ولا السيول كما يحدث للسدود فردم الصخور فوق بعضها.

❁ ساوى ذو القرنين بين حافتي الجبل بالصخور المردومة وأذاب بينها الحديد المصهور {آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ} ثم سبكه بالنحاس المذاب {آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا}.

❁ أراد ذو القرنين أن يكون الردم للطريق بين الجبلين مانعا من عبور قبائل يأجوج ومأجوج للجنوب {فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا}.

- حديث القرآن عن ذي القرنين والأمم الضعيفة والأمم الهمجية المفسدة في الأرض يؤكد أن يأجوج ومأجوج بشر يعيشون على الأرض وليسوا قضية غيبية كما يظن.

- الموضوع الغيبي في شأن يأجوج ومأجوج هو وقت خروجهم على الأمم ليفسدوا في الأرض كعادتهم ويدمروا الحضارة الإنسانية كما هو شأنهم طول تاريخهم.

- وصف يأجوج ومأجوج بأنهم {مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ} يؤكد بأن الإفساد طبيعة أصيلة في سلوكهم لوحشيتهم ولهذا قال ذو القرنين عن الردم {هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي}.

- ظل الردم الذي بناه ذو القرنين رحمة للشعوب الضعيفة جنوب السد مانعا من عبور قبائل الشمال نحوهم مدة ألفي عام تقريبا حتى خرجوا بقيادة جنكيز خان.

- شن جنكيز خان أشرس حروب عالمية وعبر بقبائله نحو الجنوب ودمر حضارات كبرى حتى اشتهر عنه قوله: (أنا عقاب الرب فأي جرم فعلتم لتستحقوا عقابه)!

- إذا كان ذو القرنين يمثل الملك العادل الذي يصلح في الأرض ويعمرها ويقيم العدل في شعوبها {رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي} فإن الطغاة يمثلون العذاب والشقاء للبشرية.

- نكمل بإذن الله نظرات قرآنية في خواتيم سورة الكهف وما فيها من إشارة للفتن الكبرى قبيل الساعة
{قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا. وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا}

- قال ذو القرنين بعد بناء الردم {هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي} الذي آتاني من الملك والقدرة العلمية والمادية ما أعانني على إتمامه لمنع عدوان يأجوج على غيرهم.

- الوعد في قوله: {فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي} هو المذكور في سورة الأنبياء {حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ. وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَق} أي: القيامة.

- مما يرجح أن الوعد المذكور هو وقت خروج يأجوج على الأمم وتدميرهم للحضارة الإنسانية قبيل الساعة التوافق الرقمي ٩٦ في سورة الكهف والأنبياء.

- آية ٩٦ في سورة الكهف تحدثت عن بناء ذي للقرنين للردم وإحكامه وإتقانه {ءاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا}

❁ ثم جاءت سورة الأنبياء بعدها في آية ٩٦ لتتحدث عن انفتاح يأجوج على العالم {حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ}.

❁ تضمنت آية {فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي} الإشارة للوعدين بدك الردم لخروج يأجوج على العالم وكذلك دك الجبال على الأرض كلها وهو يوم القيامة؛ لتلازم الحدثين.

❁ وعد الله في كتب الأنبياء بخروج أمتين:
١ـ أمة الإيمان؛ لهداية الأمم {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} ولرحمتهم.
٢ـ أمة يأجوج؛ لفتنة الأمم وعقابها.
فخرجتا.

❁ خرجت أمة الإيمان ببعثة محمد ﷺ فملأت الأرض عدلا ورحمة ونورا وخرجت أمة الطغيان بظهور جنكيز خان فكانت عذابا ودمارا للإنسانية!

❁ أخبر النبي ﷺ بالمواجهة بين الأمتين فقال: (ويل للعرب من شر قد اقترب فتح من ردم يأجوج ومأجوج) وكان ظهور المغول سنة ٦٥٦هج نهاية لسيادة العرب وحضارتهم.

❁ سئل النبي ﷺ عن فتنة يأجوج حين يظهرون على العرب ويخصهم الله بعذابهم وأسبابه فقيل: (أنهلك وفينا الصالحون)؟ قال: (نعم، إذا كثر الخبث) وهو ما حدث فعلا.

❁ أخبر النبي ﷺ بوقوع القتال بين أمته ويأجوج ومأجوج (لا تزالون تقاتلون عدوا حتى تقاتلوا يأجوج) كما أخبر عن خروج يأجوج الأخير قبيل نهاية العالم.

❁ ظهور أمتي يأجوج ومأجوج بين يدي الساعة هو نهاية للحضارة الإنسانية؛ فيقضون عليها ولا تكون بينهم وبين المؤمنين قتال؛ بل يتحصنون حتى يفنيهم الله.

❁ نستأنف بإذن الله نظرات قرآنية في العشر الآيات الخاتمة من سورة الكهف
{قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّيۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا. وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا. وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا. الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا. أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاء إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلا. قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالا. الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا. أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا. ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلا. خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلا. قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا

لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا. قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}.

- ورد في الصحيح أن سورة الكهف عصمة من فتنة الدجال؛ ففي أولها تحذير من زينة الدنيا وفتنتها، وفي آخرها تحذير من نهايتها.

- الدجال هو أشد فتنة تحدث في الأرض وإنما يفتن أتباعه ومن أطاعه بالدنيا وزخرفها وزينتها ويفتن أعداءه بالعذاب والقتل!

- من عرف حقيقة الدنيا وزينتها ونجا من فتنتها {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً. وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا} نجا من آخرتها.

- من نجا من فتنة الدنيا وزينتها بالإيمان بالله ولقائه لم تضره فتنة الدجال ولهذا استعاذ النبي ﷺ: (من فتنة المحيا والممات وفتنة المسيح الدجال)!

- ذكر في أول الكهف الغاية من فتنة الدنيا {لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً} وفي آخرها ما يحقق النجاة منها: الإيمان والعمل الصالح {فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}.

- ليس مع الدجال آخر الزمان أو الدجاجلة من الأئمة المضلين أو أمة الدجال التي تدعي المسيح كذبا إلا جنة الدنيا وفتنتها، قال ﷺ: "أنذرتكم فتنة الدجال، فليس من نبي إلا أنذره قومه أو أمته، وإنه آدم جعد أعور عينه اليسرى، وإنه يمطر ولا ينبت الشجرة، وإنه يسلط على نفس فيقتلها ثم يحييها ولا يسلط على غيرها، وإنه معه جنة ونار ونهر وماء وجبل خبز، وإن جنته نار وناره جنة، وإنه يلبث فيكم أربعين صباحا، يرد فيها كل منهل إلا أربع مساجد: مسجد الحرام، ومسجد المدينة، والطور، ومسجد الأقصى، وإن شكل عليكم أو شبه، فإن الله ليس بأعور" مسند أحمد ط الرسالة (٣٩/ ٨٩)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان فيكون بينهما مقتلة عظيمة، دعواهما واحدة، ولا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون، قريبا من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله» البخاري (٤/ ٢٠٠)

وعن نافع بن عتبة، قال: كنا مع رسول الله ﷺ، في غزوة، قال: فأتى النبي ﷺ، قوم من قبل المغرب، عليهم ثياب الصوف، فوافقوه عند أكمة، فإنهم لقيام ورسول الله ﷺ قاعد، قال: فقالت لي نفسي: ائتهم فقم بينهم وبينه لا يغتالونه، قال: ثم قلت: لعله نجي معهم، فأتيتهم فقمت بينهم وبينه، قال: فحفظت منه أربع كلمات، أعدهن في يدي، قال: «تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال

فيفتحه الله» قال: فقال نافع: يا جابر، لا نرى الدجال يخرج، حتى تفتح الروم. صحيح مسلم (٤/ ٢٢٥)

- من تدبر سورة الكهف تبين له طريق النجاة من كل فتن الدنيا وزينتها والمحيا والممات والغنى والفقر وفتنة الدجال بكل صوره! عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم، والمغرم والمأثم، اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار وفتنة النار، وفتنة القبر وعذاب القبر، وشر فتنة الغنى، وشر فتنة الفقر، ومن شر فتنة المسيح الدجال، اللهم اغسل خطاياي بماء الثلج والبرد، ونق قلبي من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب» البخاري (٨/ ٨٠)

- ذكرت السورة نهاية العالم وأن الله قبيل القيامة يترك الخلق يموج بعضهم ببعض أشد ما تكون الفتن بينهم كتلاطم موج البحر! {وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا}.

- {فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا}
{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا}
{وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا}

- التأكيد بالمصادر {جعله دكا} كما في قراءة و{فجمعناهم جمعا} {وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا} يفيد -بإجماع النحاة- الحقيقة لا المجاز.

- أكد الأفعال بالمصادر؛ لدفع الشك، وإفادة اليقين بوقوع البعث والنشور والحشر والحساب يوم القيامة حقيقة لا مجازا، وأنه بعث جسماني لا روحاني فقط!

- مع إيمان أكثر الخلق بالله الخالق كما مشركي العرب إلا إنهم كانوا في شك من البعث والنشور؛ وكذا حال كثير من أهل الأديان!

- عرض جهنم على الكافرين وعرضهم عليها يكون في القبر والبرزخ {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ} وقبيل دخولهم النار {يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا}!

- عرّف الله الكافرين بأنهم {الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي} وهو كل ما يرونه من آياته الكونية التي تذكرهم بخالقها؛ فلا يستبصرون ولا يتذكرون!

- كل مخلوق في هذا الوجود هو ذكرى وتذكرة وتذكير تهتف لكل من رآها بالحقيقة التي لا يمكن للعقل السوي دفعها وهي ذكر الله الذي خلقها وأبدعها وصورها!

- كل آيات الله الإنسانية والكونية والقرآنية ذكرى للبشر تذكرهم بالحكمة من وجودهم وبدايتهم ونهايتهم ولهذا يستثير القرآن عقولهم بها {أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ}!

- الذكرى والذكر وردت في القرآن نحو ٢٠٠ مرة لتأكيد أن الإنسان مفطور على الإيمان بالله ولا يحتاج عقله إلا إلى تذكر ما نسيه وأعرض عنه اتباعا لهواه!
{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ}
{فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ}

- {وَكَانُوا لاَ يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا}؛ تنبيه على أن من لم تذكره بالله آياته الكونية وما يبصره في نفسه وفي الوجود من حوله لن يتذكر بآياته السمعية القرآنية

- حين تعرض عليهم جهنم ويعرضون عليها يرون الحقيقة -التي طالما كفروا بها- رأي العين {فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ} ويسمعون ما كانت آذانهم في صمم عن سماعه!

- جاءت خواتيم سورة الكهف كالإجابة عن مجمل فواتحها؛ فبدأت بتمجيد كتاب الله، {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا}، وختمت بتمجيد كلمات الله التي لا تنفد؛ والقرآن منها {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا}.

- جاء في أول الكهف قوله تعالى: {لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ} وجاء في خاتمتها بيان هذا البأس الشديد والعذاب الأليم لمن كفر بالله {وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا. الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لاَ يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا}.

- ذكر في أول السورة بشارة مجملة: {وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا. مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا}؛ وجاءت خاتمة السورة ببيان أنه الخلود في الفردوس {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً. خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً}.

- ذكر في أول الكهف فرية الذين {قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا} كالمسيح؛ وفي آخرها ندد بهم وذكر عقوبتهم {أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً}.

- {أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ} أفحسب؛ بمعنى: أفظنّ؟
- وقرئت كاسم بسكون السين {أفحسْب} بمعنى؛ أكاف لهم اتخاذهم عبادي أولياء من دوني؟ كلا!

- {أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً}
- يدخل في هذا الوعيد؛ كل من اتخذ من دون الله أولياء؛ يتولاهم بالعبادة لهم، أو الطاعة لأمرهم فيما حرم الله كالرؤساء، أو الاتباع لقولهم كالعلماء، {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ} قال عدي بن حاتم: (يا رسول الله إننا لم نعبدهم) فقال النبي ﷺ: (ألم يكن يحرمون عليكم الحلال ويحلون لكم الحرام؛ فتطيعوهم؟) قال: بلى!، فقال النبي ﷺ: (فتلك عبادتهم).

- ذمّ الله من اتخذوا من دونه أولياء يعبدونهم حتى لو كانوا كواسطة بينهم وبينه ﷻ {أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}.

- ذمّ الله من اتخذوا أولياء من دونه يتبعونهم ويطيعونهم من رؤساء وعلماء {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ} فيضلونهم! ويوم القيامة يقولون: {رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاَ. رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا}.

- ذمّ الله من اتخذوا أعداء الله ودينه؛ أولياء ينصرونهم ويقاتلون معهم المؤمنين {وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ}!

- كما ذمّ الله من اتخذوا أعداءه من دونه أولياء يرجون عندهم الهداية إلى ما فيه صلاحهم {إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ}!

- كل من اتخذ وليًا من دون الله يدعوه أو يرجوه أو يرهبه أو يرغبه أو يعبده أو يتبعه أو يطيعه؛ فهو من الأخسرين أعمالا
{أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً. قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً. الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا}.

- أمر الله بإفراده وحده بالولاية كلها وتوحيده بها، ونعى على المشركين اتخاذهم أولياء من دونه فقال: {أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ} وحده!

- وصف الله الأخسرين أعمالا بأنهم الذين ضل سعيهم وبطل عملهم يوم القيامة واضمحل؛ وهم يظنون أنهم أحسنوا صنعا في حياتهم الدنيا!
{قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً. الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا}.

- الأخسرين أعمالا من ضلوا عن الصراط وضل عملهم كما في سورة الفاتحة: {اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ}!

- صار الضالون أشد خسرانا من المغضوب عليهم يوم القيامة من حيث أنهم يظنون حسن العاقبة يوم القيامة؛ بخلاف المغضوب عليهم!

- المغضوب عليهم قالوا: {لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً}، بخلاف من اتخذوا أولياء من دون الله كالمسيح؛ طمعا بالفوز والنجاة!

- {أولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ} مع أن الضالين يؤمنون بالله ولقائه؛ فقد نزلهم منزلة من كفر باتخاذهم أولياء دونه!
{أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً. قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً. الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا. أولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ}.

- قوله: {فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا}؛ يؤكد أنهم كانوا يطمعون بالمكانة عند الله يوم القيامة باتخاذهم الأولياء تزلفا لله.

- إذا كان هذا حال الأخسرين أعمالا الذين يعبدون الله ويتخذون معه أولياء من دونه ليقربوهم إليه زلفا؛ فحال من جحدوا به أشد!

- أبطل الله الوسائط بينه وبين عباده {أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}.

- إذا كان هذا حال من اتخذوا عزيرا أو المسيح أو غيرهم من الأنبياء والصالحين أولياء دون الله؛ فكيف بمن تولى فرعون والطغاة!
{النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ . وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ . قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ}.

- إذا كان من اتخذ الأنبياء أولياء من دون الله يدعوهم ويرجوهم من الأخسرين أعمالا؛ فمن تولى الطغاة والظالمين أشد عذابا!
{مِّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلاَ يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا وَلاَ مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}

{وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ . إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ. وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِيْنَ مِنَ النَّارِ}.

- بشر الله المؤمنين بأربع بشارات؛
  بالجنات وبهجتها،
  وبالفردوس ونعيمها،
  وبالخلود فيها،
  وبالسعادة الغامرة التي لا يبغون غيرها.
  {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ۝ خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً}

- جعل الله شرط دخول الفردوس:
  ١- التصديق بالإيمان به وبالغيب كله،
  ٢- والتطبيق لحقيقة الإيمان بالعمل الصالح،
  ٣- والتحقيق بالتوحيد وعدم الإشراك به.
  {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}

- مجدت السورة كلمات الله التي لا تنفد، وتعم كلماته القدرية الكونية التي يخلق بها، وكلماته الشرعية البيانية التي يهدي بها
  {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا}
  {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ۝ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى}

- كلمات الله التي يخلق بها ويهدي بها صفة من صفاته التي لا يحيط بكنهها وحقيقتها إلا هو؛ ولهذا كان النبي ﷺ يستعيذ بها "أعوذ بكلمات الله التامات"!

- وصف القرآن النبي ﷺ بأبرز صفاته في سياق إثبات رسالته للعالمين {فَآمِنُوا بِاللهِّ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِّ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}!

- التنويه بالنبي ﷺ وأنه {يُؤْمِنُ بِاللهِّ وَكَلِمَاتِهِ} الكونية والبيانية والأمر باتباعه لتحقق الهداية؛ تأكيد على عظيم شأن كلمات الله وضرورة الإيمان بها!

- كلمات الله التي يؤمن بها النبي ﷺ ودعا إلى الإيمان بها تعم هداياته البيانية وهي القرآن وكتب الله {اللهُّ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ

ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ}، والكونية التي تقع بها أقداره وهي {كُنْ فَيَكُونُ}!
{إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ}
{إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}.

- من صدّق بكلمات الله؛ حقق الإيمان والتوحيد الوارد بقوله: {أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ}؛ فلا يخرج شيء في الوجود عن قضائه وقدره، ولا يستغني عن هدايته وأمره!

- وصف الله كلماته بالكمال المطلق الذي لا ينفد ولا يطرأ عليه نقص، وبالصدق الذي لا يشوبه شك، وبالعدل الذي لا يعتريه ظلم {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ}.

- لا تتبدل كلمات الله القدرية الكونية {أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ} ولا كلماته البيانية {وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ}!

- وردت نسبة الكلمات إلى الله بكل صيغة وبكل مصادرها واشتقاقها بما ينفي عنها المجاز؛ كقال الله {قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ} ويقول {وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} وقوله الحق {وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ} وكلم الله {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} ويكلم {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ} وكلام الله {حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللَّهِ} وكلمته {إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ}.

- لما كانت الشبهة التي تحول بين المشركين والإيمان بالوحي والكتب والرسل هو تصورهم استحالة خطاب الله لعباده؛ صار التصديق بكلماته قطب رحى الإيمان!

- من الناس من يقر بوجود الله ولا يؤمن بإمكانية الوحي وخطاب الله لعباده بالرسل والكتب فأثبت القرآن حقيقة كلمات الله التي لا تنفد كصفة من صفاته.

- ورد في القرآن {حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللَّهِ} {وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ} {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} فأبطل كل شبهة لمن نفى عن الله وحيه.

- لما كان وجود الفردوس والخلود فيها لا يتم إلا بكلمات الله الكونية ولا يتم دخولها والاهتداء إليها إلا بكلماته وهدايته البيانية؛ نوهت السورة بها.
- {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ۝ خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً}.

- إذا كانت جهنم جزاء من اتخذوا مع الله أولياء يتبعونهم وأربابا يطيعونهم وشركاء يعبدونهم؛ فالفردوس جزاء من اتخذوا الله وحده وليهم وربهم ومعبودهم.

- جنات الفردوس هي أعلى الجنة وأوسطها وأكرمها وذكرت جنات بصيغة الجمع؛ لأن لكل مؤمن جنته في الفردوس، وتتفاوت درجات جناتهم بتفاوت أعمالهم الصالحة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من آمن بالله وبرسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها»، فقالوا: يا رسول الله، أفلا نبشر الناس؟ قال: «إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله، فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة - أراه - فوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة» رواه البخاري

عن أنس رضي الله عنه قال: أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام، فجاءت أمه إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب، وإن تك الأخرى ترى ما أصنع، فقال: «ويحك، أوهبلت، أوجنة واحدة هي، إنها جنان كثيرة، وإنه في جنة الفردوس» رواه البخاري

- في أوائل الكهف الأمر بتلاوة كلمات الله التي لا تتبدل

{وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ}

وفي آخرها تمجيد لها؛ لعدم انتهائها

{قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا}.

- لما نوه بكلماته التي لا تنفد ومنها القرآن الذي أوحاه إلى محمد ﷺ؛ نبه إلى الفرق بين الرب والعبد {كَلِمَاتُ رَبِّي} فالنبي ﷺ عبدٌ لله؛ فهو ربه ورب كل شيء.

- حددت السورة طبيعة النبي وبشريته {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ} ليس لي من الألوهية والربوبية والأمر شيء بل بشر مثلكم إلا الاصطفاء بالنبوة {يُوحَىٰ إِلَيّ}.

- جحد فريق إمكانية الوحي والنبوة؛ فضلّوا، وقابلهم فريق آخر ألّه الأنبياء واتخذهم أربابا مع الله؛ فضلّوا، وبينت السورة حقيقة كلمات الله وبشرية أنبيائه.

- ما زالت فتنة كثير من أتباع الأنبياء في إطرائهم واعتقاد ألوهيتهم كأتباع المسيح؛ فأكدت السورة بشرية محمد {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ}.

- بعد تعريف النبوة وإثبات حقيقتها وأنها وحي من الله بكلماته لبشر من عباده؛ حدد غايتها وهو إخلاص العبودية لله وحده {يُوحَىٰ إِلَيّ أَنَّما إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ}.

۞ توحيد الله وطاعته والإسلام له هو الغاية التي خلق الله الإنسان من أجلها، وأرسل الرسل لها، وبها النجاة من الفتن كلها {يُوحَىٰ إِلَيّ أَنَّما إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ}.

۞ {إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ} أي: معبودكم؛ ومنه قول بني إسرائيل لموسى {اجْعَل لَّنا إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ} أي: اجعل لنا معبودا، لا أنهم أرادوا أن يجعل لهم ربا خالقا رازقا.

۞ كان العرب يعرفون الله الخالق {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنّ اللهُ} وشركهم هو {أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَـٰهًا وَاحِدًا} أي: أجعل المعبودات معبودا واحدا!

۞ كان العرب ككل مشركي الأمم يتخذون وسائط بينهم وبين الله يدعونهم ويتوجهون إليهم تقربا بزعمهم إلى الله {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِّ زُلْفَى}!

۞ إله مشتقة من التأله وهو التعبد ألهَ العبدُ اللهَ إلهة وتألها وألوهية عبده عبادة ومنه قراءة ابن عباس ومجاهد {وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ} أي: عبادتك وطاعتك.

۞ إله، أي: مألوه معبود على وزن فعال بمعنى مفعول كإمام بمعنى مأموم ومؤتم به، والله مشتق من الإله وهو علم على أعرف المعارف

(وأل في الله إذا قلنا أصله الإلاه، قالوا للغلبة، إذ الإله ينطلق على المعبود بحق وباطل، والله لا ينطلق إلا على المعبود بالحق، فصار كالنجم للثريا. وأورد عليه بأنه ليس كالنجم، لأنه بعد الحذف والنقل أو الإدغام لم يطلق على كل إله، ثم غلب على المعبود بحق، ووزنه على أن أصله فعال، فحذفت همزته عال) البحر المحيط في التفسير (١/ ٢٨)

وجاء في لسان العرب: (والله: أصله إلاه، على فعال بمعنى مفعول، لأنه مألوه أي معبود، كقولنا إمام فعال بمعنى مفعول لأنه مؤتم به، فلما أدخلت عليه الألف واللام حذفت الهمزة تخفيفا لكثرته في الكلام، ولو كانتا عوضا منها لما اجتمعتا مع المعوض منه في قولهم الإلاه، وقطعت الهمزة في النداء للزومها تفخيما لهذا الاسم) (١٣/ ٤٦٩)

قال الطبري في تفسيره (١/ ١٢٣): (عن عبد الله بن عباس، قال: "الله" ذو الألوهية والمَعْبودية على خلقه أجمعين.

فإن قال لنا قائل: فهل لذلك في "فعل ويفعل" أصل كان منه بناءُ هذا الاسم؟

قيل: أمّا سماعًا من العرب فلا ولكن استدلالا.

فإن قال: وما دلّ على أن الألوهية هي العبادة، وأنّ الإله هو المعبود، وأنّ له أصلا في "فعل ويفعل".

قيل: لا تمانع بين العرب في الحكم لقول القائل ـ يصف رجلا بعبادة، وبطلب مما عند الله جل ذكره: "تألَّه فلان" ـ بالصحة ولا خلاف. ومن ذلك قول رؤبة بن العجاج:

للهِ دَرُّ الغانِيات المُدَّهِ ... سَبَّحْنَ واسْتَرْجَعْنَ مِن تَألُّهي

يعني: من تعبدي وطلبي اللهَ بعملي.

ولا شك أنّ "التألُّه"، التفعُّل من: "ألَه يأله"، وأن معنى "أله" - إذا نُطق به:- عَبَدَ اللهَ. وقد جاء منه مصدر يدل على أن العرب قد نطقت منه ب "فعل يفعل" بغير زيادة.
وذلك ما حدثنا به سفيان بن وكيع، قال حدثنا أبي، عن نافع بن عُمر، عن عَمرو بن دينار، عن ابن عباس: أنه قرأ (وَيَذَرَكَ وإلاهَتَكَ) قال: عبادتَك، ويقال: إنه كان يُعبَد ولا يَعبُد).

- لا إله إلا الله، أي: لا معبود للخلق حق تجب عليهم جميعا عبادته وطاعته إلا الله وحده {لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ}.

قال الطبري في تفسير {اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ}: (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: اتبع، يا محمد، ما أمرك به ربك في وحيه الذي أوحاه إليك، فاعمل به، وانزجر عما زجرك عنه فيه، ودع ما يدعوك إليه مشركو قومك من عبادة الأوثان والأصنام، فإنه لا إله إلا هو. يقول: لا معبود يستحق عليك إخلاص العبادة له إلا الله الذي هو فالق الحب والنوى، وفالق الإصباح، وجاعلُ الليل سكنًا، والشمسَ والقمر حسبانًا) (١٢/ ٣٢)

وقال في تأويل قوله عز وجل {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلا هُوَ}: (قد بينا فيما مضى معنى "الألوهية"، وأنها اعتباد الخلق. فمعنى قوله: "وإلهكم إلهٌ واحدٌ لا إلهَ إلا هو الرحمن الرحيم": والذي يستحق عَليكم أيها الناس الطاعة له، ويستوجب منكم العبادة، معبودٌ واحدٌ وربٌّ واحد، فلا تعبدوا غيرَه، ولا تشركوا معه سواه، فإنّ من تُشركونه معه في عبادتكم إياه، هو خَلقٌ من خلق إلهكم مثلكم، وإلهكم إله واحد، لا مثلَ لهُ وَلا نَظير.

وأما قوله: "لا إله إلا هو"، فإنه خبرٌ منه تعالى ذكره أنه لا رب للعالمين غيرُه، ولا يستوجبُ على العبادِ العبادةَ سواه، وأنّ كلّ ما سواه فهُم خَلقه، والواجبُ على جميعهم طاعته والانقيادُ لأمره، وتركُ عبادة ما سواه من الأنداد والآلهة، وهجْر الأوثان والأصنام. لأنّ جميع ذلك خلقُه، وعلى جميعهم الدينونة له بالوحدانية والألوهة، ولا تَنبغي الألوهة إلا له، إذ كان ما بهم من نعمة في الدنيا فمنه، دون ما يعبدونه من الأوثان ويشركون معه من الأشراك؛ وما يصيرون إليه من نعمة في الآخرة فمنه، وأن ما أشركوا معه من الأشراك لا يضر ولا ينفعُ في عاجل ولا في آجل، ولا في دنيا ولا في آخرة.

وهذا تنبيه من الله تعالى ذكره أهلَ الشرك به على ضلالهم، ودعاءٌ منه لهم إلى الأوبة من كفرهم، والإنابة من شركهم) (٣/ ٢٦٥- ٢٦٦).

- تأتي إله بمعنى الرب الذي له الطاعة والحكم كقول فرعون: {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي} و{أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى} أي: السيد الذي له طاعة شعب مصر والحكم عليهم.

- تطلق إله على المتبوع مطلقا {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـهَهُ هَوَاهُ} كقوله: {وَاتَّبَعَ هَوَاهُ} قال ابن عباس: الهوى إلهٌ معبودٌ من دون الله!

كما فسر النبي ﷺ لعدي بن حاتم عبودية اليهود والنصارى لأحبارهم ورهبانهم بأنها الطاعة والاتباع فيما حرم الله، كما في قوله تعالى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ

وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}:
(عن عدي بن حاتم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ "سورة براءة"، فلما قرأ: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله)، قلت: يا رسول الله، إما إنهم لم يكونوا يصلون لهم! قال: صدقت، ولكن كانوا يُحلّون لهم ما حرَّم الله فيستحلُّونه، ويحرّمون ما أحلّ الله لهم فيحرِّمونه.
عن السدي: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله)، قال عبد الله بن عباس: لم يأمروهم أن يسجُدوا لهم، ولكن أمروهم بمعصية الله، فأطاعوهم، فسمَّاهم الله بذلك أربابًا.
(اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله)، قال: لم يعبدوهم، ولكنهم أطاعوهم في المعاصي.
وأما قوله: (والمسيح ابن مريم)، فإن معناه: اتخذوا أحبارهم ورهبانهم والمسيحَ ابن مريم أربابًا من دون الله.
وأما قوله: (وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا) ، فإنه يعني به: وما أمر هؤلاء اليهود والنصارى الذين اتخذوا الأحبارَ والرهبان والمسيحَ أربابًا، إلا أن يعبدوا معبودًا واحدًا، وأن يطيعوا إلا ربًّا واحدًا دون أرباب شتَّى، وهو الله الذي له عبادة كل شيء، وطاعةُ كل خلق، المستحقُّ على جميع خلقه الدينونة له بالوحدانية والربوبية = "لا إله إلا هو"، يقول تعالى ذكره: لا تنبغي الألوهية إلا للواحد الذي أمر الخلقُ بعبادته، ولزمت جميع العباد طاعته = (سبحانه عما يشركون) ، يقول: تنزيهًا وتطهيرًا لله عما يُشرك في طاعته وربوبيته، القائلون: (عزير ابن الله)، والقائلون: (المسيح ابن الله) ، المتخذون أحبارهم أربابًا من دون الله) تفسير الطبري (١٤/ ٢١٣).

- قوله: {أَنَّما إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ} حصر للألوهية بالله وحده بأقوى أدوات القصر ونفي أي معنى من معاني الألوهية عمن سواه وهذا توحيد الله وإسلام الوجه له.

- الإيمان بوحدانية الله {إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ}؛ يقتضي ممن يؤمن بالله ويرجو لقاءه أن يعمل صالحا ولا يشرك بعبادة الله أحدا
{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}

- {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ} جواب الشرط {فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}؛ تأكيد على أن الإيمان بالله دون عمل صالح لا حقيقة له، ولا تتحقق به النجاة، ولا يصلح به رجاء لقاء الله!

- تحقق النجاة لمن يؤمن بالله ويرجو لقاءه مشروط بشرطين:
  ١- العمل الصالح؛ فلا يكفي الإيمان بلا عمل!
  ٢- والإخلاص به لله؛ فلا ينفع عمل مع الإشراك به!

- {وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}
{أَحَدًا} نكرة في سياق النهي؛ فتفيد العموم، فلا يُصرف شيء من العبادة والطاعة لغير الله لا لنبي ولا ولي ولا لميت ولا لحي!

- العبادة هي الطاعة، فكل ما تقرب به الإنسان من اعتقاد أو قول أو فعل، ظاهرا أو باطنا، وتوجه به إلى الله؛ رغبة ورهبة وتزلفا إليه؛ يحرم إشراك أحد معه.

- {فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا}
وصف العمل بالصالح قيد آخر، وأن يكون العمل صالحا مشروعا مما أمر الله به وشرعه لطاعته وعبادته؛ فلا يتقرب إليه إلا بما شرعه وأحبه وأرسل به رسله.

- الدعاء هو غاية العبادة ولبها وثمرتها وقلبها، كما في الحديث: (الدعاء هو العبادة)؛ فما عبد العابدون معبوداتهم إلا بدعائهم ومن أجل استجابة دعائهم!

- قال تعالى عن دعاء المشركين لمعبوداتهم: {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِّ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}
وقال ﷻ: {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ}

- لعظيم شأن الدعاء عند الله؛ تحنن ﷻ إلى عباده رحمة بهم بأن يوحدوه به، وضمن لهم الإجابة {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} {فَادْعُوا اللهَّ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}!

- كان مشركو العرب يشركون بالدعاء؛ فإذا مسهم الضر أخلصوا في دعائهم لله {وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ}!
{هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ}
{وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللهَّ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ}
{فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَّ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ}!

- سمى القرآن دعاء المشركين الله وحده إذا هاج بهم البحر؛ إخلاصا للدين مع أنه لا يصدر عنهم حينها إلا دعاء التوسل والاستغاثة لكشف الكرب والضر عنهم!

- إخلاص الدين؛ إخلاص الدعاء والعبادة والطاعة كلها لله {دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} أي: الدعاء {فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ} بدعاء أوليائهم!

- لا يتوجه أحد في دعائه إلى غير الله إلا لعبوديته له، واعتقاده بألوهيته، أو شيء من الألوهية فيه، سواء توجه لحجر، أو شجر، أو بشر حيا كان أو ميتا.

- من دلائل الشرك بالله في الدعاء؛ اشمئزاز قلوب أصحابه عند ذكر الله وحده، ودعائه وحده؛ فلا تطمئن إلا بذكر وسطائهم وشفعائهم!
{وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ}

- {وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} إضافة العبادة إلى الله تفيد العموم؛ فيحرم الإشراك في كل عبادة كالصلاة والحج والذبح {قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} وحده!

- يعم النهي عن الإشراك {وَلاَ يُشْرِكْ} كل صور الشرك كبيره؛ كدعاء غيره، وصغيره؛ كيسير الرياء، فحرّم كل شرك، وفي كل عبادة وطاعة، ومع كل معبود ومطاع ومتبوع.

- الصلاة: دعاء، لغة وشرعًا؛ فتعم كل ذكر لله وثناء ودعاء وتوسل واستغاثة وركوع وسجود وكذا الطواف بالبيت صلاة كما في الحديث: (الطواف بالبيت صلاة، ولكن الله أحل لكم فيه النطق، فمن نطق فلا ينطق إلا بخير) وهو نسك، وكذلك كل عبادة.

- {وَنُسُكِي} يعم كل شعائر الحج من طواف وسعي وذبح تقربا إلى الله هديا كان أو أضحية أو نذرا أو كفارة؛ فلا يصرف شيء منها لنبي أو ولي أو لصنم أو قبر.

- {وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} تعم كل مطاع ومتبوع من دون الله سواء أولياء يدعونهم أو مراجع يتبعونهم أو ملوك يطيعونهم؛ كتألّه فرعون حين قال: {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي}!

- من الربوبية البشرية؛ طاعة مراجع الدين في التحليل والتحريم بخلاف ما شرع الله {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ}.

- سمى الله طاعة أهل الكتاب للأحبار والرهبان ربوبية كدعائهم عيسى وعبادتهم له سواء بسواء؛ فالطاعة والدعاء كلاهما عبادة!
({اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ}، قال عبد الله بن عباس: لم يأمروهم أن يسجدوا لهم، ولكن أمروهم بمعصية الله، فأطاعوهم، فسماهم الله بذلك أربابا... وعن حذيفة قال: لم يعبدوهم، ولكنهم أطاعوهم في المعاصي).

قال أبو جعفر الطبري: (وأما قوله تعالى: {وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ}؛ فإن معناه: اتخذوا أحبارهم ورهبانهم والمسيح ابن مريم أربابا من دون الله.
وأما قوله: {وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا}، فإنه يعني به: وما أمر هؤلاء اليهود والنصارى الذين اتخذوا الأحبار والرهبان والمسيح أربابا، إلا أن يعبدوا معبودا واحدا، وأن يطيعوا إلا ربا واحدا دون أرباب شتى، وهو الله الذي له عبادة كل شيء، وطاعة كل خلق، المستحق على جميع خلقه الدينونة له بالوحدانية والربوبية = "لا إله إلا هو"، يقول تعالى ذكره: لا تنبغي الألوهية إلا للواحد الذي أمر الخلق بعبادته، ولزمت جميع العباد طاعته) تفسير الطبري (١٤/ ٢١٣)

- قال عدي بن حاتم للنبي ﷺ: ما عبدناهم يا رسول الله! قال ﷺ: ألم يكونوا يحلون لكم الحرام ويحرمون عليكم الحلال؛ فتطيعونهم؟ قال: بلى! قال ﷺ: فتلك عبادتهم!

- بدأت الكهف بتوحيد الربوبية {هُوَ اللهُّ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا} وثنّت بتوحيد الحاكمية {وَلاَ يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا} وخُتمت {وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}!

- توحيد الربوبية هو الأصل؛ وهو إفراد الله بأفعاله وملكه، فابتدأت السورة به؛ وذلك يقتضي توحيده بالحكم والأمر {أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ} الذي يُعرف به توحيد الطاعة والعبادة!

- من لم يتقرر عنده توحيد الله في ربوبيته للخلق وإفراده بملكه وسيادته وأفعاله؛ لن يتقرر عنده توحيده في حكمه وأمره ثم توحيده في الطاعة والعبادة!

- ما قررته الكهف من البدء بتوحيد الربوبية ثم توحيد الله في الحكم والأمر ثم توحيده في الطاعة والعبادة؛ هو حجة النبي يوسف!
{مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُّ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهَِّ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ}

- قرر يوسف بطلان كل ربوبية لغير الله ثم قرر ما يقتضيه توحيده في ملكه؛ وهو إفراده بالحكم ثم العبادة {إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهَِّ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ}!

- لا تُعرف حقيقة التوحيد من الشرك ولا الطاعة من المعصية إلا بالحكم والشرع، فمن لم يؤمن بحاكمية الله وحده؛ لن يعرف توحيده في عبادته وطاعته وحده!

- تضمنت الكهف كل حقائق التوحيد في الربوبية {هُوَ اللهُّ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا} والحكم {وَلاَ تُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا} والعبادة {وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}.

- **قراءة الكهف عصمة من فتنة الدجال؛ لما تقرره من معاني توحيد الله ونفي الشريك عنه في الربوبية والولاية والطاعة العبادة التي ينازعه فيها الدجالون!**

- **تمت بحمد الله نظرات قرآنية في سورة الكهف، ونسأل الله العصمة من كل فتنة.**



نظرات قرآنية حول سورة الحجر

۞ نبدأ بإذن الله نظرات قرآنية في سورة الحجر وآياتها ٩٩ آية
وجاءت بعد سورة إبراهيم وخاتمتها {هذَا بَلاَغٌ لِّلنَّاس}
وقبل النحل وأولها {أَتَى أَمْرُ اللهِ}.

۞ ما بين البلاغ للناس ومجيء أمر الله هو ما تضمنته سورة الحجر من قصة الدعوة وما يجري من صراع بين رسل الله وأعدائهم حتى يأتي يوم الفصل وأمر الله.

۞ ابتدأت السورة بذكر أبرز خصائص معجزة النبي ﷺ وهو القرآن {ألرَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ} فهو آيات باهرات ككتاب مسطور مقروء أو كقرآن متلو مسموع.

۞ ذكر الحروف المقطعة {ألرَ} تحدٍ للخلق بأن هذا البلاغ المعجز هو من هذه الحروف التي هي أصل الكتاب والخط المسطور المنظور والقرآن المنطوق المسموع!

۞ الإشارة بالبعد للآيات {تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ} لعلو بيانها وارتفاع مكانها وعظيم شأنها وعجز الخلق عن الإتيان بمثلها فهي من كلام الله وباللوح المحفوظ.

۞ القرآن كله آية واحدة معجزة للخلق بمجموعها عن الإتيان بمثلها، كما إن كل آية منه معجزة في حد ذاتها حال كونها جزءا من الكتاب والقرآن {تِلْكَ آيَاتُ}.

۞ وصف الله الآيات بوصفين معجزين كونها كتابا إلا إنه ليس كأي كتاب بل هو محفوظ عن التحريف {وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} ومحفوظ عن النقض {لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلِ}!

۞ ووصف الله آيات كتابه العزيز الذي عز عن النقض والتحريف بأنها {وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ} فهي الغاية في بيانها ووضوحها حين تقرأ وهي الغاية في بيانها بلاغ الله.

۞ ونكمل غدا بإذن الله نظرات قرآنية في سورة الحجر
لنقف على حكمها وأحكامها الشرعية الأمرية وهداياتها الكونية القدرية.

۞ لما بدأت السورة بالحديث عن آيات الكتاب المبين أجابت عن سؤال يتبادر للذهن: لم إذا أعرض عنه من كفر به؟

{رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ}.

- لم تأت {رُبَمَا} في القرآن إلا مرة واحدة وفي هذا الموضع وكشفت سرا من أسرار النفس البشرية وأنها قد تعرض عن الحق وتجحد به مع رغبتها بالانقياد له!

- "ربما" تأتي في اللغة للدلالة على كثرة وقوع الفعل بعدها، وتارة على قلة وقوعه وهي هنا تحتمل كلا المعنيين {رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ}!

- "ربما" أي: ما أكثر ما يود الذين كفروا بهذا الكتاب مع ظهور آياته لو كانوا مسلمين له مؤمنين به وإنما يمنعهم {إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاّ كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيه}!

- كبر النفس من أسباب ردها للحق مهما كان ظاهرا كما في الصحيح: (الكبر بطر الحق) والبطر رفضه غرورا فليست المشكلة في الحق بل في النفس المغرورة بطرا.

- عرف فرعون الحق وجحد به ظلما وعلوا مع ظهور آيات الله {فَلَمّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مّبِينٌ. وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوّا}!

- يتنازع النفس البشرية حين ظهور الحق لها ميل فطرتها ونزعتها الإنسانية التي فطرها الله عليها من جهة ويمنعها كبرها وغرورها وبطرها من جهة أخرى.

- كان من جزاء الله الملك العدل أن صرف عن آياته من يستكبرون {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الّذِينَ يَتَكَبّرُونَ فِي الأرْضِ بِغَيْرِ الْحَقّ وَإِن يَرَوْا كُلّ آيَةٍ لاّ يُؤْمِنُوا بِهَا}!

- لفظة {رُبَمَا يَوَدُّ} تفضح كوامن النفس الجاحدة وأنه حيل بينها وبين أكثر ما توده فطرتها بسبب بطرها وغرورها وهذا في حد ذاته عذاب دنيوي لا يطاق جحيمه.

- قال تعالى: {رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ} ولم يقل مؤمنين؛ لكون الإسلام لله والانقياد لحكمه هو الذي ثقل عليهم ورفضوه ولم يطيقوه ظلما وغرورا.

- الإيمان له معنيان:
  ١- لغوي بمعنى التصديق {وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لّنَا}
  ٢- إيمان شرعي {وَالْمُؤْمِنُونَ كُلّ آمَنَ بِاللهِّ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا}.

- والإسلام له معنيان:

١- لغوي وهو الانقياد بلا يقين {قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ}

٢- الثاني الإسلام الشرعي الذي يتضمن الإيقان والإذعان {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}!

- الاستيقان بالحق ومعرفته لا ينفع دون انقياد واتباع له {فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ. وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا}.

- وتكون {رُبَمَا يَوَدُّ} بمعنى ما أقل ما يود الذين كفروا الانقياد للحق وبسبب ذلك أعرضوا عن آيات الله لا لعدم وضوحها بل لعدم رغبة نفوسهم بالإذعان لها.

- هناك تناسب بين أول الحجر {رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ}
وآخر سورة إبراهيم قبلها {هَذَا بَلاَغٌ لِّلنَّاسِ}
وأول سورة النحل {أَتَى أَمْرُ اللهِ}!

- وعليه تحتمل ربما كلا المعنيين فما أقل عند الدعوة والبلاغ ما يود الذين كفروا لو أسلموا وما أكثر ما يودون لو أسلموا حين يأتيهم أمر الله وقضاؤه

- ذكرت السورة أسباب صوارف الخلق عن الحق وهي الصوارف الخارجية
{ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} فحصرتها بالحاجة والمتعة والأمل!

- إذا كان كبر النفس وبطرها وغرورها من صوارفها الداخلية عن الإيمان بالحق والإسلام له؛ فالشهوات والمتع واللهو بالأماني من صوارف النفس الخارجية!

- لم يحرم الله الأكل بل قال: {كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُم}
وإنما ذمه هنا {ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِم} حين ألهاهم حتى صار دأبهم الأكل والتمتع فقط.

- المجيء بفعل مضارع {يَوَدُّ} ثم {يَأْكُلُواْ...}؛ لإفادة تجدد حدوث الرغبة بالإيمان لولا تجدد اللهو بالأمل الكاذب والأكل والتمتع فيصرفهم عن حقيقة الحياة.

- {رُبَمَا يَوَدُّ} ما أقل ما يود الذين كفروا لو أسلموا بسبب صرف همتهم بالأكل والمتعة واللهو بالأمل، ويحتمل ما أكثر ما يودون أن يسلموا لولا هذه الصوارف.

- قوله تعالى: {وَيَتَمَتَّعُوا} التمتع الاستمتاع والانتفاع بالشيء إلى أمد ثم ينقضي {قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيل} {مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} فغاية ما هم فيه إلى فناء ثم حساب وجزاء.

- قوله تعالى: {وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ} وهو أمل الإنسان بالعيش ليأكل ما جمع ويتمتع مع أنه لا يدري أي ساعة يوافيه الأجل فهو في شدة ذهول عن هذه الحقيقة حتى تفجأه!

- قال الحسن البصري: ما رأيت حقا أشبه بباطل من الموت!
فهو الحقيقة التي لا شك فيها ومع ذلك تغيب عن الإنسان حين يلهو حتى تكون عنده أشبه بالباطل!

- قال الحسن: من ألهاه الأمل أساء العمل!
وآمال الإنسان لا تنقضي وأجله محدود ولا يدري متى يفارق هذه الحياة وبأي لحظة فكانت أشبه بالأحلام الكاذبة!

- {فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} حقيقة ما هم فيه من ذهول عن الحق فكل ما هم عليه من لهو بالأكل والمتعة الحالية وانشغال بالآمال المستقبلية لأنهم لا يعلمون عاقبتهم.

- نستأنف بإذن الله نظرات قرآنية في آية ٤ من سورة الحجر وما فيها من هداية وحكمة {وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ}.

- توعد الله الجاحدين به كبرا وبطرا مع ظهور آياته الذين ألهاهم الأمل والتمتع بالدنيا وشهواتها عن الإيمان والإسلام فقال تعالى: {ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ}!

- حذف مفعول {يَعْلَمُون} ولم تذكر الآية ما الذي سيعلمونه؟؛ ليشمل ذلك كل ما جاء به الرسول ﷺ من الآيات وما أنذرهم به من العذاب مما جحدوا به وأعرضوا عنه.

- قوله تعالى: {فَسَوْفَ يَعْلَمُون} نعي على الجاحدين وأنهم جاهلون لا يعلمون حقيقة ما هم فيه من جهل ولهو مهما تظاهروا بالعلم والمعرفة {يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}.

- أشارت آية ٤ بعد الوعيد إلى ما ينبغي العلم به وما ينبغي تذكره وهو ما جرى للأمم قبلهم من عاقبة السوء {وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُوم}.

- ذكرت آية ١ {آيَاتُ الْكِتَاب} المقروء المسطور وذكرت آية ٤ {كِتَابٌ مَّعْلُوم} وهو كتاب كوني علمي وهي سنن الله وأقداره وآجاله في الخلق وهي مشاهدة معلومة!

- كما أقام الله حجته على عباده بآياته القرآنية وأمرهم بتدبرها أقام كذلك حجته عليهم أيضا بآياته الكونية المعلومة {قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا...}.

- من آيات الله الشاهدة عليهم آياته الكونية في النفس البشرية وآياته في الآفاق حولها {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّه الْحَقُ}.

- لما أتى بأداة التسويف {فَسَوْفَ يَعْلَمُون} علل هذا التأخير لظهور الحقيقة الموعودة بالأجل المحدد الذي كتبه الله ليتحقق الاختبار وتقوم عليهم الحجة!

- جاءت الآية بأقوى أدوات القصر والحصر {وَمَا} {إِلاَّ}
وأقوى أدوات العموم {مِن قَرْيَةٍ} وهي نكرة في سياق النفي
ودخلت عليها {مِن} فصارت نصا قطعيا فيه.

- جيء بالواو {إِلاَّ وَلَهَا} قيل لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف، وقيل لبيان أن ما بعد الواو وهو الأجل المعلوم أسبق حدوثا من المذكور قبلها وهو هلاكهم.

- الظاهر في الواو {إِلاَّ وَلَهَا} واو عطف جملة على جملة محذوفة كقوله تعالى: {وَما أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ لَها مُنْذِرُون}، {وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ} أي: لها منذرون وكتاب معلوم.

- نستأنف بإذن الله نظرات قرآنية في سورة الحجر آية ٥ و٦
{مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ. وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ}

- قوله تعالى: {مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ} أتت {أُمَّةٍ} هنا نكرة في سياق النفي {مَّا} فأفادت العموم لكل أمة ودخلت عليها {مِنْ} فصارت نصا في العموم.

- أكدت الآية هذه الحقيقة الكونية القدرية المطلقة بأن لكل أمة بلا استثناء أجل محدد تنتهي إليه وأقربه الموت وأقصاه القيامة وأوسطه العذاب الدنيوي.

- من كمال عدل الله المطلق أنه لم يؤاخذ عباده على كفرهم به وجحودهم نعمه إلا بعد الأجل الذي كتبه وحدده لهم وأمهلهم إليه؛ لسعة رحمته وكمال عدله.

- أقام الله حجته على خلقه: بالبلاغ والنذارة بالرسل،
ثم بالأجل المحدد للاستجابة والنجاة أو الإعراض ثم العذاب؛
لئلا يكون للناس على الله حجة بعدها.

- أنّث في أول الآية فقال: {تَسْبِقُ} أي الأمة وذكّر آخرها {يَسْتَأْخِرُونَ} أي أفرادها فعم الأجل المحدد المجموع كأمة وكأفراد؛ إذ وفاة كل فرد هو أجله المحدود.

- كشفت آية ٦ سبب كفرهم {وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ} فهو كبرهم وغرورهم وذلك باستخفافهم برسولهم الذي حقه التكريم والتعظيم.

- بلغ من كبرهم وغرورهم أنهم لم يذكروا النبي ﷺ باسمه الشريف وأضربوا عنه بذكر شأن النبوة التي جحدوها فهو الذي يزعم أنه أنزل عليه الذكر تعريضا به!

- ذكرت آية ٦: المرسل إليهم {وَقَالُوا}، والرسول {يَا أَيُّهَا الَّذِي}، والرسالة {نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ} واعترفوا بالذكر وأنه منزل وعلى محمد ﷺ وتناقضوا بجحده!

- اعترافهم بنزول الذكر كاف في إثبات النبوة وإبطال دعواهم فهم لا يستطيعون نفي الرسالة ومع ذلك يصفون النبي ﷺ بالجنون مع أن المجنون لا يأتي بالذكر!

- الذكر وصف للقرآن يقتضي التذكير بما غاب عن العقل من العلم وبما عزب عن الذهن من الحقائق وبما نسيته النفس من فطرتها بينما الجنون نقيض ذلك كله!

- يقتضي العقل بدلا من رمي النبي ﷺ بالجنون أن يتدبروا الذكر الذي جاءهم به فإما أن يكون هذيانا فهو كاف في إبطال دعواه أو ذكرا محكما فلا ينفع كفرهم.

- لما كان الأنبياء أكمل الناس عقولا وأصدقهم قولا كان الرمي بالجنون والكذب حيلة المستكبرين كما قال فرعون: {إِنّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ}!

- **جعل المشركون النبوة ونزول الذكر سببا لرمي النبي ﷺ بالجنون؛ إظهارا لشدة رفضهم له وكفرهم به فأثبتوا الرسالة وأقروا بالذكر واستكبروا على الرسول!**

- **الجنون غياب العقل وهو أمر ظاهر لا يحتاج إلى تأكيد إلا إنهم لارتيابهم أكدوا ذلك بأقوى المؤكدات {إِنَّك لَمَجْنُونٌ} فـ(إن) أداة تأكيد و(اللام) مؤكدة أيضا!**

- **لا يحتاج المجنون عادة إلى المخاطبة فضلا عمن يؤكد له بأنه مجنون بأبلغ أسلوب وأقوى تأكيد لولا ارتياب المدعي للجنون وعدم اطمئنان نفسه إليها!**

- **نزول الوحي على بشر أمر مدهش للعقول خارق للعادة فلا يدعيه إلا نبي معصوم أو كذاب أو مجنون معلوم فأقروا له بالنبوة من حيث يظنون أنهم ينكرونها!**

- **نستأنف بإذن الله نظرات قرآنية في سورة الحجر آية ٧ و٨**
{لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَا كَانُواْ إِذًا مُّنظَرِينَ}

- **لما عجز الجاحدون عن إبطال القرآن وأعجزهم البيان، حادوا فطلبوا حجة أخرى تدل على صدق النبي ﷺ مع أن طلبهم هذا من مجنون كما يدعون هو عين الجنون!**

- **بعد اتهامهم النبي ﷺ بالجنون اتهموه بأنه كذاب فقالوا {لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِين} وهذا تهافت! كيف يوصف المجنون الذي لا يعقل بأنه كذاب!**

- **طلبُ المشركين من النبي ﷺ أن يأتي بالملائكة كشرط لتصديقه؛ مكابرة، فالقرآن أظهر دلالة على النبوة من نزول الملائكة لأنه كلام الله ومع ذلك كفروا به.**

- **الملائكة رسل الله إلى أنبيائه وهم من عالم الغيب الذي وقع التكليف بالإيمان به فإذا تجلوا للخلق عيانا كان الإيمان حينها بهم اضطرارا لا اختيارا.**

- **جدل المشركين في شأن النبي ﷺ والوحي ظاهر التناقض فإما إنه مجنون فلا حاجة للجدل فضلا عن طلب دليل آخر على نبوته وإما إنه نبي فيجب الإيمان به!**

- كما ارتاب الجاحدون في القرآن حتى قالوا {هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ} كذلك سيقولون حين يرون الملائكة {إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ} فالمكابرة لا حدود لها.

- قال تعالى: {مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَا كَانُواْ إِذًا مُّنظَرِينَ} و{وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ} {يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ}!

- ما يرجح أن المراد بالحق هنا هو الوحي قوله تعالى بعدها مباشرة {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} فهو الحق الذي نزل به الملائكة على النبي ﷺ.

- قوله تعالى: {مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلاَّ بِالحَقِّ} أي بالوحي وقيل بالفصل والأمر القاطع للجدل وقيل بالعذاب بعد كفر الأمم برسلهم وقيل بالموت والصحيح هنا بالوحي.

- جاءت بعدها سورة النحل في بيان حقيقة علاقة الملائكة بالوحي {يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ} فهذه علاقتهم بالرسل ووظيفتهم.

- سؤالهم أن ينزل الملائكة عليهم جاء على سبيل الاستخفاف به بينما أمر الله وشأن الملائكة أجل من أن يكون عرضة لجدل السفهاء فما ينزلون {إِلاَّ بِالحَقِّ}.

- قوله تعالى: {وَمَا كَانُواْ إِذًا مُّنظَرِينَ} حين يرون الملائكة ينتهي ساعتها التكليف والاختبار وينقضي وقت التأخير والانتظار فإما إلى الجنة وإما إلى النار!

- كشفت هذه الآيات عن طبيعة النفس البشرية وأنها حين تجحد وتكابر لا ينفع معها حتى الحسيات ولهذا لا يحتاج الحق إلا إلى البيان فقط لمن أراده!

- نستأنف بإذن الله نظرات قرآنية في سورة الحجر آية ٩ {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}

- في قوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ} من الجلال الرباني والبيان القرآني والإجلال للنبي ﷺ ما هان بعده ومعه كل مكابرة للجاحدين وافتراء للمشركين.

- جاءت الآية بأبلغ أدوات التأكيد وهي:

١- {إِنَّا} وهي تتضمن إن المؤكدة المشددة + ضمير المتكلم بصيغة الجمع للتعظيم وهو هنا الله سبحانه وتعالى.
٢- {نَحْنُ} ضمير فصل للتأكيد والحصر؛ لنفي توهم أن يكون المتكلم والمنزل للذكر غير الله سبحانه، فلا حاجة لنزول الملائكة فليس بعد شهادة الله شيء!
٣- {نَزَّلْنَا} أسند الله فعل تنزيل الذكر لنفسه وشدد الزاي لزيادة تأكيد نزوله من عند الله، فأبطل الله شبههم كلها وطعنهم بالنبي ﷺ وأنه مجنون أو كاذب.

- أثبتت {نَزَّلْنَا الذِّكْرَ} أركان الإيمان وهي:
  - المرسِل وهو الله
  - والرسول محمد ﷺ
  - والرسالة وهي القرآن والذكر

كما ذكرت المرسَل إليهم الذين يراد تذكيرهم.

- أفاد لفظ {نَزَّلْنَا} علو مصدر هذا القرآن وأنه من عند الله العلي وهو علو مكاني حيث كُتب في اللوح المحفوظ وعلو مكانة حيث المتكلم به هو الله جل جلاله.

- تنزيل الذكر من علو المكان والمكانة ليس فقط على النبي ﷺ بل {يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ} فعلو القرآن من علو الرحمن جل جلاله بذاته وصفاته!

- الذكر هنا {نَزَّلْنَا الذِّكْرَ} هو القرآن وهو كلام الله وليس كمثل الله شيء سبحانه لا في ذاته ولا صفاته ولا كلامه {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}.

- التفكر والهداية هما الغاية {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} {لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}.

- تكفل الله بنفسه بحفظ كتابه فقال: {وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} ولم يذكر مما يحفظه ليفيد العموم والشمول لكل صور الحفظ لفظا وكتابة ومعنى وقراءة وإعجازا.

- من صور الحفظ للقرآن حفظه من الباطل والإبطال {وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ. لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ} فهو عزيز لا ينقض.

- من صور الحفظ للقرآن أنه لا يمكن الإتيان بمثله {لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا}.

- من صور الحفظ للقرآن أنه لا يضيع منه شيء ولا ينسى {سَنُقْرِئُكَ فلاَ تَنسَى} أي: فلن تنسى {لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ. إنّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَه} فالله حافظه.

- أكد الحفظ بأبلغ أدوات التأكيد: {إنّ} المؤكدة، وبإسناد الفعل لذاته الكريمة، وبالجار والمجرور {لَهُ}، وبـ(اللام) المؤكدة الداخلة على اسم الفاعل {لَحَافِظُون}.

- قوله {لَحَافِظُون} أفادت بأن الحفظ لن يكون مؤقتا بل حفظ يستغرق الزمن منذ نزوله وفي المستقبل حتى يرفعه الله إليه؛ لما في اسم الفاعل من الاستقبال.

- {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ. وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ. كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ. لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنّة الأَوّلين}

- ثم ذكرت السورة سبب كفر هؤلاء ورفضهم للحق مع ظهوره وأنه التقليد {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ. وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ}

- شيع الأولين طوائف الأمم السابقة التي كفرت بالله ورسله بسبب مشايعة بعضهم بعضا ومتابعة الضعفاء للملأ والرؤساء تقليدا وعصبية بلا علم ولا بينة!

- أشارت الآية بلفظ {شِيَعِ الأَوَّلِين} إلى خطورة الاغترار بالرأي العام حين ينساق العامة للملأ ويشايعونهم ويتواطؤون على رفض الحق استخفافا وتقليدا.

- بينت الآية بأن ما جرى من استهزاء كفار العرب بالنبي ﷺ هو مثل ما جرى من شيع الأمم الأولين مع أنبيائهم فهي سنة اجتماعية بسبب الأهواء المجتمعية!

- ثم فسرت السورة هذه الظاهرة الاجتماعية المطردة بالآية بعدها {كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ. لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِين} فهي سنن لا تنتقض!

- يحتمل في الآية {كَذَلِكَ} أي مثل هذا الاستهزاء بالرسل {نَسْلُكُهُ} في قلوب المجرمين من كل أمة فيطمسها حتى يعميها عن الإيمان بهم وبالذكر جزاء إجرامهم.

- استعمال لفظ السلك {نَسْلُكُهُ} يفيد أن الاستهزاء منهم مع ما فيه من كفر ومكابرة يصدر عنهم بخفة السلك ودخوله دون إحساس منهم بالجرم وكأنهم لا يشعرون!

- ورد في القرآن الطبع على القلوب والشد {كَذَلكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ} {كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِين} {كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهّ عَلَى قُلُوب الّذِينَ لاَ يَعْلَمُون}.

- دعا موسى على فرعون وملئه بالشد على قلوبهم {رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ} والسلك قبل الشد والطبع!

- ييسر الله لمن أراد الكفر سبيله فيسلكه في قلبه مع شناعة الكفر وتعارضه مع فطرة الإنسان حتى يستمرأه ثم يشد على قلبه فلا يقبل غيره ثم يطبع عليه!

- ويحتمل {كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ} أي ندخل القرآن في قلوبهم كما يكاد يدخل السلك في ثقب الإبرة لشدة ضيق قلوبهم ورفضها للحق فلا يؤمنون به!

- وقال بعضهم {كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ} أي كذلك ندخل الكفر في قلوب أهل الإجرام بسبب إجرامهم فنيسر لهم طريقهم الذي اختاروه ليتحقق الاختبار.

- فالسبب في كفرهم ليس عدم وضوح الحق لهم الذي جاء به النبي ﷺ ونزل به القرآن بل السبب ضيق صدورهم وانسداد قلوبهم عن قبول الحق هوى وعمى وعصبية!

- قوله تعالى: {وَقَدْ خَلَتْ سُنّة الأوّلِين} فيه إشارة إلى ضرورة الانتباه إلى السنن الاجتماعية التي تحكم سلوك الإنسان والأمم والمجتمعات فهي واحدة ومطردة.

- يمكن التنبؤ بالأحداث واستشراف المستقبل بالقياس على أحداث الماضي ومعرفة سنن الله في الخلق فهي هدايات كونية لمن تدبرها وفقهها كآياته القرآنية.

- التاريخ الإنساني القريب والبعيد ليس أحداثا مضت ووقائع انقضت بل هي قصة الإنسان منذ وجد مهما تطور الزمان وتغير المكان {وَقَدْ خَلَتْ سُنّة الأوّلِين}.

- قص الله خبر الأمم مع أنبيائهم فكادت قصتهم تكون واحدة من حيث كفرهم بالرسل ابتداء وبطرهم للحق الذي جاءوا به وانتهاء بنصر الله للحق والعدل.

- من سنن الأولين رفضهم للحق تقليدا لموروثهم الاجتماعي {بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ} اغترارا بأعرافهم وأحكامهم!

- من سنن الأولين تصدي أكابر المجرمين في كل قرية للمصلحين فيها وتآمرهم عليهم ومكرهم بهم {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا}.

- من سنن الأولين اتباعهم للملأ الذين أترفوا {إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ} لما لهم من حكم بمورثهم الاجتماعي.

- من سنن الأولين قوة تأثير الملأ وسطوتهم مع قلتهم، على الضعفاء مع كثرتهم، في صرفهم عن الحق {فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا}.

- من سنن الأولين اغترار المترفين بما هم فيه، فيفسقون ويبطرون، فيكون فناؤهم من حيث ظنوا بقاءهم {وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا}.

- من سنن الأولين عدم اعتبار الملأ بمصارع الظالمين قبلهم وحولهم {وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ}.

- من سنن الأولين أن التغيير يحدثه الإنسان فتغيير الواقع مرهون بتغير المجتمع خيرا أو شرا {إِنّ اللّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}.

- من سنن الأولين أن النصر للمؤمنين والمستضعفين والمظلومين لا يتحقق إلا بعد التضحية والصبر {وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَ اللّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا}.

- من سنن الأولين أن نصر الله للمؤمنين وللمستضعفين لا يأتي إلا عند أشد ما يكونون يأسا {حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا}.

- نكمل نظرات قرآنية في سورة الحجر آية ١٤ و١٥
{وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاء فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ. لَقَالُواْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ}

- أشارت الآيتان إلى مدى مكابرة الجاحدين بالله {وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاء فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ. لَقَالُواْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ}

- حصر الماديون مصادر المعرفة بمصدرين: الحس والعقل فقط، وأبطلهما السفسطائيون بشبهتين بالسكر والسحر {لَقَالُواْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ}

- هذه شبهات الماديين والشكاك اللاأدريين، فلو رأوا الملائكة يصعدون في السماء نهارا جهارا؛ سيقولون: إنما سكرت أبصارنا فتعطلت، أو سحرت عقولنا فاختلت!

- شبهات الماديين واللاأدريين لا تخرج عن هاتين الشبهتين:
  ١- ادعاء انغلاق الأبصار والحواس وانسدادها بالسكر.
  ٢- أو ذهاب العقول واختلالها بالسحر.

- سكر الأبصار تحيرها أو حجبها عن الرؤية أو عجزها عن إدراك ما ترى من المرئيات أمامها، والسحر أن ترى المرئيات وتصرف عن إدراكها {سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاس}

- اشتهر العرب بالجدل لنزوعهم إلى البيان والشعر وهو فن السفسطائية ومموهي الكلام الذين يردون الحقائق بالجدل كما وصفهم القرآن {بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ}!

- أكدت الآية أن الكافرين الذين يشترطون دليلا ماديا حسيا بنزول الملائكة ورؤيتهم إياهم عيانا لو فتح الله أمامهم ملكوت السماء لما آمنوا به وبرسله.

- {فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ}

يحتمل إسناد فعل العروج للملائكة ويحتمل إسناده للجاحدين أنفسهم بأن يفتح الله لهم ملكوت السماء فيصعدون فيها ويرون الملائكة.

- وسواء رأى الجاحدون الملائكة وهي تعرج أمامهم إلى السماء وتنزل أو ظلوا هم أنفسهم يعرجون في السماء وينزلون ويرون الملائكة لما آمنوا بالله!

- الملائكة لا تعدو أن تكون بعض مخلوقات الله والسموات أكبر المخلوقات المشاهدة فإذا لم يؤمنوا بالله خالق السموات فلن يؤمنوا بأنه خالق الملائكة!

- في الآية تسلية للنبي ﷺ وتخفيف عنه؛ لشدة ما كان يجده من ضيق ويعتريه من حزن؛ بسبب كفرهم به رحمة منه ﷺ بهم وشفقة عليهم {فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ}

- في الآية إثبات إمكانية العروج للسماء بالأسباب التي يهيؤها الله وأن فيها معارج وطرقا للصعود والنزول كما صعد بالنبي ﷺ ورأى ملكوت الله بالمعراج.

- عرج الإنسان في هذا العصر بالأسباب التي تيسرت له إلى الفلك الخارجي ورأى بعض معارج السماء وطرقها فما آمن أكثرهم بل آمنوا بالطبيعة التي لا تخلق.

- في الآية إشارة إلى أن الله كما يفتح أبواب ملكوت السماء لمن يشاء ويحجبها عمن يشاء بقوله: {فَتَحْنَا} كذلك يفتح أبواب القلوب لهدايته أو يحجبها عنها.

- لما بلغ الحال بالجاحدين هذا الحد من الرفض والرد والكفر بالله وهداياته مهما رأوا من آياته كان حري ألا يفتح الله لهم قلوبا ولا يهدي لهم عقولا.

- {فَتَحْنَا} إسناد الفعل لضمير المتكلم بالتعظيم وهو الله إشارة إلى أن الفتح لكل باب موصود ولكل أمر مقصود في السماء والأرض هو من أفعال الله الفتاح.

- كان من دعاء الأنبياء وأتباعهم {رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ}
وقال نوح {فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا}
فاللهم فتحك وهدايتك!

- نكمل نظرات قرآنية في سورة الحجر آية ١٦
{وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ}

- لفت الله أنظار الجاحدين إلى ما هو أوضح من نزول الملائكة من السماء الذي اشترطوه للإيمان به فقال: {وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ}

- قوله تعالى: {جَعَلْنَا} أسند الفعل إلى ضمير المتكلم بالجمع للتعظيم تنبيه إلى عظمة الفاعل وهو الله وعظمة المجعول وهي السماء وما فيها من كواكب ونجوم وفلك.

- **قال تعالى: {جَعَلْنَا} ولم يقل: (خلقنا)؛ للتنبيه إلى أن الأبراج حدثت بعد خلق السماء بالجعل الذي يفيد الصيرورة انتهاء لا بالخلق الذي يفيد إيجاد الشيء ابتداء.**

- **البروج هي الكواكب والنجوم في فلكها المنتظمة بسيرها وقد سماها بروجا تشبيها لها بأبراج الحصون والقصور في الأرض؛ لظهورها وعلوها والاستهداء بها.**

- **تمتاز أبراج الحصون والأسوار بالعلو والظهور والقوة وكونها محطات للوقوف وطرقا للسير وفيها توقد نار الدلالة وتضيء لمن بالخارج؛ للاستهداء للمكان.**

- **جعل الله السماء وبروجها وكواكبها ونجومها في أفلاكها آية ظاهرة على ربوبيته ووحدانيته لا يحتاج الجاحدون إلى آية أخرى لو تفكروا فيها وعقلوها.**

- **قوله تعالى: {وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ} أفاد أن الزينة هي آخر أطوار الجعل فقد خلق الله السماء ثم صيرها كواكب من خلال حركة الكون ثم انتهى حالها بهذا الجمال!**

- **في قوله: {وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ} تنبيه على أن كل جمال في السماء والأرض من فيض الله الذي أتقن كل شيء صنعه وزينه فلا يتصور وجود السماء بلا خالق حكيم.**

- **قوله تعالى: {لِلنَّاظِرِينَ} تنبيه إلى وجوب النظر في ملكوت السموات والأرض الذي يدعو إلى التفكر وإعمال العقل وتكرر كثيرا {قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}.**

- **في الآية تعريض بالجاحدين وأنهم عمي لا ينظرون إلى السماء وبروجها وزينتها الدالة على عظمة خالقها بينما يشترطون للإيمان رؤية ما غاب من الملائكة.**

- **الجاحدون عمي الأبصار فلا ينظرون ما هو آية للناظرين وهي السماء وبروجها، وعمي القلوب فلا يتدبرون ولا يعقلون بأن السماء وانتظامها آية على خالقها.**

- **نكمل بإذن الله #نظرات_قرآنية في سورة الحجر آية ١٧- ١٩**
{وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ (١٦) وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ (١٧) إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ (١٨) وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ (١٩)}

- بعد أن تحدثت سورة الحجر عن الكتاب والنبوة في مطلع السورة جاءت آية ١٧ {وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ} لتنقض شبهة المشركين بأن الوحي تنزلت به الشياطين!

- أكدت الآية ١٧ {وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ} بأن السماء محفوظة لا تصل إليها الشياطين ولا تعرج إلى ملكوتها الأعلى الذي لا يشهده إلا الملائكة المطهرون.

- ذكرت الآية ١٨ {إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ} بأن الشياطين تحاول معرفة نبأ الملكوت الأعلى وما يوحي الله به لملائكته باستراق السمع فتحول دون ذلك الشهب

- وقد تكرر إبطال القرآن لهذه الشبه التي يروجها المشركون لصرف الناس عن النبي ﷺ وعن القرآن وأنه تنزلت به الشياطين!
كما في سورة الشعراء: {وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ. وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ. إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ}.

- إشاعة المشركين هذه الشبهة عن القرآن دليل على أنه أعجزهم ولا يستطيعون الاتيان بمثله ولا بسورة منه فعزوه للشياطين!

- كان بإمكان مشركي العرب وشعرائهم وخطبائهم لو كان القرآن من جنس كلامهم أن يأتوا بمثله ولو بأقصر سورة منه فعجزوا عنه واستكبروا عن الإيمان به!

- ثم بعد حديث السورة عن السماء وعظمتها وحفظ الله لها تحدثت آية ١٩ {وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ} عما هو أقرب الآيات للإنسان وهي الأرض التي يعيش عليها!

- مد الأرض في آية ١٩ {وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ} لا يكون إلا باستدارتها بحيث لا انقطاع لها فهي ممدودة من كل طرف وهي حقيقة أجمع المسلمون عليها قديما، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى: (اعلم أن " الأرض" قد اتفقوا على أنها كروية الشكل وهي في الماء المحيط بأكثرها؛ إذ اليابس السدس وزيادة بقليل والماء أيضا مقبب من كل جانب للأرض والماء الذي فوقها بينه وبين السماء كما بيننا وبينها مما يلي رءوسنا وليس تحت وجه الأرض إلا وسطها ونهاية التحت المركز؛ فلا يكون لنا جهة بينة إلا جهتان: العلو والسفل وإنما تختلف الجهات باختلاف الإنسان. فعلو الأرض وجهها من كل جانب. وأسفلها ما تحت وجهها - ونهاية المركز - هو الذي يسمى محط الأثقال فمن وجه الأرض والماء من كل وجهة إلى المركز يكون هبوطا

ومنه إلى وجهها صعودا وإذا كانت سماء الدنيا فوق الأرض محيطة بها فالثانية كروية وكذا الباقي) (الفتاوى ٢٥ / ١٥٠).

- وقال عمن نفى كروية الأرض: (نفى بعض الجهال أن تكون الأفلاك مستديرة، فمنهم من ينفي ذلك جزمًا، ومنهم من ينفي الجزم به على كل أحد وكلاهما جهل، فمن أين له نفي ذلك، أو نفي العلم به عن جميع الخلق؟ ولا دليل له على ذلك إلا ما قد يفهمه بفهمه الناقص هذا، وقد ثبت بالكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة أن الأفلاك مستديرة قال الله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا للهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}، وقال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ}، قال تعالى: {لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ}، قال ابن عباس –رضي الله عنهما- في فلكة مثل فلكة المغزل، وهكذا هو في لسان العرب الفلك الشيء المستدير، ومنه يقال تفلك ثدي الجارية إذا استدار. قال تعالى: {يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ}، والتكوير هو التدوير، ومنه قيل كار العمامة وكورها إذا أدارها، ومنه قيل للكرة كرة، وهي الجسم المستدير، ولهذا يقال للأفلاك كروية الشكل؛ لأن أصل الكرة كورة تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا، وكورت الكارة إذا دورتها، ومنه الحديث: "إن الشمس والقمر يكوران يوم القيامة") (الفتاوى ٢٥ /١٩٣).

- نكمل نظرات قرآنية في سورة الحجر آية ١٩ ـ ٢٠ {وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُون (١٩) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (٢٠)}

- تحدثت الآية ١٩ {وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ} عما في الأرض من الآيات الدالة على عظمة خالقها سبحانه وأشارت إلى ثلاث آيات وهي: المد والثبات والاتزان.

- خص الله الأرض بالذكر بما يؤكد تفردها من بين مليارات الكواكب بصلاحيتها لعيش الإنسان بالمد والتكوير الذي يؤدي إلى تناوب الفصول والليل والنهار.

- قوله: {وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ} الإلقاء يفيد أن الجبال لم تكن من جنس الأرض في الأصل ثم صارت بعد نزولها عليها مركز ثقل الأرض وسبب ثباتها واستقرارها.

- قوله: {وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ} آية قرآنية وكونية معجزة فالاتزان البيئي والطبيعي أهم أسباب استمرار الحياة على الأرض ولم يعرف إلا حديثا!

- قوله: {وَأَنبَتْنَا فِيهَا} والإنبات من الأرض نفسها فيعم كل من عليها حتى الإنسان كما في قوله تعالى: {وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا}، {مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ}.

- قوله: {مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ} يعم كل شيء في الأرض فوجوده بنسب معلومة ومحدودة مقدرة بحسب حاجة الأرض وسكانها للحياة عليها.

- قوله: {مَعَايِشَ} إشارة إلى سبب استمرار الحياة على كوكب الأرض حيث تعيش عليها كل أنواع الإنسان والحيوان قويها وضعيفها.

- وجود المعايش هو نتيجة لمد الأرض وتكويرها وثباتها واستقرارها وتوازنها البيئي والطبيعي فلا يوجد فيها مخلوق إلا ورزقه وعيشه موفور له بقدر حاجته.

- نظرات قرآنية في آية ٢٠ و ٢١ من سورة الحجر
{وَجَعَلنا لَكُم فيها مَعايِشَ وَمَن لَستُم لَهُ بِرازِقينَ (٢٠) وَإِن مِن شَيءٍ إِلّا عِندَنا خَزائِنُهُ وَما نُنَزِّلُهُ إِلّا بِقَدَرٍ مَعلومٍ (٢١)}

- لما ذكر الله المعايش التي أوجدها في الأرض مما لا يستطيع الخلق رزق أنفسهم بها ذكر أن خزائنها بأمره وقدره فلا يأخذ أحد منها فوق ما كتب الله له.

- قوله تعالى: {وَإِن مِن شَيءٍ إِلّا عِندَنا خَزائِنُهُ} أي: (ما من شيء) وهي من أقوى أدوات الحصر والقصر بالنفي، و(إلا) كما إنها نص في العموم بنفي النكرة ودخول (مِن) أفاد القصر والعموم، بأن كل شيء في الوجود هو من فيض جود الله واجب الوجود فهو الذي بيده كل شيء إيجادا وإمدادا وإعدادا وإسعادا لا إله إلا هو.

- {وَإِن مِن شَيءٍ إِلّا عِندَنا خَزائِنُهُ} الخزائن هي حوافظ النعمة الإلهية التي يفتحها متى يشاء بما يشاء على من يشاء رحمة وفضلا ويمنعها عمن يشاء حكمة وعدلا لا معقب لحكمه ولا راد لفضله.

- الخزائن قد تكون حسية كالسحب التي تخزن الماء في السماء وتحمله حيث يقدر الله وقد تكون خزائنه هي الأسباب التي يهيئها الله قدرا لإيجاد النعم بها.

- قوله تعالى: {وَما نُنَزِّلُهُ إِلّا بِقَدَرٍ مَعلومٍ} فالمطر الذي هو حياة الأرض وأهلها لا ينزل إلا بوقت معلوم وبقدر موزون تتجلى به قدرة الله وعجز الخلق عن الرزق!

- {مِن كُلِّ شَيءٍ مَوزونٍ} يؤكد حكمته التي لا يخرج عنها شيء في الوجود،
و{خَزائِنُهُ} تؤكد حفظه الذي أحاط بكل شيء،
و{بِقَدَرٍ مَعلومٍ} تؤكد علمه الذي وسع كل شيء.

- وقفنا في رمضان الماضي عند آية ٢١ من سورة الحجر.
{وَإِن مِن شَيءٍ إِلّا عِندَنا خَزائِنُهُ وَما نُنَزِّلُهُ إِلّا بِقَدَرٍ مَعلومٍ}؛ ومن ذلك ما يفتح الله به على عباده من علوم وخاصة في فهم كتابه!

- شاء الله أن نتوقف عند هذه الآية قبل سنة، وأن نعيش إلى هذا العام؛ لنكمل هذه النظرات القرآنية وذلك من خزائن جوده وفيض كرمه الذي ينزله بقدر معلوم!

- {وَإِن مِن شَيءٍ} أي ما شيء؛ فتعم كل شيء، و(من) حرف جر زائد لفظا؛ لزيادة المعنى؛ وهو إفادة التأكيد والنص على عموم شيء؛ فلا يخرج عنها شيء في هذا الوجود.

- حرف الجر الزائد هو الذي لا يحتاج إلى متعلق ليتم به الكلام؛ بل يمكن الاستغناء عنه مع تمام المعنى، ولا يؤثر في حقيقة الإعراب للمحل، ولما دخل عليه.

- {وَإِن مِن شَيءٍ} شيء: مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بحرف الجر الزائد بقصد تأكيد معنى العموم والشمول، أو مبتدأ مجرور لفظا مرفوع محلا!

- {وَأَرسَلنَا الرِّياحَ لَواقِحَ} وذكرها هنا كالدليل على أنه ما من شيء إلا عند الله خزائنه وما ينزله إلا بقدر معلوم؛ فهي أوضح مثال على هذه الآية الكونية!

- الرياح لواقح؛ بمعنى حوامل للماء كالإبل الحوامل، أو لواقح لغيرها؛ فهي بحركتها تلقح السحب بعضها ببعض؛ فيكون المطر، وتلقح الشجر ببعضها؛ فيكون الثمر.

- الرياح هي سبب الأمطار التضاريسية حيث يؤدي الالتقاء بين الرياح البحرية الرطبة بالمناطق المرتفعة والاندماج إلى نزول المطر كأثر اللقاح بالإنتاج!

- وهي كذلك لواقح للسحب؛ بما تحمله من ذرات ترابية وملحية إلى أعلى طبقات الجو، فتتكاثف حولها قطرات المطر حتى تثقل كالحمل؛ فأشبهت عملية التلاقح.

- {فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ} في السماء؛ بل الله يخزنه في طبقات الجو؛ فلا يتبدد حتى يمطر ويخزنه في جوف الأرض حتى ينزف!

- مهما أوتي الإنسان من علم وقدرة وقوة؛ لن يستطيع تخزين الماء في جو السماء ولا في جوف الأرض، وأقصى ما يمكنه حفظ بعضه مؤقتا دون قدرة على إعادته!

- (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (٢٢) وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ (٢٣) وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (٢٤) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ).

- لما ذكر الرياح اللواقح ونزول المطر بسببها وحفظ الله له في جو السماء وجوف الأرض أتبعه بذكر أثر الماء في وجود الحياة.

- لما ذكر الله أنه هو من ينزل المطر ويسقيه عباده؛ نفى الشريك معه، وأن يكون هناك إله للمطر، وإله للخصب كما تعتقد الأمم الوثنية وتسند لها فعل ذلك!

- قوله: (وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ) فيه إسناد الخلق والإحياء والإماتة في الوجود كله وبأسلوب الحصر إلى الله وحده؛ لقطع الأوهام عن الشريك.

- في الآية دليل على أنه ما من شيء إلا وخلقه وأمره إلى الله؛ ومنها الإحياء والإماتة والوراثة لكل شيء في الوجود؛ وراثة الرب المالك للمملوك المربوب!

- قوله: (وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ) كقوله: (إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى) (وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى)؛ فهو الأول الذي ابتدأ الخلق، وإليه يرجعون ويصيرون!

- وصف الله نفسه بأنه الحي القيوم والملك الوارث ومن بدأ الخلق وأحياهم إيجادا وإمدادا بأسباب الحياة ومن يميتهم فهو الخالق ابتداء والوارث انتهاء

- قوله: (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ)؛ بيان لإحاطة علم الله بكل موجود وفي كل وقت حياة وموتا وتقدما وتأخرا؛ فأبطل شبهات من نفوا عنه العلم بالجزئيات!

- المستقدمين والمستأخرين جاءت مطلقة غير مقيدة؛ فتعم كل معاني السبق والتقدم، والتأجيل والتأخر، وجودا وموتا، واهتداءً وعملا، وفي الأمم سابقها ولاحقها!

- تتابعت هنا مفردات السورة التي اختصت بها ولم تتكرر؛ كموزون، وخازنين، ومستقدمين، ومستأخرين؛ لبيان إحاطة قدرة الله وعلمه وتجلي حكمته في الوجود كله!

- قوله: (وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ)، فلم يخلقهم ويحشرهم إلا لحكمة بالغة وعليم؛ فلا يخفى عليه من شأنهم وقت خلقِهم وحشرِهم وحسابهم خافية.

- (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (٢٢) وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ (٢٣) وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (٢٤) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٢٥) وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٦) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ).

- بعد ذكر الرياح اللواقح بالمطر، ونشوء الماء وهو أصل الحياة؛ ذكرت السورة خلق الإنسان لما بين الآيتين الكونيتين من وشائج.

- (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ) ذكر طور من أطوار خلق آدم من طين ثم من صلصال يابس كالفخار مسنون مصقول مصور لبعث الروح والحياة فيه.

- (وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ) وهو فيح لهب النار ووهجها المارج، ومنه خلق عالم الجن؛ فاكتسب طبيعتها كما اكتسب آدم طبيعة الطين وخصائصه!

- بدأت السورة تقص بداية خلق الإنسان ونفخ الروح فيه، وأمر الله الملائكة بالسجود له تعظيما لله الذي أبدع خلقه وأحسن صنعه.
  (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ).

- سجود الملائكة لآدم؛ سجود تعظيم لله، وطاعة لأمره وتكريم لآدم، لا سجود عبادة لمخلوق؛ إذ لا يتصور من الملائكة كفر وشرك؛ فهم مفطورون على الطاعة خلقة، وهم (عِبَادٌ مُكْرَمُونَ . لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ).

- سجود الملائكة كلهم أجمعين؛ كان بمقتضى خلق الله التسخيري لهم، وما فطرهم عليه من الطاعة المطلقة له (لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ).

- **امتناع إبليس عن السجود؛ كان بمقتضى ما جُعل له من قدرة واختيار؛ فهو مُكلف (كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ)؛ ولهذا كان عصيانه سبب طرده من ملكوت الله! (قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ).**

- **لا يكون في ملك الله إلا ما يشاء بعلمه وحكمته من خير وشر؛ فهو خالق كل شيء، وخلق الملائكة من نور؛ للتسخير، وخلق الإنس من طين والجن من نار؛ للتكليف.**

- **امتناع إبليس كفر لا يرضاه الله (وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ) ووقع بإرادة الله الكونية (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ)؛ فلا يخرج شيء في الوجود عما قضاه وقدره.**

- **كان كفر إبليس كفر إباء واعتراض وامتناع عن طاعة الأمر كبرا وعتوا (أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) وهو شر أنواع الكفر ومنه كفر الطغاة والجبابرة!**

- **أمر الله إبليس بالسجود، فاعترض وأبى، ونهى آدم عن الشجرة؛ فعصى وغوى؛ فكان جزاء الأول؛ اللعن والطرد من رحمة الله، وكان جزاء الثاني؛ العفو والصفح!**

- **كان اعتراض إبليس منازعة لله في ربوبيته؛ ورفضا لطاعته واستدراكا على حكمته؛ بينما معصية آدم نسيان للأمر، وضعف في العزيمة (فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا)!**

- **بادر آدم بعد الذنب بالتوبة وسأل الله رضاه؛ فتاب الله عليه واجتباه إليه وهداه (فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى)، وأصر إبليس وسأل الله أن يمهله ليغوي آدم وذريته!**

- **نكمل بإذن الله نظرات قرآنية في سورة الحجر من الآية ٣٦، وما في خبر قصة بداية الخلق من حِكم وأحكام أمرية وقدرية!**

(قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٣٧) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨) قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢)).

- **منذ أن هبط الإنسان إلى الأرض بالمعصية وهو في نزاع بين الروح التي تسمو به إلى السماء من حيث أتت والمادة التي تسفل به إلى الأرض من حيث خلقت!**

- سأل إبليس أن يُؤخر إلى يوم القيامة؛ ليضلّ بني آدم في الأرض التي خلقوا منها، ليخلدوا إليها، ولا ينزعوا إلى الروح التي نُفخوا منها، فيعودوا إليها.

- لا يستطيع إبليس أن يضل أحدا إلا بقضاء الله وقدره (رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ) سوء أعمالهم، وألهينهم بزينة الدنيا عن آخرتهم وآجالهم!

- (بِمَا أَغْوَيْتَنِي) أي: بما جعلت لي من قدرة على الإغواء، وبما أنظرتني لتتحقق الغاية من خلق آدم في الأرض، وحكمة الله من تكريمه له، وتعليمه، واختباره.

- (وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ)
علم إبليس بما آتاه الله قبل لعنه وطرده من ملكوت الله بأن عباد الله المخلصين لا يمكن إغواؤهم، وليس له عليهم سلطان بحفظ الله إياهم واجتبائه لهم!

- عباد الله "المخلصين" بفتح اللام: المصطفين، اسم مفعول؛ الذين استخلصهم الله واصطفاهم، وبكسر اللام "المخلِصين": اسم فاعل؛ الذين أخلصوا عبادتهم لله، فلم يشركوا به.

- قال ﷻ: (هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ)؛ تأكيد بأنه ليس له على البشر سبيل إلا من غوى منهم ورضي بغوايته له.

- (هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ)، قيل: أي مستقيم إليّ لا اعوجاج فيه، ولا يستطيع أحد الخروج عنه حتى يصل بالجميع إلى الله؛ ليجازي كل إنسان بعمله إن خيرا وإن شرا.

- الإشارة (هَذَا صِرَاطٌ) تعود للإخلاص في قوله: (إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ)؛ فالإخلاص صراط مستقيم يصل بالمخلصين إلى ربهم ورضوانه؛ وهو سبب حفظ الله لهم.

- ليس للشيطان على الغاوين سلطان إلا بدعوته إياهم واتباعهم له (وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ)!

- يتنازع الإنسان على الأرض دعوة الله (وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) والشيطان (يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ)!

- نكمل بإذن الله نظرات قرآنية في سورة الحجر، وفي قوله تعالى للمؤمنين: (إن المتقين في جنات وعيون ۝ ادخلوها بسلام آمنين).

- توعد الله من استجاب لدعوة إبليس من أهل الغواية بجهنم والعذاب الأليم، كما قال ﷻ لإبليس: (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين۝ وإن جهنم لموعدهم أجمعين ۝ لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم) ووعد ﷻ أهل دعوته بالنعيم المقيم (إن المتقين في جنات وعيون ۝ ادخلوها بسلام آمنين) وكلٌ انتهى إلى ما له سعى؛ وجزي بما إليه دعي!

- وعد الله المؤمنين بدخول دار السلام حيث الأمن الذي لا خوف معه، والسلم الذي لا أذى فيه، والسعادة التي لا يكدر صفوها حزن (ادخلوها بسلام آمنين).

- (إن المتقين في جنات وعيون) وصفهم الله بالتقوى؛ فهي سبب وقايتهم، ونجاتهم من النار، وفوزهم بالجنة؛ فالتصديق بلا تقوى تحجز عن الحرام والإجرام لا حقيقة له!

- هناك تلازم بين التقوى والسلام والأمن؛ فمن اتقى الله وُقيَ، ومن أسلم له سلِمَ، ومن آمن به أمِن (إن المتقين في جنات وعيون ۝ ادخلوها بسلام آمنين).

- لما كان الله هو السلام ومنه السلام و(يدعو إلى دار السلام)؛ كان الإسلام دار السلام في الأرض (ادخلوا في السلم كافة) كما الجنة دار السلام في السماء!

- لله في الأرض جنة، ودار للسلام، من لم يدخلها ويعش نعيمها ويعرف طعمها؛ لم يدخل دار السلام في السماء؛ فدخول الثانية لا يكون إلا عبر دخول الأولى!

- علّم الله آدم السلام؛ وجعله تحيته وذريته، وأمرهم بإفشائه بينهم، وجعل دينه الإسلام، وأمرهم بدخول السلم الكافة؛ وهي شرائعه كلها، وسمى جنته دار السلام!

- السلام غاية من غايات الإسلام؛ بل هو روح الإسلام وحقيقته، فالمسلم من سلم الناس من لسانه ويده، وكل أحكامه جاءت من أجل السلم مع الله والنفس والخلق.

- شرع الله الجهاد في سبيله من أجل الإسلام ودفع الظلم والعدوان وتحقيق السلم (ولا تعتدوا) (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله)؛ فهو مراده!

- **كل أحكام الإسلام وشرائعه هي دعوة للإسلام والسلم والأمن، وبقدر ما يحقق المسلم من السلم والإسلام في الأرض؛ يتحقق له به السلام والأمن يوم القيامة!**

- **حرم الله قتال من ألقى السلام؛ فهو شعار الأمن والإيمان (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا)؛ للتلازم بين الإسلام والإيمان والسلم والأمان.**

- **من أسماء الله (السلام المؤمن) فهو السلام ومنه السلام، وهو المؤمن ومنه الأمان؛ وبهما سمى الله عباده المسلمين المؤمنين (هو سماكم المسلمين).**

- **حقيقة الإسلام السلم والمسالمة (المسلم من سلم الناس من لسانه ويده)، وحقيقة الإيمان الأمن والأمان (والمؤمن من أمنه الناس)؛ ولا حقيقة لهما دونهما!**

- **(الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم لهم الأمن) الذي لا خوف معه، وبحسب ما يلبس به من شرك بالله أو عدوان وظلم للخلق؛ يفوت من الأمن يوم القيامة!**

- **الإسلام والإيمان مشتقان من السلم والأمن؛ وبهما يتحقق وعد الله للمسلمين والمؤمنين (ادخلوها بسلام آمنين) وبقدر ما يفوت منهما في الدنيا؛ يفوت في الآخرة!**

- **تغمر السعادة المؤمنين في الجنة على سررهم وفي قصورهم حتى تبلغ دخيلة صدورهم! (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين (٤٧)).**

- **تكرر نزع الغل من الصدور كجزء من نعيم الجنة مرتين، في سورة الحجر آية (٤٧) وفي سورة الأعراف آية (٤٣): (ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله).**

- **الغل والحقد والضغينة من دواعي الشر في النفس البشرية؛ لذا أمر الله بتطهير القلوب منها في الدنيا، ونزعها من صدور أهل الجنة؛ ليطهروا من كل شرورها.**

- **لما كانت الدار الآخرة تتفاضل في جنانها ونعيمها بحسب أعمال المؤمنين لها؛ طهر الله صدورهم من كل ضغينة وحسد فيما بينهم؛ فهم جميعا في غبطة وسرور!**

- **كل ما كان سببا لتحقق السعادة في الجنة؛ أمر الله المؤمنين بمثله؛ لتتحقق لهم في الدنيا... فقرر أخوّتهم في الدنيا: (إنما المؤمنون إخوة) كما سيكونون في الجنة: (إخوانا على سرر متقابلين) وأمرهم بالدعاء بتطهير قلوبهم من الغل كما قال ﷻ في وصفه وثنائه على المؤمنين الذين (يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم) وفي الجنة (ونزعنا ما في صدورهم من غل).**

- **أسعد ما يكون اللقاء والأنس بين الإخوة حين لا يكون في صدورهم غل ولا حقد؛ بل حب وود، ولا بينهم تدابر ولا تهاجر؛ بل توافق وترافق (على سرر متقابلين)!**

- **لما كان متاع الدنيا يكدره بين الأهل والأحباب العداوة والتباغض والتحاسد والتهاجر والموت؛ كان من نعيم الجنة التقابل والتواد والتصافي والخلود.**

- **(لا يمسهم فيها نصب)؛ فلا ألم جسدي أو نفسي (وما هم منها بمخرجين)؛ بل هم فيها خالدون؛ فلا يموتون، ولا هم منها يخرجون؛ وهذا أكمل صور النعيم والسعادة!**

- **بعد أن ذكر الله خبر الفريقين؛ من آمنوا وحالهم، ومن كفروا ومآلهم؛ جاء الإعلان الإلهي (نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم ۝ وأن عذابي هو العذاب الأليم)!**

- **(نبئ عبادي) تودد لهم بإضافتهم إلى نفسه، إضافة المخلوق المملوك للخالق المالك؛ تكريما لهم، ونوه بعبوديتهم له؛ تذكيرا بما يجب له عليهم من حق طاعته.**

- **(نبئ عبادي) فيه إشارة إلى عظم الأمر وشرفه، فالنبأ: الخبر ذو الشأن والخطر، وليس أشرف وأجل من الإخبار عن الله وصفاته جل جلاله، ومن خطابه لعباده.**

- **النبأ عن الله وأسمائه وصفاته لا يكون إلا عن الله وحده (قل أأنتم أعلم أم الله) (وما قدروا الله حق قدره) (ليس كمثله شيء) (ولا يحيطون به علما).**

- **النبأ عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله؛ يوجب التسليم للنبي ﷺ فيما أخبر به عن الله ﷻ والإيمان به (قل هو الله أحد ۝ الله الصمد ۝ لم يلد ولم يولد ۝ ولم يكن له كفوا أحد).**

- **(غفور رحيم) صيغتا مبالغة من اسم الفاعل غافر وراحم، وهما تفيدان في لغة العرب ثبوت الصفة للموصوف ورسوخها أبدا، وبلوغه الغاية في كمال اتصافه بها!**

- **(غفور رحيم) في حق الله صفتا كمال مطلق لا تدرك كنهها العقول علما ولا توهما إلا بإثبات المعنى المعقول في اللغة، والتسليم والإيمان بما وراء ذلك!**

- **جاءت (غفور) على وزن فعول التي يُلحظ في لفظها وجرسها معاني القوة والاقتدار والظهور كصبور وشكور، فالغفور الذي يستر الذنب ويعفو عنه مع قدرته وقهره!**

- **جاءت (رحيم) على وزن فعيل يدل على بلوغ الوصف بالموصوف غايته ومداه، والرحيم فيه معنى الرفق والعطف واللطف الخفي الذي تنقطع الأوهام عن تصور منتهاه!**

- **قوله تعالى: (نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم) يؤكد أن من مهام النبيء تعريف العباد بربهم وصفاته وأفعاله وحقه بعد أن حارت عقولهم في معرفته؛ فضلت وشقيت!**

- **معرفة الله وتوحيده أول طريق الهداية لهذا كان أول خطاب الله لموسى عليه السلام تعريفه بربوبيته وألوهيته (إني أنا ربك... إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري).**

- **كمال الله المطلق يتجلى في أثر أسمائه وصفاته وأفعاله في الوجود (فانظر إلى آثار رحمة الله) تشهد أنه (إله واحد) (ليس كمثله شيء) (فعال لما يريد).**

- **اسم (الغفور) و(غافر) فيه وصف لذاته؛ بينما قوله ﷻ: (فغفرنا له) (ويغفر لمن يشاء) فيه مقتضى الصفة في أفعاله التي تصدر عنه سبحانه بإرادته ومشيئته متى يشاء**

- **في صيغة اسم الفاعل (غافر) وصيغة المبالغة (غفور)؛ دلالة على ثبوتها له ﷻ واتصافه بالكمال فيها مع أنه أخبر بأنه (لا يغفر أن يشرك به)؛ لتخلف شرط مغفرته!**

- **لا تعارض بين أسمائه وصفاته كغفور وغافر التي تفيد ثبوت الاسم والصفة له أبدا ونفي مغفرته كفعل من أفعاله التي تتعلق بمشيئته؛ كما في قوله تعالى عن الذين ماتوا مشركين وكفارا واستغفر لهم المؤمنين (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين) وقوله ﷻ:**
  (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم)

- **عدم مغفرة الله لمن أشرك به لا ينافي اسم الغفور واتصافه بالوصف الثابت له أبدا؛ فالغفور يقتضي وجود الاستغفار ممن أشرك به (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى)**

- **ورد لفظ (غفر) و (يغفر) بالماضي والحاضر؛ لما في الأول من معنى الوقوع والتحقق، وما في الثاني من معنى الاستمرار والتجدد؛ وهما دالان على كمال قدرته ورحمته سبحانه.**

- **تكرر في القرآن (يغفر لمن يشاء) واقترن بالقدرة (والله على كل شيء قدير) وبالرحمة (والله غفور رحيم) وبالحلم (غفور حليم) وبالشكر (غفور شكور) وبالود (وهو الغفور الودود).**

- **في سياق التوبة وترك الإثم والظلم قرن الله اسمه الغفور بالرحيم؛ فهو من مواطن حاجة العباد إلى تجلي آثر هذين الاسمين لهم**
  كما في قوله تعالى: (إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم)
  وقوله ﷻ: (فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم)
  وقوله ﷻ: (إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم)
  وقوله ﷻ على لسان موسى عليه السلام بعد قتله القبطي: (قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم)
  وقوله ﷻ: (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم).

- **في سياق وقوع الزلل من العباد جهلا منهم بالحكم أو اضطرارا أو عجزا يأتي اسمه الغفور مقرونا باسمه الحليم للصفح عن جهلهم!**
  كما في قوله تعالى: (إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم)
  وقوله ﷻ: (ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا إلا أن تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه واعلموا أن الله غفور حليم)
  وقوله ﷻ: (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم).

- **في سياق نعمته على عباده بالجزاء الحسن قرن الله اسمه الغفور بالشكور الذي يجازي بالحسنة أضعافها وبالكثير على القليل!**
  كما في قوله تعالى: (ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إن الله غفور شكور)

وقوله ﷻ: (إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ۝ ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور)
وقوله ﷻ: (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور)

- وفي سياق التحذير من الظلم والبغي والمنكر قرن الله اسمه الغفور بالعفو الذي يعفو عن عباده ويغفر ما يقع منهم من تجاوز
كما في قوله تعالى: (الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا وإن الله لعفو غفور)
وقوله ﷻ: (ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور).

- (ونبئهم عن ضيف إبراهيم ۝ إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال إنا منكم وجلون ۝ قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم ۝ قال أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون ۝ قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين ۝) [الحجر: ٥١-٥٦]

- بدأت سورة الحجر بالحديث عن إنكار المشركين لنزول الملائكة على النبي ﷺ حتى لو فتحت أبواب السماء (لقالوا إنما سكرت أبصارنا) فذكرت نبأ ضيف إبراهيم!

- نبأ دخول الملائكة على إبراهيم على هيئة ضيوف وما دار بينهم وما بشروه به وأنذروه؛ هو حجة على إمكان نزول جبريل على محمد ﷺ وبشارته ونذارته بالوحي.

- وجِل إبراهيم من الملائكة حين قدم لهم الطعام (قال ألا تأكلون) فلم يأكلوا منه مع أنهم كانوا على هيئة بشر!
والوجل: بوادر استشعار الخوف في القلب.

- تشكُّل الملائكة على هيئة بشرية بقدرة الله؛ لا يخرجهم عن طبيعتهم الملائكية وأنهم من نور؛ لا يأكلون ولا تختلط بهم مادة الأرض التي خلق منها الإنسان.

- طمأن الملائكة إبراهيم (قالوا لا توجل) فالملائكة إنما تنزل؛ لتثبيت أولياء الله وتطمينهم؛ كما في قوله تعالى عن غزوة بدر: (إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا) وفيه تسلية للنبي محمد ﷺ وبشارة له.

- سلم الملائكة على إبراهيم (فقالوا سلاما) وطمأنوه (قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم) ثم بشروه بولده إسحاق من سارة؛ مع أنها عجوز عقيم وهو شيخ هرم؛ للدلالة على عظمة قدرة الله على خرق نواميس الخلق.

- قال إبراهيم: (أبشرتموني على أن مسني الكبر فبمَ تبشرون) فمع كونه نبيا صديقا إلا أنه نازعته بشريته وطبيعته المادية؛ فعجب من البشارة الخارقة للعادة!

- قال الملائكة حين رأوا تعجب إبراهيم (بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين) والقنوط هو اليأس أو أشد حالاته؛ وهو قطع الرجاء والأمل من وقوع الشيء!

- الإيمان بالله رجاء بالخير وأمل بالمستقبل وحسن ظن بالله واستبشار برحمته ونصره؛ وذلك ينافي القنوط (إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون)!

- القنوط واليأس من أبرز صفات الكفار الذين لا يرجون خيرا في هذه الحياة ولا يؤمنون بالله ولا بوعده وبعثه وجنته (كما يئس الكفار من أصحاب القبور).

- الرسل وأتباعهم قد يستيئسون لتأخر النصر ويستبطئون الفرج وتحقق الوعد (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) ولكنهم لا ييأسون ولا يقنطون من روح الله (ألا إن نصر الله قريب)!

- القرآن بشرى للمؤمنين (وبشر المؤمنين) والوحي جليّه وخفيّه بشارة (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) ومن البشارة الرؤيا الصادقة وهي وحي خفي!

- بشرت الملائكة إبراهيم حين نجاه الله من قومه وخرج مهاجرا بولده إسماعيل ووصف بالحلم (فبشرناه بغلام حليم) وبشرته بعد كبره (بغلام عليم) وهو إسحاق.

- (فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين ◯ وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين ◯ رب هب لي من الصالحين ◯ فبشرناه بغلام حليم ◯ فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين) [الصافات:٩٨-١٠٢]

(... إنا نبشرك بغلام عليم ◯ قال أبشرتموني على أن مسني الكبر...) [الحجر:٥٣-٥٤]

- كان إبراهيم أمة وحده (إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين) فريدا جمع الله فيه ما قسمه في ذريته من خلال الخير؛ فكان حليما (إن إبراهيم لأواه حليم) عليما (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم).

- كانت حاجة إبراهيم في أول حياته إلى ولد حليم صبور يتحمل معه مشاق الدعوة إلى الحنيفية وتجديد الملة (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل).

- صارت حاجة إبراهيم في آخر حياته إلى ولد يرث بعده العلم والنبوة؛ فجاءت البشارة بإسحاق العليم (ومن وراء إسحاق يعقوب)؛ فكانت النبوة في ذريتهما.
(ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب...) [العنكبوت:٢٧]

- جدد إبراهيم بناء المسجد الحرام بمكة مع ولده إسماعيل وأسكنه فيه (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل) وجدد بناء المسجد الأقصى بعد أربعين سنة؛ لتجديد دين الإسلام وإقامة ملة إبراهيم.

- توارثت ذريتا إسماعيل وإسحاق صفات أبويهما ومسجديهما؛ فورث العرب الحلم والكرم والخلق، وورث بنو إسحاق العلم والحجج؛ فلم يحفظوا ما استودعهم الله!

- (لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون) [المائدة:٧٠]
- (سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب) [البقرة: ٢١١]

- تتابع الأنبياء في بني إسحاق بالنبوءات والعلم الإلهي وهو نصيب أبيهم بالبشارة، ولم يبعث الله في بني إسماعيل نبيا إلا خاتمهم وأكرمهم محمدا ﷺ.
(ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين ◯ وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) [الجاثية: ١٦-١٧]
(لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) [آل عمران:١٦٤]

- ورث محمد ﷺ أبيه إبراهيم خَلقا؛ كما قال ﷺ في حديث الإسراء: «أما إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم -يعني نفسه ﷺ-، وأما موسى فجعد آدم...» وخُلقا وحلما وعلما وورث النبوة

الخاتمة (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي) (رسول الله وخاتم النبيين) وإمامة المسجدين وعمارتهما بالإسلام (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون ۝ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) [التوبة:١٧-١٨]
(وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس...) [الحج: ٧٨]

- بشرت التوراة والإنجيل بالنبي محمد ﷺ ووصف بأبرز صفاته وأنه حليم لا يدفع السيئة بالسيئة؛ بل يعفو ويصفح والحلم ميراثه من أبويه إبراهيم وإسماعيل!

- (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر...) [آل عمران:١٥٩]

- أسرى الله بالنبي ﷺ من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى وصلى فيه بالأنبياء وعرج به منه إلى السماء؛ للإعلان عن إمامته وإقامته ملة إبراهيم ﷺ.

- (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله...) [الإسراء:١] قال ﷺ: "... وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء... فحانت الصلاة؛ فأممتهم" وفي رواية: "ثم انطلقنا حتى أتينا بيت المقدس؛ فصليت به بالنبيين والمرسلين إماما"

- لا يستحق عمارة المسجدين (الحرام بمكة والأقصى بالقدس) إلا من كان على ملة إبراهيم ودينه الإسلام والحنيفية السمحة التي ورثها وجددها الله بمحمد ﷺ.

- (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون ۝ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ۝ أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين) [التوبة:١٧-١٩]

❁ قول إبراهيم (فبمَ تبشرون) على جهة التعجب؛ والسؤال هو سجية إبراهيم ﷺ وديدنه منذ أن أري ملكوت السموات والأرض ليكون من الموقنين بالله بحجة ودليل!

❁ (وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين ۝ فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين ۝ فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين ۝ فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون ۝ إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ۝ وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون ۝ وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون ۝ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ۝ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم) [الأنعام: ٧٥-٨٣]

❁ أبرز صفات إبراهيم منذ شبابه حين بحث عن الدين الحق واعترض على قومه إلى آخر حياته حين جادل الملائكة في البشارة: سؤاله وتحريه الدؤوب عن الحقيقة!

❁ أرى الله إبراهيم (ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين) فكان دائم السؤال والتحري؛ لمعرفة الحقيقة بالدليل والحجة (وتلك حجتنا آتيناه إبراهيم).

❁ سأل إبراهيم (رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) فأتباعه أحق بالتحري حتى تطمئن قلوبهم للإيمان بالدليل وباليقين!

❁ قال النبي ﷺ: (نحن أحق بالشك من إبراهيم) والشك هنا السؤال الدائم عن الحق للإيمان به عن علم وبرهان، فإذا كان هذا سجية إبراهيم؛ فأتباعه أولى وأحق!

❁ إذا كان إبراهيم خليل الرحمن الذي رأى من آيات الله ما لم يرها أحد ومع ذلك لم ينفك عن السؤال والبحث؛ فأتباعه أولى بطلب الحجج للوصول إلى اليقين.

❁ السؤال والتحري للوصول إلى الحق بأدلته وحججه هو أول طريق العلم والمعرفة وهو سنة إبراهيم في محاجة قومه، ثم محاجة النمرود ثم محاجة الملائكة!

- (ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين) [البقرة: ٢٥٨]

- لما فرغ إبراهيم من مجادلة الملائكة بالبشرى؛ سألهم عن الخطب الخطير الذي أتى بهم فلما أخبروه بأنهم جاءوا بالعذاب على قوم لوط أخذ يجادلهم أيضا!
(فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط) [هود: ٧٤]
(قال فما خطبكم أيها المرسلون) (... قالوا إنا مهلكو أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين ۝ قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين) [العنكبوت: ٣١-٣٢]

- جعل الله إبراهيم إماما، وطريقته ملة لكل من جاء بعده، وأولى الناس باتباعه المسلمون (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا).

- (قال أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون ۝ قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين ۝ قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون ۝ قال فما خطبكم أيها المرسلون ۝ قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين ۝ إلا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين ۝ إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين ۝ فلما جاء آل لوط المرسلون ۝ قال إنكم قوم منكرون ۝ قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون ۝ وأتيناك بالحق وإنا لصادقون) [الحجر: ٥٤-٦٤]

- أكد الملائكة البشارة لإبراهيم بولده إسحاق حين رأوا استبعاده حدوث مثل هذا الأمر الخارق للعادة ونهوه أن يكون من القانطين؛ والقنوط أشد صور اليأس.

- القنوط لا يكون من مؤمن؛ فهو سوء ظن بالله وكفر به؛ سواء بقطع الرجاء به واستبعاد الخير والفرج منه أو باعتقاد عدم قدرته على دفع الضر؛ وكل ذلك كفر.

- أخبر إبراهيم بأنه لا يقنط من رحمة الله إلا الضالون عن الله وهداياته وصراطه المستقيم؛ إذ رحمة الله لا يستغني عنها كل إنسان من مولده حتى وفاته.

- لما استقبل إبراهيم البشرى سأل الملائكة عن الخطب الجلل والأمر الخطير الذي أتى بهم؛ إذ البشارة لا تقتضي منهم تشكلهم على هذه الهيئة الغريبة عليهم!

- كما تنزل الملائكة بالبشرى للمؤمنين هداية كانت كالقرآن أو رزقا ورحمة كالمطر؛ تأتي كذلك بالنذارة للمجرمين وبكليهما جاءت به حين نزلت على إبراهيم.

- أخبرت الملائكة بأن الله أنزلهم بالعذاب على قوم لوط بسبب إجرامهم (إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين) والوصف بالإجرام؛ مشعر بالعلة؛ وهي استباحتهم الفاحشة!

- لم يستثنِ الله من هذا العذاب الأليم الذي أرسل به الملائكة إلا آل لوط؛ وذلك بأنهم (أناس يتطهرون) بالإيمان من رجس الشرك، وبالصلاح عن دنس الفواحش.

- استثنى الله من آل لوط امرأته؛ لما سبق عليها من القدر النافذ بالعذاب مع قومها حين خانت زوجها بالكفر بالله مع قومها واستخفافها بوعيده وعذابه.

- جاءت الملائكة إلى النبي لوط (فلما جاء آل لوط المرسلون ۝ قال إنكم قوم منكرون) فأنكرهم فلم يكونوا من قومه ولا هيئتهم تنبئ عن حقيقتهم الملائكية

- كشف الملائكة للوط عن حقيقتهم والمهمة التي وكلهم الله بها وأنهم جاءوا بالحق الذي طالما شك وكذب به قومه وهو العذاب (وأتيناك بالحق وإنا لصادقون).

- الحق هو الشيء الثابت الذي لا يتغير وهو هنا العذاب الذي كتبه الله على المجرمين ونزل الملائكة؛ لتنفيذه، والقول الصدق النذارة التي أخبرت لوطا بها!

- (فلما جاء آل لوط المرسلون ۝ قال إنكم قوم منكرون ۝ قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون ۝ وأتيناك بالحق وإنا لصادقون ۝ فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون ۝ وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ۝ وجاء أهل المدينة يستبشرون ۝ قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون ۝ واتقوا الله ولا تخزون ۝ قالوا أولم ننهك عن العالمين ۝ قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين ۝ لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون ۝ فأخذتهم الصيحة مشرقين ۝ فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ۝ إن في ذلك لآيات للمتوسمين ۝ وإنها لبسبيل مقيم ۝ إن في ذلك لآية للمؤمنين) [الحجر: ٦١-٧٧]

- أمرت الملائكة لوطا أن يسري بأهله ليلا ويخرجوا من قريتهم قبل نزول العذاب صباحا ولا يلتفت منهم أحد؛ فيتأخر عن السير والنجاة ويهوله مشهد العذاب!

- بلغ من انحلال قوم لوط الأخلاقي وانتكاس فطرتهم أن هرعوا لضيوفه يريدون منهم ممارسة الفاحشة مثلهم، ولم يعلموا بأنهم الملائكة الذين نزلوا بعذابهم!

- كان هذا السلوك من قوم لوط مع ضيوفه أوضح دليل على إصرارهم على كفرهم وفجورهم إلى آخر مهلة لهم، ولم يكن فيهم رجل رشيد؛ فحق عليهم العذاب جميعا..

- (ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب ۝ وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد) [هود: ٧٧-٧٨]

- وعظ لوط قومه؛ لينتهوا عن هذه الفاحشة، ولا يفضحوه في ضيوفه، وأمرهم بالتطهر منها بالزواج المباح من نسائهم؛ وهن بناته مجازا؛ وهذا قول جمهور المفسرين وظاهر السياق كما في قوله تعالى: (ما لنا في بناتك من حق) يرجح أنه قصد بنات آل لوط إما على الظاهر والحقيقة بالزواج منهن، أو هو على غير ظاهره من باب تبكيتهم وتقبيح فعلهم، وأنه أن تأخذوا بناتي أهون في الإجرام من أن تتعرضوا لضيوفي بالسوء، وهن أطهر لكم كنساء من أن تأتوا الفاحشة مع الرجال؛ فأبوا إمعانا في فجورهم!

- (لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون) أقسم الله بأن قوم لوط وفي تلك اللحظة التي لم يبق بينهم وبين وقوع العذاب بهم إلا ليلة واحدة؛ كانوا في سكرتهم وفجورهم يعمهون، وقد قطع الله عذرهم!

- العمه عمى القلب؛ وأكثر ما ورد في القرآن منوطا بالطغيان (في طغيانهم يعمهون) وجاء هنا مصحوبا بالسكر بالشهوات التي تعمي البصيرة عن عواقب الفاحشة!

- (فأخذتهم الصيحة) رتب الفعل بالفاء؛ لترتب النتيجة بعد السبب المناسب؛ حيث ناسب السكرة التي كانوا فيها الصيحة التي أفاقوا منها بعد فوت الأوان!

- كانت الصيحة عقوبة لهم على العمه الذي أصابهم بسكرة شهواتهم حتى ينزل بهم العذاب وهم في كامل وعيهم وإحساسهم بما يحل بهم من العذاب على فجورهم!

- حلّ العذاب بقوم لوط صباحا (مشرقين)؛ ليكون ذلك أنكى لهم وأشد عليهم، فيروا ما حل بهم بقلوبهم أيقظ ما تكون بالصحوة وبأعينهم أبصر ما تكون بالضحوة!

- ضرب الله (سدوم) مدينة قوم لوط بزلزال؛ فجعل عاليها سافلها لانتكاس فطرتهم ثم أمطر عليها حجارة من سجيل بركاني؛ فطمرهم وجعلهم آية لمن جاء بعدهم!

- (وإنكم لتمرون عليهم مصبحين ۝ وبالليل أفلا تعقلون) [الصافات: ١٣٧-١٣٨]
صارت قرى قوم لوط على جانب البحر الميت آية تمر عليها قوافل العرب في تجارتها إلى الشام وهي في طريقهم شاهدة على قدرة الله لمن عقل، وعبرة لمن آمن!

- (وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين ۝ فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين ۝ ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين ۝ وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين ۝ وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين ۝ فأخذتهم الصيحة مصبحين ۝ فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) [الحجر: ٧٨-٨٤]

- بعد أن قصت سورة الحجر نبأ قوم لوط وما حلّ بهم من العذاب بسبب انحرافهم الأخلاقي؛ أتبعتهم بنبأ قوم شعيب أهل مدين وظلمهم وطغيانهم الاقتصادي.

- تكرر الربط بين مدينة سدوم وهم قوم لوط ومدين أصحاب الأيكة وهم قوم شعيب في خمس سور قرآنية هي:

- الأعراف: (ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين... وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها)
- وهود: (ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب... وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط) [هود: ٨١-٨٤]
- والشعراء: (كذبت قوم لوط المرسلين... كذب أصحاب الأيكة المرسلين ۝ إذ قال لهم شعيب ألا تتقون...)
- والعنكبوت: (ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين ... وإلى مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين)
- والحجر: (فلما جاء آل لوط المرسلون ۝ قال إنكم قوم منكرون... وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين ۝ فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين).

- كان طغيان قوم شعيب في الأموال وأكلهم لها بالباطل وبخسهم الناس أشياءهم وتطفيف الكيل والميزان؛ (وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها) فحلّ بهم العذاب بالرجفة؛ (فأصبحوا في دارهم جاثمين)!

- لا يقل الطغيان الاقتصادي خطرا على المجتمعات والأمم من خطر الانحلال الأخلاقي؛ فكلاهما عدوان على الإنسان روحيا وماديا، وخروج به عن حد الاستقامة.

- أبرز القرآن في نبأ قوم لوط مظاهر شيوع الفاحشة فيهم، وفي نبأ مدين مظاهر الفساد الاقتصادي؛ وجعلهما سبب نزول العذاب؛ لخطورة هذه الظواهر على الأمم!

- ثم ذكرت السورة بعدهما ثمود أصحاب الحجر قوم النبي صالح، وقد كانوا أسبق وجودا من سدوم ومدين وأسبق ذكرا في باقي سور القرآن للتشاكل بين خبرهم!

- كما في سورة الشعراء: (كذبت ثمود المرسلين... كذبت قوم لوط المرسلين... كذب أصحاب الأيكة المرسلين...)

- وسورة الأعراف: (وإلى ثمود أخاهم صالحا... ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين... وإلى مدين أخاهم شعيبا...).

- اشتهرت ثمود بالبطر والترف المادي والطغيان الاجتماعي والطبقية بين المستكبرين والمستضعفين وطاعة أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون!

- (كذبت ثمود المرسلين ۝ إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون ۝ إني لكم رسول أمين ۝ فاتقوا الله وأطيعون ۝ وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين ۝ أتتركون في ما هاهنا آمنين ۝ في جنات وعيون ۝ وزروع ونخل طلعها هضيم ۝ وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين ۝ فاتقوا الله وأطيعون ۝ ولا تطيعوا أمر المسرفين ۝ الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون) [الشعراء: ١٤١-١٥٢]

- (وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ... واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين ۝ قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين

استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون ۝ قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون) [الأعراف]

- أخذ العذاب ثمود وهم آمن ما كانوا في قصورهم لا يخافون عدوا، وأرغد ما يكونون عيشا ونعمة، فلا يخشون فقرا؛ فكانت ذنوبهم أشد خطرا عليهم من عدوهم!

- كل هذه الأمم الثلاث تنوعت صور انحرافهم وطغيانهم المجتمعي (أخلاقي واقتصادي واجتماعي) وأسباب عذابهم؛ لعدم اتباعهم هدايات السماء ودعوة الأنبياء.

- ما زال الظلم والطغيان بكل صوره سواء ظلم الإنسان لنفسه أو عدوانه على غيره في عرضه أو ماله هو سبب انهيار الأمم وسقوط الدول حين يعم ويستشري!

- (وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل) [الحجر: ٨٥]

- بعد أن قصّت السورة نبأ الأمم السابقة وما حلّ بها من العقاب؛ بسبب فسادها وظلمها وطغيانها؛ ذكرت ما يؤكد مناسبة ذلك مع خلق السماوات والأرض بالحق.

- خلق السموات والأرض بالحق؛ يقتضي أخذ الله للظالمين بظلمهم والمجرمين بجرمهم والجزاء في الدنيا؛ لإصلاح الأرض؛ فلا تستقيم الحياة إلا بالعدل والحق!

- كلما انحرفت البشرية وطغت واختلت الأرض بظلم الإنسان وفساده؛ حلّ بها من العذاب ما يعيدها إلى نصابها؛ كما يقع من آثار الحروب الذي يكون به صلاحها

- قال ﷻ: (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون) [الأنعام: ٦٥]

- قال القرطبي في تفسير (ويذيق بعضكم بأس بعض) (أي: بالحرب والقتل في الفتنة؛ عن مجاهد. والآية عامّة في المسلمين والكفار. وقيل هي في الكفار خاصَّة. وقال الحسن: هي في أهل الصلاة.

قلت: وهو الصحيح؛ فإنه المشاهد في الوجود، فقد لَبسنا العدوّ في ديارنا واستولى على أنفسنا وأموالنا، مع الفتنة المستولية علينا بقتل بعضنا بعضا وٱستباحة بعضنا أموال بعض. نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن).

- **أخذ الله للأمم لم ينته بانتهاء الرسل؛ بل هو جارٍ على وفق السنن الكونية إلى قيام الساعة ومنوط بأسبابها؛ كاستئصال الظالمين والجبابرة بالحروب.**

- **لم يخلق الله السموات والأرض وما بينهما لعبا ولا عبثا؛ بل خلقهما بالحق الذي يتجلى في الحكمة البالغة فيما يجري فيهما وفق سنن لا تتخلف أبدا.**

- **الحق في الخلق هو جريان كل مخلوق على وفق السنن التي يستقيم بها وجوده ويبلغ بها كماله وصلاحه وتتحقق بها الحكمة من خلقه؛ فإذا خرج عنها اضمحل وزال!**

- **وعد الله أنه لا يهلك الأمم بالشرك وحده الذي جعل الجزاء عليه أخرويا إذا أصلحوا وعدلوا؛ بل يهلك الأمم بالظلم والفساد والطغيان فهو لا يحب الفساد.**

- **كما قال تعالى: (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا)** [الإسراء: ١٦]

وقال ﷻ: (وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد) [البقرة: ٢٠٥]

وقال ﷻ: (وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال ۝ وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال) [إبراهيم: ٤٤-٤٥]

وقال ﷻ: (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) [هود: ١١٧]

- **قال القرطبي في تفسيره: (قوله تعالى: (وما كان ربك ليهلك القرى) أي: أهل القرى. (بظلم) أي: بشرك وكفر. (وأهلها مصلحون) أي: فيما بينهم في تعاطي الحقوق؛ أي: لم يكن ليهلكهم بالكفر وحده حتى ينضاف إليه الفساد، كما أهلك قوم شعيب ببخس المكيال والميزان، وقوم لوط باللواط؛ ودلّ هذا على أن المعاصي أقرب إلى عذاب الاستئصال في الدنيا من الشِّرك، وإن كان عذاب الشّرك في الآخرة أصعب. وفي صحيح الترمذيّ من حديث أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده").**

- من سنن الله المطردة أن يقيم الدول والأمم بالعدل وإن كانت مشركة ويمتعها به ويهلك الدول بالظلم وإن كانت مسلمة؛ فالعدل أساس العمران والظلم خرابه.

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٤٦): (وأمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل الذي فيه الاشتراك في أنواع الإثم: أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم تشترك في إثم؛ ولهذا قيل: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة؛ ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة. ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والإسلام. وقد قال النبي ﷺ: "ليس ذنب أسرع عقوبة من البغي وقطيعة الرحم" فالباغي يصرع في الدنيا وإن كان مغفورا له مرحوما في الآخرة وذلك أن العدل نظام كل شيء؛ فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بعدل لم تقم وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة..).

- (وإن الساعة لآتية) (والساعة حق)؛ فهي الحق الذي ينتهي إليه كل مخلوق وهي الوعد الحق الذي عنده تتجلى الحكمة من خلق السموات والأرض وما بينهما.

- ساعة كل موعود نهايته وأجله، وساعة الخلق كلهم يوم القيامة؛ حيث يشهد الجميع حينها بأن الله هو الحق وقوله الحق ووعده الحق والبعث حق والجزاء حق.

- (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين) [النور: ٢٥]
(... وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل ۝ إن ربك هو الخلاق العليم) [الحجر: ٨٥-٨٦]

- أخبر الله نبيه ﷺ أن الساعة آتية وأمره بناء على هذه الحقيقة بالصفح الجميل والصبر على كفر قومه؛ فهو تفريع عليها؛ فبينهما مناسبة تقتضي هذا الترتيب.

- المناسبة بين قرب الساعة والصفح الجميل هو أن ساعة كل شيء حلول أجله وحدوث نهايته، فلا ينبغي استعجال وقوعه؛ بل الصبر حتى تتحقق الحكمة من المهلة!

- الأصل أن الساعة في القرآن يراد بها يوم القيامة ونهاية هذه الحياة، وفيها هنا إشارة إلى قرب ساعة الملأ، ونهاية موعدهم بظهور الإسلام وقطع دابرهم!

- تفريع الصفح وترتيبه بالفاء على قرب الساعة (فاصفح) هو كأمر الله نبيه ﷺ بالصبر حتى يتحقق الوعد في الدنيا بظهوره ونصره، وفي الآخرة بالبعث والجزاء

- (فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون) [الروم: ٦٠]
(فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون) [الأحقاف: ٣٥]

- الصفح الجميل من أوجب صفات المصلحين؛ فهو يتضمن صبر لا جزع معه، وعفو لا غضب يكدره، ومسامحة لا عتاب فيها؛ وهي أكمل صور الرحمة بالمخالف والشفقة عليه!

- الصفح الجميل هو الخلق المناسب لمن علم بأن الله هو (الخلاق العليم)؛ وهما صيغتا مبالغة؛ تفيدان الإحاطة بالخلق إيجادا وخلقا، وما يصدر عنه قضاء وقدرا.

- ربك يا محمد (هو الخلاق العليم) الذي خلقهم وقدر عليهم ما يجري منهم من ظلم وكفر وطغيان عن علم تام وحكمة بالغة وهو ما يقتضي الصفح والصبر الجميل!

- إضافة الرب إلى ضمير المخاطب (إن ربك هو الخلاق) يفيد تشريف النبي ﷺ وتكريمه باختصاصه بتربية الله له وهو ما يقتضي منه كمال الخلق (وإنك لعلى خلق عظيم) بالصفح الجميل.

- تفيد الإضافة في (إن ربك هو الخلاق العليم) نفي كل آلهتهم وأربابهم المزعومة، وحصر صفة الخلاق العليم بالله وحده الذي بعث محمدا ﷺ ليدعو إلى طاعته.

- (ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ۝ لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين) [الحجر: ٨٧-٨٨]

- بعد أن أمر الله نبيه ﷺ بالصفح الجميل امتن عليه وعلى أمته بالقرآن الذي يخرجهم به من الظلمات إلى النور وأجاب دعوتهم بالفاتحة (اهدنا الصراط المستقيم).

- السبع المثاني هنا هي سورة الفاتحة وآياتها السبع كما ورد في الصحيح: ((الحمد لله رب العالمين)؛ هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته)
والمثاني من التثنية وتكرير الثناء فيها على الله وحمده وتمجيد في كل الصلوات.

- كل القرآن العظيم كما الفاتحة (كتابا متشابها) في فصاحة لفظه وإعجاز نظمه وإحكامه (مثاني) لا اختلاف فيه ولا تناقض في أحكامه؛ بل يصدق بعضه بعضا.

- (آتيناك سبعا) جاءت نكرة؛ لغرض التعظيم والتنويه بشرف الفاتحة وآياتها السبع؛ فهي أم القرآن وفاتحته التي أوجزت قضيته كلها توحيدا وعبودية وهداية!

- القرآن كله شرح للسبع المثاني من أولها (الحمد لله)، تعريفا بالله وأسمائه وصفاته إلى آخرها (اهدنا الصراط المستقيم)؛ بيانا لأحكامه وحلاله وحرامه،

- أمر الله نبيه ﷺ أن يستغني بالسبع المثاني والقرآن العظيم؛ وكأنه رتب وفرع على هذه المنة بالفاء أي فلا تمدن عينيك..؛ فالمنة بهما سبب يقتضي الاستغناء عما سواهما!

- مد العين كناية عن إطلاق النظر في متع الدنيا وزينتها واستحسانها؛ فنهى الله عن الإعجاب والاغترار بها؛ إذ هي فتنة واختبار ونهايتها إلى فناء وبوار!

- (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) [الحديد: ٢٠]

- قال ﷺ: (ليس منا من لم يتغن بالقرآن) يعني يستغني به؛ فلا يمدن عينيه إلى الدنيا وزينتها بعد أن كشف القرآن له حقيقتها وهداه سبيل النجاة من فتنتها!

- الاستغناء بالقرآن هو غنى القلب والنفس به كما قال ﷺ: (إنما الغنى غنى النفس) ولا تغتني النفس من فقرها وحاجتها إلا بالله والإيمان به واتباع هداه!

- نهى الله نبيه ﷺ عن استحسان ما عليه قومه من ترف وزينة ومتاع ومن ماثلهم من الأزواج؛ وهم الأصناف والأقوام الذين على شاكلتهم في الاستمتاع بالدنيا.

- بعث الله نبيه محمدا ﷺ بالحنيفية السمحة؛ فلا رهبانية فيها وعزوف واعتزال للحياة تدينا، ولا اغترار بها وانشغال بزينتها الفانية عن الآخرة الباقية!

- النبي ﷺ هو النموذج الأكمل للإنسانية في تحقيق التوازن ورعاية حاجة الإنسان الفطرية الدنيوية؛ بلا افتتان فيها، وحاجته الروحية؛ بلا رهبانية دينية.

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها؛ فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا؛ فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: "أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له؛ لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني".

- (لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين) [الحجر: ٨٨]

- أمر الله نبيه ﷺ بما يجب على كل داع إلى الله الاقتداء به فيه بعد الصفح الجميل عن المعرضين وعدم مد النظر إلى نعيمهم الزائل؛ وهو ألا يحزن عليهم.

- كان الحزن يبلغ من النبي ﷺ غايته؛ حتى أنه تكاد تذهب نفسه حسرة؛ بسبب إعراض قومه رحمة منه بهم وشفقة عليهم؛ فأمره الله ألا يحزن مما قدره الله وقضاه.

- كما في قوله تعالى: (لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين) [الشعراء: ٣] وقوله ﷻ: (فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا) [الكهف: ٦] قال القرطبي في تفسيرها: («باخع» أي: مُهلك وقاتل.. «آثارهم» جمع أثر، ويقال إثر. والمعنى: على أثر تولّيهم وإعراضهم عنك..(إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا) أي: القرآن. (أسفا) أي: حزنا وغضبا على كفرهم) (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون) [فاطر: ٨]

- (ولا تحزن عليهم) النهي عن الحزن عليهم هو من كمال الصبر والصفح الجميل عنهم؛ بقطع علائق النفس بالدنيا وأهلها المعرضين عن الله وهداه، المغرورين عنه بمتعة الحياة.

- جعل الله إبراهيم أمة وأسوة، وجعل طريقته ملة للمؤمنين في دعوته إلى الله وهجرته إليه وقطع علائقه مع أبيه حين أراد منه ألا يفارق دينهم وأوثانهم.

- قال تعالى: (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير) [الممتحنة: ٤]

- أشد ما يعيق أتباع الرسل من المصلحين والدعاة إلى الله عن السير في طريق الله وتحمل تبعاته هي عواطفهم تجاه أعداء الله المعرضين عنه والحزن عليهم!

- النهي عن الحزن سواء على حال المعرضين أو الحزن مما يصيب المؤمنين؛ ورد في سياق خاص وعام؛ لما للحزن من أثر سلبي على النفس وعزيمتها ومنافاته للرضا (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) [آل عمران: ١٣٩]

- (ولاتحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين)
قرن الله عدم الحزن على المعرضين بخفض الجناح للمؤمنين؛ كناية عن لين الجانب لهم والرفق بهم والشفقة عليهم؛ فهم أحق بالرعاية والعناية من المعرضين!
(وأنذر عشيرتك الأقربين ۝ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ۝ فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون) [الشعراء: ٢١٤-٢١٦]

- خفض الجناح للمؤمنين من حقوق الولاية الإيمانية التي جعلها الله بينهم (رحماء بينهم)؛ وإنما تكون واجبة لهم ولضعفائهم على من تولى أمرهم أو كان من أولي أمرهم!
وقد كان من دعائه ﷺ: "اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به، اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه".

- في غمرة حماسة الداعية لدعوته وحرصه على الإصلاح؛ قد ينشغل بالملأ المستكبرين والاهتمام بهدايتهم على حساب المؤمنين المستضعفين وحاجتهم للتغيير!

- كما في قصة النبي ﷺ وابن أم مكتوم عندما جاءه وهو مشتغل بدعوة وجهاء قريش؛ فأعرض عنه طمعا في إسلامهم؛ فأنزل تعالى معاتبا نبيه ﷺ: (عبس وتولى ۝ أن جاءه الأعمى ۝ وما يدريك لعله يزكى ۝ أو يذكر فتنفعه الذكرى ۝ أما من استغنى ۝ فأنت له تصدى ۝ وما عليك ألا يزكى ۝ وأما من جاءك يسعى ۝ وهو يخشى ۝ فأنت عنه تلهى ۝ كلا إنها تذكرة ۝ فمن شاء ذكره) [عبس: ١-١٢]
قال الطبري: (أقبل ابن أمّ مكتوم والنبي ﷺ مشتغل بمن حضره من وجوه قريش يدعوهم إلى الله تعالى، وقد قوي طمعه في إسلامهم، وكان في إسلامهم إسلام من وراءهم من قومهم، فجاء ابن أمّ مكتوم وهو أعمى فقال: يا رسول الله علمني مما علمك الله، وجعل يناديه ويكثر النداء، ولا يدري أنه مشتغل بغيره، حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله ﷺ لقطعة كلامه... قال الثوري: فكان النبي ﷺ بعد ذلك إذا رأى ابن أمّ مكتوم يبسط له رداءه ويقول:

«مرحبا بمن عاتبني فيه ربي». ويقول: «هل من حاجة» وٱستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين غزاهما...
قال علماؤنا: ما فعله ٱبن أمّ مكتوم كان من سوء الأدب لو كان عالما بأن النبي ﷺ مشغول بغيره، وأنه يرجو إسلامهم، ولكن الله تبارك وتعالى عاتبه حتى لا تنكسر قلوب أهل الصُّفَّة؛ أو ليعلم أن المؤمن الفقير خير من الغني، وكان النظر إلى المؤمن أولى وإن كان فقيرا أصلح وأولى من الأمر الآخر، وهو الإقبال على الأغنياء؛ طمعا في إيمانهم، وإن كان ذلك أيضا نوعا من المصلحة... وقيل: إنما قصد النبي ﷺ تأليف الرجل، ثقة بما كان في قلب ٱبن أمّ مكتوم من الإيمان؛ كما قال: "إني لأصل الرجل وغيره أحب إليّ منه، مخافة أن يكُبه الله في النار على وجهه").

- كل دعوة تنشغل بالملأ المستكبرين عن المؤمنين المستضعفين وتحقيق حاجتهم للتغيير والإصلاح؛ تنتهي بمداهنتها للملأ والركون إليهم والتخلي عن دعوتها!

كما في قوله تعالى: (وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا ۝ ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا) [الإسراء: ٧٣-٧٤]
وقوله ﷻ محذرا نبيه ﷺ: (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون) [هود: ١١٣]

- انتهت السورة بما بدأت به بالحديث عن القرآن المبين والكافرين به؛ فذكرت النبي ﷺ النذير المبين؛ فانتظم موضوعها بين المبين القرآني والمبين الإنساني.

- (الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) [الحجر: ١]
- (وقل إني أنا النذير المبين) [الحجر: ٨٩]

بالقرآن المبين في أول السورة؛ بآياته وهداياته، والرسول النذير المبين في آخرها؛ ببيناته وشمائله ومعجزاته؛ أقام الله بهما الحجة على الخلق أجمعين!

- (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما) [النساء: ١٦٥]
- (وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ۝ أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين) [الأنعام: ١٥٥-١٥٦]

- (أنا النذير المبين) صيغة تحتمل أنه مبين للوحي (...وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم...) [النحل: ٤٤] أو المبين للنذارة أو البائن بنفسه الظاهر في نبوته ورسالته لا يخفى أمره على ذي لب.

❁ (كما أنزلنا على المقتسمين ◯ الذين جعلوا القرآن عضين) [الحجر: ٩٠-٩١]
حذرت السورة الكافرين - الذين بدأت الحديث بهم - المقتسمين على قتل النبي ﷺ كما اقتسم الملأ من ثمود على قتل صالح (تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله)

❁ المقتسمين من الاقتسام وهو التحالف على قتله ﷺ أو التقاسم باشتراكهم في المؤامرة عليه أو الانقسام في شأنه وكيف يصدون الناس عنه أهو شاعر أم ساحر!

❁ أبرز صفات المقتسمين؛ جعلهم القرآن عضين أقساما يتنازعون فيه تارة يقولون شعر وتارة سحر أو مفرقا يصدقون ببعضه ويردون بعضه بدلا من الإيمان به كله.

❁ (فوربك لنسألنهم أجمعين ◯ عما كانوا يعملون) [الحجر: ٩٢-٩٣]
أقسم الله بذاته العلية وأضافها إلى النبي ﷺ؛ تشريفا له ﷺ وتعظيما لقدره عما اتهمه به المقتسمون وافتراه عليه المبطلون ليسألنهم عما كانوا يعملون!

❁ (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ◯ إنا كفيناك المستهزئين) [الحجر: ٩٤-٩٥]
أمر الله رسوله ﷺ بالصدع بدعوته ورسالته؛ فقد أنزل الله عليه القرآن المبين والفرقان المستبين الذي يفرق بين الحق والباطل؛ فلا يلتفت إلى المقتسمين.

❁ أمر الله رسوله ﷺ بالصدع بالحق والبلاغ للرسالة والإعراض عن المشركين الذين يستهزئون به ويفترون عليه ويسخرون منه؛ فلا يشتغل بهم عن المضي في دعوته.

❁ وعد الله نبيه ﷺ بحفظه من كيد المقتسمين وبكفايته شرهم؛ فتحقق وعده على أكمل وجه وأتم كفاية وظهر أمره ظهورا معجزا وبلغ دينه مشارق الأرض ومغاربها
(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) [الصف: ٩]

❁ كل ما أمر الله به رسوله ﷺ في هذه الوصايا من الصدع بالحق والإعراض عن المقتسمين؛ مخاطب به أيضا ورثته ﷺ من العلماء الربانيين والدعاة المصلحين.

❁ **(إنا كفيناك المستهزئين ۝ الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون ۝ ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون ۝ فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ۝ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)** [الحجر: ٩٥-٩٩]

❁ **كفى الله نبيه ﷺ المستهزئين به من أعدائه في حياته وبعد وفاته، فلا يتعرض أحد لجنابه ﷺ بالاستهزاء والسخرية إلا خذله الله وأذله؛ وهذه سنة لله مطردة!**

❁ **استهزأ كسرى برويز برسالة النبي ﷺ له ومزقها؛ فمزق الله ملكة وأذله الله!**

وعظم رسائله ﷺ هرقل والنجاشي والمقوقس؛ فأبقى الله لهم بعض ملكهم ومكانتهم!

❁ **الاستهزاء بالله ورسله أشد أنواع الكفر؛ ولهذا كان المنافقون في الدنيا في ذل وخزي وفي الآخرة في الدرك الأسفل من النار؛ لاستهزائهم بالله ورسوله ﷺ**

(ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ۝ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين ۝ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون ۝ وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم) [التوبة: ٦٥-٦٨]

(إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا) [النساء: ١٤٥]

❁ **كفاية الله لنبيه ﷺ من المستهزئين تكون بنصره بأسباب سماوية كالملائكة، وبشرية كجهاد المؤمنين، لمن استهزءوا به بالحجة والبيان والقتال في سبيل دينه**

(إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) [التوبة: ٤٠]

(وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين) [الأنفال: ٦٢]

❁ **أوجب الله على المؤمنين توقير النبي ﷺ ونصرته وتعزيره وتعظيمه؛ بطاعته واتباعه وحبه والاقتداء به والجهاد في سبيل دينه والصلاة عليه كلما ذكر اسمه**

كما في قوله تعالى: (إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ۝ لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه...) [الفتح: ٨-٩]

- ((وَتُعَزِّرُوه) أي: تعظموه وتفخّموه؛ قاله الحسن والكلبي. والتعزير: التعظيم والتوقير. وقال قتادة: تنصروه وتمنعوا منه. ومنه التعزير في الحدّ؛ لأنه مانع. قال القطامِيّ:
ألا بَكَرَتْ مَيٌّ بغير سَفَاهةٍ   تُعاتِبُ والمَوْدُودُ ينفعه العَزْرُ
وقال ابن عباس وعكرمة: تقاتلون معه بالسيف. وقال بعض أهل اللغة: تطيعوه. (وتوقروه) أي: تسوِّدُوه؛ قاله السدي. وقيل تعظموه. والتوقير: التعظيم والتَّرْزين أيضا. والهاء فيهما للنبي ﷺ) تفسير الجامع لأحكام القرآن للطبري.

- وقال ﷻ: (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)
[الأحزاب: ٥٦]

- كان النبي ﷺ يحزن ويضيق صدره من استهزاء قومه به؛ فأمره الله بما فيه شفاء صدره وذهاب حزنه؛ وهو كثرة ذكر الله والتسبيح بحمد الله والصلاة والعبادة.

- (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون ۝ فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ۝ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)

- كثرة ذكر الله وتسبيحه مما تطمئن به القلوب وتنشرح به الصدور (ألا بذكر الله تطمئن القلوب)؛ ولهذا كان النبي ﷺ إذا حزّ به أمر؛ صلّى ودعا بدعاء الكرب، كما في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان النبي ﷺ يدعو عند الكرب يقول: "لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش العظيم"

- كان النبي ﷺ يجد راحته وقرة عينه في الصلاة، وأمر الله المؤمنين في مواطن الشدة والخوف بالصلاة وذكر الله كثيرا؛ لربطهما على القلوب وتثبيت النفوس

- كما في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون)
[الأنفال: ٤٥]
- وقوله ﷻ: (واستعينوا بالصبر والصلاة...) [البقرة: ٤٥]
- وكان ﷺ يقول: "أقم الصلاة يا بلال، أرحنا بها". رواه أبو داود.

- (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)
أمر الله رسوله ﷺ بالثبات على توحيده وعبادته وإخلاص دينه وألا يصرفه عن ذلك استهزاء أعدائه حتى يأتيه اليقين ويتحقق الفتح والوعد ويتوفاه الله.

- (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) [الحجر: ٩٩]
ظاهر الآية أقم على عبادة ربك وطاعته حتى يأتيك أجلك؛ كقوله: (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون)(وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا).

- من المعاني الإشارية للآية؛ أن الإيمان بالله والغيب أصل، والإخلاص بالعبادة فرعه، واليقين غايته وثمرته وهي مشاهدة ملكوت الله (وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين) [الأنعام: ٧٥]

- اليقين أكمل درجات الإيمان؛ كما قال ابن مسعود: (اليقين الإيمان كله)؛ وهو أثبت صور العلم والمعرفة والإدراك القطعي للحقائق بمشاهدة البصر والبصيرة؛ كما في قوله تعالى عن الذين ادعوا قتل عيسى (... وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا) [النساء: ١٥٧]

- قال ابن القيم في مدارج السالكين: (ومن منازل (إياك نعبد وإياك نستعين) منزلة اليقين:
- وهو من الإيمان منزلة الروح من الجسد، وبه تفاضل العارفون، وفيه تنافس المتنافسون، وإليه شمر العاملون، وعمل القوم إنما كان عليه، وإشاراتهم كلها إليه. وإذا تزوج الصبر باليقين؛ ولد بينهما حصول الإمامة في الدين. قال الله تعالى، وبقوله يهتدي المهتدون: (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون)
وخص سبحانه أهل اليقين بالانتفاع بالآيات والبراهين. فقال وهو أصدق القائلين: (وفي الأرض آيات للموقنين)
وخص أهل اليقين بالهدى والفلاح من بين العالمين، فقال: (والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ۝ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون)
وأخبر عن أهل النار : بأنهم لم يكونوا من أهل اليقين، فقال تعالى: (وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين) فاليقين روح أعمال القلوب التي هي أرواح أعمال الجوارح، وهو حقيقة الصديقية، وهو قطب هذا الشأن الذي عليه مداره...)

- (حتى يأتيك اليقين)
(حتى) تفيد انتهاء الغاية هنا؛
وفيها دلالة إشارية بمعنى كي التعليلية: فاعبد ربك ليأتيك اليقين؛ وهو الإيمان كله؛ فتحققه منوط بالعبودية وتوحيد الله.

- **كمال العبودية لله هو السبيل للوصول للحقائق اليقينية عن الله وعالم الغيب؛ كما في الحديث القدسي: "وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته؛ كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها...".**

- **(اليقين) إشارة إلى أن هذه الحياة متاع الغرور وإلى زوال وليس فيها حق ثابت إلا الموت والفناء؛ لتبدأ بعده الحياة الحقيقية الأبدية التي لا تفنى!**
(اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) [الحديد: ٢٠]

- **ثمرة اليقين طمأنينة القلب وسكونه ورضاه بقضاء الله وقدره وأن كل قضاء الله للمؤمن خير فيما سره وضره، وقد كان من دعاء النبي ﷺ: "اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تُهون به علينا مصيبات الدنيا...".**

- **من اليقين تجلّي ما كان من عالم الغيب في عالم الشهادة؛ كوعد الله رسوله ﷺ والمؤمنين به بالظهور والنصر والفتح في الحياة، والفوز بالجنة بعد الوفاة!**

- **أكثر أسباب الاضطراب وما يطرأ من الشك على المؤمنين تعود لضعف العبودية لله، فكلما كانت القدم أرسخ في مقامه؛ كان القلب أشد إطمئنانا وأثبت إيمانا.**
قال أبو بكر الوراق: (اليقين ملاك القلب؛ وبه كمال الإيمان..).

- **بدأت سورة الحجر ببيان فتنة الكافرين وأزمتهم وهو شكهم واضطرابهم في شأن القرآن والنبي ﷺ وقضايا الإيمان**
(وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون ۝ لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين ۝ ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين ۝ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ۝ ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين ۝ وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون ۝ كذلك نسلكه في قلوب المجرمين ۝ لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين) [الحجر: ٦-١٣]
- **وانتهت بالعلاج وهو كمال العبودية لله**
(فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ۝ إنا كفيناك المستهزئين ۝ الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون ۝ ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون ۝ فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ۝ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) [الحجر: ٩٤-٩٩].

❁ **تمت بحمد الله نظرات قرآنية في سورة الحجر.**



الفهرس